بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة وادي النيل

كلية الدراسات العليا

الكناية في شعر الخنساء

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الباحث :

خالد محمد الحسن علي أبوجاره

إشراف الدكتور:

عمر أحمد صديق

يوليو 2005 م

الاستهـــلال

قال تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

{ الرحمن[1] علّم القرآن[2] خلق الإنسان [3] علّمه البيان[4] }

صدق الله العظيم

الرحمن الآيات (1،2،3،4)

إهـــداء

إلى

والديّ رحمة الله عليهما ...

وإليك : أم بدريّة...

شكـــــــــــــــــــر

الـشكـر أولـه وآخره لله ربّ الـعـالـمـيـن

ثم الشكر

لـلـدكـتـور / عمـر أحمـد صديـق الـمشرف علـى هـذه الـرسـالـة .

لجهوده التي لم يبخل بها عليّ من خلال المتابعة والمراجعة والتصحيح من مقدمتها إلى قائمة المراجع والمصادر .

إلى كل الأساتذة الذين قدموا لي النصح والإرشاد، وأدلوني وأعانونني كثيراً حتى خرج هذا العمل إلى النور، ووضعني في أول طريقٍ طويلٍ وشاقٍ .

والشكر أيضاً إلى الذين قدموا لي العون المساعدة وأذكر منهم :

- أساتذتي في كلية التربية جامعة وادي النيل – عطبره / السودان .
- أخواتي في مكتبة حتا العامة التابعة لإدارة المكتبات العامة – دبي– دولة الإمارات العربية المتحدة .
- أخوتي في مكتبة المجمع الثقافي / أبو ظبي– دولة الإمارات العربية المتحدة .
- أخوتي في مكتبتي الشارقة العامة و المنتدى الإسلامي في الشارقة– دولة الإمارات العربية المتحدة .

الباحث

(أ)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، منه العون وبه الاستعانة، والصلاة والسلام على أفصح الناس منطقا، وأشرفهم لسانا، وأثبتهم جنانا، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أئمة القول وأساطين البيان، ومن تبعهم بإحسان ..

البلاغة ملكة روحية وأريحية نفسية، وفيها يرجى للكلام أن يبرأ من علّته، ويقف على ذروة الجمال وعظمته ..

ويقول الجرجاني[1] : " إنما وضع الكلام لإفادة المعاني، والبلاغة فيه : هي أن تبلغ به ما تريد من نفس المخاطب بإصابة مواقع الاقتناع من العقل والتأثير من القلب "، تعد البلاغة العربية إحدى المعالم الحضارية التي أكدّت أن العرب أمة، تتخذ من فن القول مقياسا لتحضرها ورقيّها ودليلا لتفوّقها فيه .

والبلاغة وضعت أول ما وضعت لتدل على الوصول إلى المكان، والنهاية إلى الغاية التي يقصدها العرب في بدواتهم ورحيلهم من مكان إلى مكان ؛ ثم تطور هذا اللفظ ليخرج عن هذا المدلول الحسي، فيشمل أمورا معنوية ينتهي بها صاحبها إلى ما يريد أن يصل إليه من غايات متعددة، ولعل ما قيل فيها من تعريفات تؤيد ما ذهبت إليه . . فلم تكن البلاغة محصورة في القول أولا : وإن كان القول فيما بعد أوسع ميادينها بل ميدانها الوحيد .

وعندما يكون هذا القول شعراً مرتبطاً على وجه التحديد بالنساء الشاعرات، وسيما في العصر الجاهلي له أهميته الخاصة وذلك لما حفلت به كتب التراث من أشعار وأخبار متناثرة ترصد من خلالها حقبةً زمنيةً مجهولةً من تاريخ المرأة العربية قبل الإسلام. وبالرغم من بعض المحاولات لتناول أشعار النساء في شكل جماعي "موسوعات" أو فردي " شرح وتحقيق لدواوينهن ، وأن يكون من وجدانٍ مفجعٍ موجعٍ بالفقد مثل ما تناول شواعر النساء ضرب الرثاء صدقا في الشعور وترسيخا للصور الوجدانية التي تجبر القارئ لهذا الضرب من الشعر أن يشارك الشاعر إحساسه لصدقها ولكونها تطرق في دواخل النفس الإنسانية أوتاراً شعورية محسة بعمق .

وأنا شغوف بهذا البحث منذ وقتٍ باكرٍ، لأن أرضه الخصبة شعر شاعرة فضلها جرير، والنابغة، وبشار، والمبرد، والشعبي وغيرهم كُثُر الذين فضلوها على غيرها من الرجال قبل النساء وشاهدي على ذلك قول الرسول[2] (صلى الله عليه وسلم) لعدي بن حاتم الطائي: " أشعر الناس الخنساء " .

([1]) الجرجاني : عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز في علم المعاني : شكله وشرح غامضه وخرج شواهده وقدّم له ووضع فهارسه ياسين الأيوبي المكتبة العصرية صيدا – بيروت ص : 55

(2) عبد الحكيم الوائلي : موسوعة شاعرات العرب – دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع عمان : الأردن :ج1ص3

فكان لابدّ من البحث والتنقيب والتقصي في موسوعات الأدب ومصادر النقد ومراجع البلاغة وشروحات دواوين هذه الرثّاءة الباكية .

وأجد نفسي سابح في هذا الخضم الذاخر بقضية عذراء وهي " الكناية في شعر الخنساء " فكثير من الدراسات أرّخت للخنساء وغيرها أرّخ للبلاغة وغيرها تناول البيان كقسم من أقسامها، وكذلك الكناية كمبحث من مباحث البيان .

و الذي يرغب في الخوض في مثل هذه الدارسات لابد له من عناصر ثلاثة هي :

- (الأدب والبلاغة والنقد) ولابد من التناول التاريخي فمثل هذا السفر المتواضع يبحث قضية بلاغية شائكة ومتداخلة مع كثير من القضايا مثل المجاز والاستعارة في الميدان البلاغي .
- وثانيها مرتبط بالشعر لاتساعه وكثرة أغراضه و ضروبه ومنها وأصدقها في التصوير والتعبير الرثاء .
- وصدق الرثاء يتبيّن في صدق العاطفة وتعلقه بالنفس وقربه من الفطرة والطبع، وفي هذا النوع تبزّ النساء الرجال لا بجودة النظم وعمق المعنى بل بصدق الإحساس وتصوير الفجيعة . قال ابن رشيق [1]: " والنساء أشجى الناس قلوبا عند المصيبة، وأشدهم جزعا على هالك، لما ركّب الله عزّ وجلّ في طبعهن من الخور وضعف العزيمة " .

وفي هذا البحث حافظت على الترابط و التسلسل، فقسمته إلى ستة فصول، ولكل فصل ثلاثة مباحث، ورتّبت الفصول على النحو التالي :

الفصل الأوّل : تطور النظرية البلاغية:
تناولت فيه نشأة تاريخ البلاغة العربية في العصرين الجاهلي والإسلامي، وتبيّن فيه أن العرب أهل بلاغة بالفطرة، لأن الأدب الذي خلفوه يحمل في تضاعيفه ما يصور فصاحة منطقهم، وكيف كانوا يتأنّون للكلام حتى يبلغوا كل ما يريدون من استمالة القلوب والأسماع .

والجاحظ يقول[2] : "إن من شعرائهم، من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كاملا، وزمنا طويلا، يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، حتى سميت قصائدهم الحوليات، المقلدات، المنقحات، المحكمات ".

---

[1] الإمام أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط1 سنة 2001م ج2ص 101

[2] الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر البيان والتبيين – قدم لها وبوّبها وشرحها علي أبو ملحم – دار مكتبة الهلال بيروت ط1سنة 1988- ج2ص 8

وكثيرا ما وصفوا خطباءهم بأنهم مصاقع لُسُنٌ، كما وصفوهم بالرمي بكلام لاذع عضب قاطع، ويروى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) استمع لبعض خطبائهم فقال : " إن من البيان لسحرا " .

وتحدثت في مبحثه الثاني عن علم البيان وأقسامه وأقوال علماء البلاغة والبيان فيه من مثل الجرجاني والعسكري والجاحظ ، وتطرقت في خاتمته إلى مفهوم الكناية عند البلاغيين كما عرفها علماء البيان من مثل صاحب الطراز، وصاحب المثل السائر، واستشهدت بآيات من ذكر الله الحكيم وأقوال العرب شعرا ونثرا، كما تحدثت فيه عن أقسام الكناية وتعريفات هذه الأقسام مع تعزيز ذلك بشواهد قرآنية وشعرية ونثرية، وأوضح هذا المبحث الكناية باعتبار الوسائط، وما ورد من الكنايات في كلام البلغاء وأسرار الكناية، وآراء العلماء فيها، وفي هذا الفصل استفدت من مرجع كثيرة منها :
البيان والتبيين للجاحظ، والأغاني لأبي فرج الأصفهاني، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز للعلوي، والصناعتين لأبي هلال العسكري .

الفصل الثاني : عصر الخنساء وبيئتها :
بدأته بنبذة قصيرة عن عصر الخنساء وبيئتها ودقّقت عن صحة ما نقل اسمها وقبيلتها وموطن عشيرتها – كما تناولت فيه حياة شاعرتنا في الجاهلية، وفترة إسلامها، وتأثير القبيلة عليها كون أنها ترعرت في بيئة شاعرة وبيتٍ شاعر، كما تحدثت فيه لمقتل معاوية وصخر وخطبة دريد بن الصمة لها، واستشهاد أبنائها الأربعة في موقعة القادسية، وعرّجت بالحديث عن شاعريتها .
في المبحث الثاني تحدثت عن شخصية الخنساء ، صدرته عن القصيدة والرثاء بتفصيل القول عن مواصفات قصيدة الرثاء، وتعريف الرثاء، و الدوافع والمعاني، والخصائص الفنية واللفظية للرثاء، واستشهدت بشواهد لشواعر من مثل: جليلة بنت مرة، صفية الباهلية، زرقاء اليمامة، ليلى العنبرية، جنوب، وسعدى بنت الشمردل .
والمبحث الثالث لآراء في شعر الخنساء، وجاء في صدارته التعريف بالنقد وأقسامه وأمثلته وأنواعه، ومقاييس نقد المعنى ونقد الأسلوب، ونقد العاطفة ونقد الخيال، وتعرفت فيه على عمود الشعر وصحبة النقد والبلاغة، وكذلك ما تعرضت له الخنساء من لمسات نقدية من مثل النابغة الذبياني، وجرير بن عطية الشاعر، وأبو العباس المبرد، والمفضّل الضّبّي، والنويري صاحب نهاية الأرب، وأبوتمام .
وهؤلاء النقاد تحدثوا عن جوانب في شعرها مثل : قيمة الشعر، العاطفة، الفكرة، الخيال، الموسيقى اللفظية، والسهولة والأسلوب , وهنا استعنت بمراجع كثيرة منها : طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين للجمحي، والعقد الفريد لابن عبده ربه، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان .

الفصل الثالث : الكناية عن صفة :
في مبحثه الأول عرفت بها أي الكناية عن صفة، واستعنت بظهور الناتج الدلالي عبر القنوات التحويلية الثلاث، وألوان كناية صفة البسيطة والمركبة، وأمثلتها عبارات وأشعارا.
وفي المبحث الثاني : درست كناية الصفة في شعر الخنساء دراسة تحليلية، أدرجت فيه نماذج لكناية الصفة في الشعر الجاهلي والإسلامي والمخضرمين من الرجال والنساء، أسوة بشاعرتنا المخضرمة، وهنا رجّحت الكفة لشواعر النساء حتى يتسنى للقارئ القياس والموازنة في تشابة التجربة الشعورية بينهن والخنساء، وكانت استفادتي هنا من مراجع كثيرة منها: الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ت د.إحسان عبّاس، د. إبراهيم السعافين، أ.بكرعبّاس.

الفصل الرابع : الكناية عن موصوف :
قمت أولا : بالتعريف عن كناية الموصوف وأنواعها، وأدرجت شواهد قرآنية وشعرية وتحدثت عن التحولات البنائية التي وزعت على ثلاث قنوات مثل (حضور الصفة ، والنسبة – غياب).
ثانيا : حلّلت فيه كناية الموصوف في شعر الخنساء واستعنت بديوانها وبعض الشروح مختلفة الروايات، أضفت نماذج لكناية الموصوف في الشعر لشعراء وشاعرات العصرين الجاهلي والإسلامي وكذلك المخضرمين والمخضرمات، واستقيت جلّ معلوماتي من مراجع كثيرة من مثل: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، وكتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات، حققه فخر الدين قباوة، وموسوعة الشعر الجاهلي لعبده عون الروضان .

الفصل الخامس : الكناية عن نسبة :
صدرته بتعريف عنها، وعززته بشواهد من كتاب الله عزّ وجلّ، وأشعار العرب وختمته بظن علماء البلاغة : أن هناك قسما رابعا للكناية وهو : " كناية عن نسبة وصفة معا"، والمبحث الثاني قمت بدراسة شعر الخنساء من خلال كناية النسبة في طياته، لأن بعض شعرها ما يدثّر هذا النوع من الكناية بثوب شفيف يتضح ما يواريه من إبداعٍ بلاغي أخّاذ، وأضفت شواهد لكناية النسبة من شعر شعراء جاهليين وإسلاميين ومخضرمين، بل لهن في هذا المبحث حظوة .
أما هنا فكانت كتب " نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار لعبد الرحمن بن عبد الله بن درهم، والكامل في اللغة والأدب للمبرد، والتصوير البياني للدكتور محمد أبو موسى، وجدت بها ما أبتغيه لهذا الفصل .

ملخص الرسالة :
تتصدر المقدمة البحث التي تبيّن الأسباب التي دعت الباحث لاختيار هذا الموضوع تحديداً كما توطئة تشمل حديث عن البلاغة بصورة عامة ، وبها تفصيل دقيق لمتن البحث يقع في خمسة فصول ، وعشر مباحث.
الفصل الأول بعنوان تأريخ نشأة البلاغة العربية ، مباحثه شملت تاريخ البلاغة العربية تفصيلاً وآراء علمائها ومؤرخيها ، وأُضيف إليه البيان وأقسامه وتعاريفاته وآخره الكناية وأقسامها وتعريفات هذه الأقسام ثم الكناية باعتبار الوسائط ، وأسرار الكناية ، وأقوال ذوي النبوغ فيها .
الفصل الثاني بعنوان الخنساء شخصيتها وعصرها وبيئتها إذ بيدأ بالحديث عن شخصية الخنساء وميراثها الشعري وأردف الحديث عن العصر الجاهلي الذي عاشت فيه ردحاً من الزمان إلى أسملت وأصبحت من المخضرمات ، ومؤثرات البيئة والقبيلة القيسية التي اشتهرت بالشجاعة والكرم .
هاتان الصفتان أقوى ما يقدحان ربة الشعر والقريحة وسيما قريحة المرأة التي يلفها ثوب من العاطفة أكثر من الرجل ، ويُختم بآراء النقاد في شعر الخنساء إذ يسبق ذلك تعريف تفصيلي عن النقد وأقسامه ودواعيه وألوانه ، وما تعرضت له الخنساء من لمسات نقدية .
الفصل الثالث بعنوان الكناية عن صفة أوله تعريف مفصّل عن كناية الصفة وأقسامها بعيدة و مركبة مع إدراج نماذج لكناية الصفة من أدب العصرين الجاهلي والإسلامي وأكثر شواهده من شعر نساء شواعر أما آخره كان عن كناية الصفة في شعر الخنساء .
الفصل الرابع بعنوان الكناية عن موصوف يتصدره تعريف لكناية الموصوف وشواهد قرآنية وشعرية من أدب العصرين الجاهلي والإسلامي لكناية الموصوف، كما خُتم بحليل بلاغي عن كناية الموصوف في شعر الخنساء .
الفصل الخامس بعنوان الكناية عن نسبة ، تحدثت فيه عن كناية النسبة وعضدّت قولي باستشهادات من القرآن والشعر العربي وأقول العرب كما أدرجت فيه نماذج شعرية من أدب العصرين الجاهلي والإسلامي حمل في طياته كناية النسبة ، وألحقته بمبحث عن كناية النسبة في شعر الخنساء .
أتت الخاتمة لتُبيّن ما توصلتُ إليه في جانبين الأول منها : امتزاج الكناية بمصطلحات أخرى ، وفصلت الحديث عنه ، وأدرجت له الشواهد الشعرية ، أما الجانب الثاني كان إجابة لاستفهام هو : لماذا ارتكزت كناية الخنساء في شعرها على أربعة بحور شعرية ؟ كان عليها الاعتماد الأكثر وهي : الطويل ، البسيط ، الكامل ، والوافر .
بهذه المحاولة البحثية المتواضعة أجد نفسي قد غرفت غرفة من بحر متلاطم الأمواج تركت لغيري من الباحثين الأبواب مشرعة ، حتى يلجوا هذا الميدان الواسع بدراسات بلاغية نقدية .

The Summary :

The research starts with the introduction that shows the reson for ganeral , choosing this subject as well as talking about rhetoric in the introduction also incluse an accurate out line of the research subject that occurs in five uints of ten gapters .
The title of the first uint is the arising of the arabic rhetoric .It is gapter enclud the history in details as well as the view point of it is scholars and histories. They also incude the eloquece , it is classication and definitions The last gapters deals with the metonomy,its classication and definitions . then , the metonomy of meditors, secrets of metonomy and the sayings of it is berilliant schools are added .
The second uint is intitled " Alkhansaa her personalty , age and invironment " it starts with talking about the character of Alkhansaa and her poetic hertage . It also deals with the pre-Islamic age when she lived aperiod of time till she become amoslim and thus become berilliant . it also the diferent sayings about her date of birth , dath infuence of her kaisi trib that-was famous for bravery and generosity those quilties are the most important for poets specially the female ones who are emotioal the male poets .
This unit ends with critics, view poinits which are proceeded by and accurate defiition of criticism its cassfication styles and reseons as well as criticism ." Alkhansaa" works .
The third unit is intiteled The metonomy of the qualified . it start with the definition of this Kind of metonomy , some quotes from the Holy quraan , poetry and some sanples of the pre-Islamic poetry that has this kind of metonomy , this unit ends with rhetoral analysis of Alkhansaa poetry .
The fourth unit has title of the metonomy of adjective . it start with adetailed definition of this kind of metonomy and its for and compound classifications. Then there are somequotes from literature of the pre-Islamic and Islamic ages that incude the metonomy of the adjective . The most commn poetry is for female poets . the unit ends with metonomy of the adjective of Alkhansaa poetry .

The fifth unit has the title of the metonomy of proportion . In this unit the reseasher talks about this kind of metonomy its definitions .He assure what he its definitions. Assure what he says with quates from the holy quraan Arabic poetry the arab sayings and the pre-Islamic and Islamic poetry .that include such metonomy this unit ends with the metonomy of porportion in Alkhansaa poetry .

The conculsion shows what the reseacher`has reached in tow ports.

The first is mixing the metonomy with others rheetoric tirms . This part ia dealt with indtail including some poitic quotes . the second part was and answer to this quation , why did Alkhansaa relied on just for poetic meters. In most of her poetry . They are the long , the sample , the copleted and plentiful.

In this trial the reseach tried to catch a spoonful huge leving to other reseachers the door wide open in this fertile field for more rhetoric and critic reseaches .

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة
الاستهلال	
الإهداء	
شكر	
المقدمة	أ- ب- ت- ث
الفصل الأوّل : تطور النظرية البلاغية	38-1
المبحث الأول : نشأة تأريخ البلاغة العربية	17-1
المبحث الثاني : علم البيان وأقسامه	22-18
المبحث الثالث : مفهوم الكناية عند البلاغيين	38-22
الفصل الثاني: الخنساء شخصيتها وعصرها وبيئتها	92-39
المبحث الأول : شخصية الخنساء	52-39
المبحث الثاني: التعريف بالخنساء وعصرها	61-53
المبحث الثالث : آراء النقاد في شعر الخنساء	92-62
الفصل الثالث : الكناية عن صفة	174-93
المبحث الأول : تعريف الكناية عن صفة مع نماذج شعرية لكناية الصفة من العصرين الجاهلي والإسلامي	119-93
المبحث الثاني : كناية الصفة في شعر الخنساء	174-120
الفصل الرابع : الكناية عن موصوف	197-175
المبحث الأول : التعريف بالكناية عن موصوف مع نماذج شعرية لكناية الموصوف من العصرية الجاهلي والإسلامي	183-175
المبحث الثاني : كناية عن موصوف في شعر الخنساء	197-184
الفصل الخامس : الكناية عن نسبة	227-198
المبحث الأول : تعريف الكناية مع نماذج شعرية لكناية النسبة في العصرين الجاهلي والإسلامي	205-198
المبحث الثاني : كناية عن نسبة في شعر الخنساء	227-206
الخـــــــاتمة	230-228
المصادر والمراجع	238-231
ملخّص الرسالة باللغة العربية	239
ملخّص الرسالة باللغةالإنجليزية	241-240
الفهـــــرس	**242**

توزيع الفصول :

الفصل الأول :

تطوّر النظرية البلاغية :

المبحث الأول : نشأة تاريخ البلاغة العربية .

المبحث الثاني : علم البيان وأقسامه .

المبحث الثالث : مفهوم الكناية عند القدماء والمحدثين .

الفصل الثاني :

الخنساء شخصيتها وعصرها وبيئتها :

المبحث الأول : عصر الخنساء وبيئتها

المبحث الثاني : شخصية الخنساء .

المبحث الثالث : رأي النقاد في شعر الخنساء .

الفصل الثالث :

الكناية عن موصوف :

المبحث الأول : التعريف بالكناية عن موصوف مع النماذج الشعرية الكناية الموصوف في العصرين الجاهلي والإسلامي .

المبحث الثاني : كناية عن موصوف في شعر الخنساء .

الفصل الرابع :

الكناية عن صفة :

المبحث الأول : التعريف بالكناية عن صفة مع النماذج الشعرية الكناية الصفة في العصرين الجاهلي والإسلامي .

المبحث الثاني : كناية الصفة في شعر الخنساء

الفصل الخامس :

الكناية عن نسبة :

المبحث الأول : التعريف بالكناية عن نسبة ، مع النماذج الشعرية الكناية النسبة في العصرين الجاهلي والإسلامي .

المبحث الثاني : كناية النسبة في شعر الخنساء

الفصـل الأول

تطور النظرية البلاغية

المبحث الأول :
نشأة تاريخ البلاغة العربية .

المبحث الثاني :
علم البيان وأقسامه .

المبحث الثالث :
مفهوم الكناية عند البلاغيين .

الفصل الثاني :

الخنساء شخصيتها وعصرها وبيئتها

المبحث الأول :
شخصية الخنساء.

المبحث الثاني :
عصر الخنساء وبيئتها .

المبحث الثالث :
آراء النقاد في شعر الخنساء .

الفصل الثالث

الكناية عن صفة

المبحث الأول :
التعريف بالكناية عن صفة مع نماذج لكناية الصفة في العصرين الجاهلي والإسلامي

المبحث الثاني :
كناية الصفة في شعر الخنساء

الفصل الرابع

الكناية عن موصوف

المبحث الأول :
التعريف بالكناية عن موصوف مع شواهد شعرية لكناية الموصوف من العصرين الجاهلي والإسلامي

المبحث الثاني :
كناية عن موصوف في شعر الخنساء ونماذج شعرية من العصرين الجاهلي والإسلامي.

الفصل الخامس

الكناية عن نسبة

المبحث الأول :

التعريف بالكناية عن نسبة مع شوهد شعرية لكناية النسبة من العصرين الجاهلي والإسلامي

المبحث الثاني :

كناية النسبة في شعر الخنساء ونماذج شعرية من العصرين الجاهلي والإسلامي

السيّد / مدير مصلحة الأراضي ولاية الجزيرة

بواسطة السّيد / مدير أراضي محلية مدني الكبرى

المحترمون

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

الموضوع : تصديق قطعة أرض سكنية

يطيب لي أن أهديكم عاطر التحايا وأجمل الأمنيات وأنتم تنعمون بنعمة الاستقرار في الوطن الحبيب السودان عامة والجزيرة الخضراء خاصة .

وهو أننا قد وصلنا أن هناك خطة سكنية فئوية خاصة بأبناء الجزيرة في دول المهجر والاغتراب (المغتربين).

وبالإشارة للموضوع أعلاه ، أتقدم لسيادتكم بطلبي هذا راجياً منكم التكرم بشموله بنظركم الثاقب وبصيرتكم النافذة ، والإسراع بالتصديق لي بقطعة أرض سكنية وذلك لأنني متزوّج ولي أسرة الآن وكنت أعمل في ولاية الجزيرة – وزارة التربية والتعليم في المرحلة الثانوية مدرساً للغة العربية في مدارس :

مدرساً للغة العربية في مدارس :

الشرقية بنات .

السني بنين

المجلس الأفريقي للتعليم الخاص.

مدني الثانوية

مدرسة الشهيد مصطفى الطيب علي

كما عملت رئيساً لوحدة الإعلام والاتصال بمعهد إسلام المعرفة في جامعة الجزيرة .

مقدمه الأستاذ / خالد محمّد الحسن علي أبوجاره

وزارة التربية والتعليم والشباب– دبي

الهاتف الجوّال 00971503622780

هاتف المنزل 0097148521089

khalidabygara@yahoo.co

الفصل الأول (تطوّر النظرية البلاغية)

المبحث الأول : نشأة تأريخ البلاغة العربية

نبذة تأريخية : علم البلاغة العربية :

اشتعلت نار الجدل صدر الدولة العباسية حتى اندلع لهيبها وتطاير شررها إلى جميع أنحاء البلاد الإسلامية، ردحا من الزمن غير قليل بين أئمة الأدب، أرباب المقلات من علماء الكلام، في بيان وجه أعجاز القرآن الكريم، واختلفوا في ذلك طرائق قددا، وتفرقوا أيدي سبأ، وتعددت نزعاتهم، وتضاربت مذاهبهم وآراؤهم كما هو مسطور في زبر المتلكمين كالمواقف لعضد الدين، والمقاصد لسعد الدين التفتازاني [1].

وكان الرأي الآفن من بين هذه الآراء وأبعدها عن الصواب، رأي إبراهيم النظّام صاحب المذهب الذي ينسب إليه (مذهب الصّرفة) إذ قال [(2)] : إن القرآن ليس معجزا بفصاحته وبلاغته، وأن العرب كانوا قادرين أن يأتوا بمثله، لكن الله صرفهم عن ذلك تصديقا لنبيه، وتأييدا لرسوله حتى يؤدي رسالات ربه، فانبرى للردّ عليه جمع غفير من العلماء من بينهم الجاحظ والباقلاني وإمام الحرمين والفخر الرازي، وناضلوا نضالهم المحمود، الذي خلّد لهم في بطون الأسفار فكتبوا الفصول الممتعة مبيّنين خطل رأيه وفساد مذهبه، بما أملته عليهم قرائحهم الوقّادة، وأفكارهم النّقّادة، حتى لم يبق في القوس منزع ولا زيادة لمستزيد .

كذلك قامت سوق نافعة للحجّاج والمناظرة، بين أئمة اللغة والنحو أنصار الشعر الجاهلي، الذين رأوا أنّ الخير كل الخير في المحافظة على أساليب العرب وأوضاعها، والأدباء والشعراء أنصار الشعر المحدث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم من العرب، رأوا أنهم في حلّ من كل قديم، لا يشاكل بيئة الحضارة التي غذوا بلبانها وربوا في أحضانها، ولم يكن العرب ليحملوا بها من قبل، ولو أن القدر أتاح لهم أن يروا زخارف تلك المدنيّة، وطرائف لطائفها، لكان لهم شأن في آدابهم، ومهيع في أساليبهم غير شأنهم هذا[(3)] .

أضف إلى تلك الضوضاء، وذلك اللجب، ما شجر من خلاف بين أئمة الأدب وأساطينه، في بيان وجوه تحسين الكلام، حتى يرقى في سلم البلاغة وينال قسطه من الفصاحة والجزالة، وفريق أولع بالمنطق الموشّى المشتمل على صنعة البديع، يرشد إلى ذلك ما تراه في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة 726هـ

---

[1]) أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة : دار القلم بيروت – لبنان ص : 7

[2] نفس المرجع السابق ص : 7

[3] نفسه : ص : 8

[1]، حين حكم على تلك الأبيات المشهورة لكثير عزة[2]، بأنها مونقة خلابة في لفظها، لكنك إذا فتشتها وبحثت عن ذات نفسها، لم تحل منها بطائل، وهي :

ولمّا قضينا من منى كل حاجة ومسّح بالأركان من هو ماسح
وشدّت على حدب المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

ثمّ ما تجده في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري من استحسان هذه الأبيات، ونقد حكم ابن قتيبة واتهام ذوقه، ووافقه على نقده أبو الفتح بن جنّي المتوفى سنة 392هـ في كتابه الخصائص، والإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة، كل أولئك لفت أنظار أئمة البلاغة إلى أن يضعوا قوانين وضوابط يتحاكمون عليها عند الاختلاف، وتكون دستورا للناظرين في آداب العرب منثورها ومنظومها، ونشأ عن ذلك البحث في علوم البيان أو علوم البلاغة.

لا نعلم أحدا سبق أبا عبيدة معمر بن المثنّى الراوية تلميذ الخليل بن أحمد المتوفى سنة 211هـ، فقد وضع كتابا في علم البيان سمّاه (مجاز القرآن) لكنه لم يرد الوصف الذي ينطبق على ما وضع من القواعد بعد، بل هو أشبه بكتاب في اللغة توخّى فيه جمع الألفاظ التي أريد بها غير معانيها الوضعية، ألا تراه وقد سئل مرة عن قول الله تعالى: (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) [3]، فقال هو مجاز لقول امرئ القيس (ومسنونة زرق كأنياب أغوال) [4] .

كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم البيان، وإنما أثر فيه نبذ عن بعض البلغاء كأبي عثمان عمرو بن بحر الحاجظ الكناني المتوفى سنة 255هـ إمام الأدباء وسلطان المنشئين في عصره، والقدوة في أساليبه التي اختص بها وتحداه فيها الأئمة من بعده .

فقد أشار إلى مسائل منه في كتابه (إعجاز القرآن) وعنى في كتابه (البيان والتبيين) بدرس بعض القواعد التي كثر ولع القوم بها في عصره، كبيان معنى الفصاحة والبلاغة، وحسن البيان والتخلص من الخصم،وحسن الأسجاع [5]، ثم قفّاه ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) والمبرّد في كتابه (الكامل) فتعرّضا لبعض نتف من هذه العلوم .

---

[1] ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ط 2003م : ص 503

[2] هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة من رافضيّا . وقال لما حضرته الوفاة :

برئت إلى الإله من ابن أروى ومن دين الخوارج أجمعينا
ومن عمر برئت من عتيق غداة دعي أمير المؤمنينا

[3] المصحف : سورة الصافات الآية : (65)

[4] حجر عاصي ، شرح وتحقيق : ديوان امرئ القيس : ص : 89

[5] أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة : ص 9

وغني عن البيان أن المتكلمين بداءة ذي بدء في أيّ فن من الفنون لا يحيطون بأطرافه، ولا يتغلغلون في استقصاء مباحثه، لكنا نعلم أن أول من دوّن البديع الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي المتوفى سنة 296هـ فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات و ألف كتابا سمّاه (البديع) وقال : (ما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف، ومن رأى أن يقتصر على ما اخترنا فليفعل ومن رأى إضافة شيء من المحاسن غليه فله اختياره)[1].

ثم ألف معاصره قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة 310هـ كتابا في نقد الشعر سمّاه (نقد قدامة) ذكر فيه ثلاثة عشر نوعا من البديع زيادة على ما أملاه ابن المعتز فتمّمها ثلاثين نوعا، تلا هذين العالمين أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة 295هـ، وألف كتابه (الصناعتين) صناعتي النثر والنظم، جمع في خمسة وثلاثين نوعا كم البديع، وبحث فيه عن عدة مسائل أخرى كالفصاحة والبلاغة، والإيجاز والإطناب، والحشو والتطويل، وعدة أبواب في نقد الشعر إلى ذلك من جليل المباحث . وكتابه أول مصنف أشير فيه إلة مسائل علوم البيان الثلاثة (المعاني والبيان والبديع).

وعرّف العسكري البلاغة : بأنها مبلغ الشيء ومنتهاه، فقال: (والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته، وسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى في قلب السامع فيفهمه، وسميت البلغة بلغة لأنك تتبلّغ بها وتنتهي بك إلى ما فوقها، وهي البلاغ أيضا، والبلاغة كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه نفسك كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة وعرض حسن)[2] .

تمخّض القرن الخامس الهجري فولد نادرة البطن،ونابغة البلغاء، وإمام حلبة الفصحاء، أبا بكر عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة 471هـ الذي نظر يمنة ويسرة، فلم يجد من مسائل هذه الفنون إلاّ نتفا مبعثرة لا تسمن ولا تغني من جوع، فشمّر عن ساعد الجدّ، وجمع متفرقاتها، وأقام بناءها على أسس متينة، وركّز دعائمها على أرض جدد لا تنهار، وأملى من القواعد ما شاء الله له أن يملي في كتابيه (أسرار البلاغة - دلائل الإعجاز) وأحكم بنيانها بضرب الأمثلة والشواهد، حتى أناخ بها على اليفاع، وقرن فيهما بين العلم والعمل، إذ رأى أن مسائل الفنون لا يستقر لها قرار إلا بكثرة الأمثلة والنماذج، فالصور الإجمالية التي تؤخذ من القواعد إن تؤيدها الصور التفصيلية التي تستفاد من النماذج، لا تتمثل في الأذهان حقّ التمثل ولا تتجلّى حقيقتها تمام الانجلاء، وقد ساعده على ذلك ما أتاه الله من عذوبة البيان، وما تحلّى به قلمه من الطلاوة الخلابة، والبلاغة الساحرة للألباب، غير أن الجرجاني لم يميّز بين الفصاحة والبلاغة والبراعة ؛ أو يفضل المتكلمين من حيث نطقوا وتكلموا، فقوله :

---

[1] أحمد مصطفى المراغي – علوم البلاغة : ص 8

[2]) إنعام فوّال عكاوي - المعجم المفصل في علوم البلاغة ص : 286

(فضّل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد). [1]

تبع أثر عبد القاهر، أستاذ المفسرين، جار الله الزمخشري المتوفى سنة 538هـ وألف تفسير (الكشّاف) نحا فيه نحو الغرض المقصود من تفسير التنزيل، وهو إظهار أسراره، وشرح وجه إعجازه، ببيان وفاء دلالته على المراد، وكشف خصائصه ومزاياه التي استأثر بها حتى بلغ هذه المرتبة، وتحدّى البشر بأنهم لم يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيرا .

وغني عن البيان أنه لن يصل إلى تلك المرتبة إلاّ من أتاه الله فطرة سليمة، ورأيا حصيفا، وفكرا ثاقبا، وبرهانا ساطعا، وقلما أطوع له من بنانه حتى يتاح له بواضح البرهان، وبديع البيان، أن يوضح خصائص التراكيب ولطائف الأساليب التي هي من أسرار التنزيل، وبذا أبان في عرض كلامه كثيرا من قواعد هذه الفنون التي اتخذها من جاء بعده، دستورا للكلام في كثير من مسائلها .

جاء بعد من تقدم ذكرهم العلاّمة أبو يعقوب يوسف السّكّاكي المتوفى سنة 626هـ، وألف كتابه (مفتاح العلوم) وجمع في القسم الثالث منه زبدة ما كتبه الأئمة قبله من هذه الفنون ونظم لآلئها المتفرقة في تضاعيف كتبهم، وأحاط بكثير من قواعدهم المبعثرة في الأمهات، ورتّبها أحسن ترتيب، وبوّبها خير تبويب، وفصل فنون البلاغة الثلاثة بعضها من بعض، لما كان له من واسع الإطلاع .

ولولا أن المؤلف أولع بتطبيق أساليب العرب، على علوم اليونان واصطلاحاتهم مع ما بينهما من بعد المدار، وشطّ المزار واختلاف البيئات، وتباين المعتقدات، لكان خير كتاب أخرج للناس في هذه الفنون، لجمعه شتاتها، وضمّه ما تفرق من قواعدها .

وعرّفها السّكّاكي في كتابه (مفتاح العلوم) إذ قال[2]:
(هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقّها، وإيراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها) [3]. ونلحظ أن السّكّاكي بهذا التعريف قد أخرج مباحث علم البديع لأنها وجوه يؤتى بها لتزيين القول، والمحسنات اللفظية ليست من البلاغة، وقد اختصره مؤلفه في كتاب آخر سمّاه (التبيان) ولخصه بعض المتأخرين في أمهات مشهورة، كما فعل بن ابن مالك كتابه (المصباح) والخطيب لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة 739هـ في كتابيه (تلخيص المفتاح - شرح الإيضاح) والأخير مؤلّف جليل، جمع فيه مؤلفه خلاصة المفتاح ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لابن سنان الخفاجي.

---

[1] إنعام فوّال عكاوي - المعجم المفصل في علوم البلاغة : ص : 268
[2] أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة : ص11
[3] إنعام فوّال عكاوي ، المعجم المفصّل لعلوم البلاغة : ص : 268

وعرّف القزويني بلاغة المتكلم فقال[1] : (وأما بلاغة المتكلم في ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ؛ بينما البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره) .

وقسّم البلاغة إلى ثلاثة أقسام :

أ- علم المعني . ب- علم البيان . ت- علم البديع .

وعدّ ما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان، وما يعلم به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته علم البديع . هذا ما اعتمده علماء البلاغة وتعارفوا عليه .

إلاّ أن الخفاجي لم يعرف البلاغة تعريفا دقيقا، لاضطراب حدّها عند القوم، وقال في الفرق بينها وبين الفصاحة [2](إن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلاّ وصفا للألفاظ مع المعاني)

بينما السّكّاكي : يؤلف كتابه (مفتاح العلوم)، إذا بالوزير ضياء الدين أبي الفتح نصر بن محمد الموصلي الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة 637هـ وزير الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي، يصنّف كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب الشاعر) .

وهو كتاب فريد في بابه يفوق أنداده وأترابه، جمع فيه فأوعى، ولم يترك شاردة ولا واردة، لها مساس بالكتابة و القريض ، إلاّ ذكرهما بشرح واف، يدلّ على طول باع، وسعة إطلاع، مع قدرة على النقد، وبديهة حاضرة في إدراك خصائص البلاغة ومن ثمّ اشتمل كتابه على كثير من أبواب تلك الفنون، وطبّق عليها كثيرا من آيّ الكتاب والسنة النبوية وتلك منقبة امتاز بها من بين هاتيك المؤلفات في تلك العلوم، وكان يحاكي في أسلوبه أسلوب القاضي المتوفى سنة 596هـ وزير صلاح الدين (على ما بينهما من شاسع البون) وطرقة القاضي معروفة بين المتأدبين وهي النوع الذي يغلب عليه السجع والجناس وغيرهما من المحسنات اللفظية - وكانت براعة الكاتب في هذا العصر وما بعده تظهر في استعمال تلك الطلاوة اللفظية وبها يفوق كاتب كاتبا، ويبذّ الأقران في هذا الميدان .

وعرّف البلاغة عمرو بن عبيد فقال [3]: (فكأنك تريد تخيّر اللفظ في حسن الإفهام). ثمّ أضاف إلى ذلك معنى دينيا، بقوله : (إنك إذا أوتيت تقرير حجة الله في عقول المتكلفين، وتخفيف المؤونة على المستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم،

---

[1] إنعام فوّال عكاوي - المعجم المفصل في علوم البلاغة : ص 268

[2] ابن سنان الخفاجي أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي : سر الفصاحة : حققه وعلق عليه ووضع فهارسه النبوي عبد الواحد شعلان : سنة 2003م : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة

[3] إنعام فوّال عكاوي ، المعجم المفصّل لعلوم البلاغة : ص 268

ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة، كنت قد أوتيت فصل الخطاب، واستحققت على الله جزيل الثواب) [1] .

ولعل أبلغ تعريف وأوجزه هو ما عرف به الأصمعي البلاغة فقال[2] :
(من طبّق المفصّل، أغناه عن المفسّر)[3].

أقوال ذوي النبوغ والعبقرية في البلاغة :

أ/ قال قدامة بن جعفر[4] : البلاغة ثلاثة مذاهب :

- المساواة : وهي مطابقة اللفظ المعنى لا زائدا ولا ناقصا .
- الإشارة : وهي أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة .
- التذييل : هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، ليظهر لمن لم يفهمه، ويتأكد عند من فهمه[5].

ب/ وقيل لجعفر بن يحيي : ما البيان ؟ فقال[6] : أن يكون اللفظ محيطا بمعناك،كاشفا عن مغزاك، وتخرجه من الشركة، ولا تستعين عليه بطول الفكرة، ويكون سالما من التكلف، بعيدا عن سوء الصنعة، بريئا من التعقيد، غنيا عن التأمل [7].

ت/ ومما قيل في وصف البلاغة : لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه،ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك [8].

ث/ وسأل معاوية صحارا العبدي [9]: ما البلاغة ؟ قال : أن تجيب فلا تبطئ وتصيب فلا تخطئ [10].

ج/ وقال الفضل : قلت لأعرابي ما البلاغة ؟ فقال : الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل [11].

ح/ وسئل ابن المقفّع : ما البلاغة ؟ فقال[12] : اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة :

---

[1] نفس المرجع السابق : ص 268
[2] نفسه : ص 268
[3] نفسه : ص 268
[4] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : المكتبة التجارية الكبرى – ص (35-37)
[5] النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية ج7ص8
[6] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص 36
[7] النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية : ج7ص6
[8] الجاحظ : البيان والتبيين تحقيق عبد السلام محمد هارون – القاهرة 1948 : ج1ص91
[9] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ص36
[10] النويري : نهاية الأرب : ج 7ص 8
[11] الجاحظ : البيان والتبيين : ج 1ص 91
[12] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ص36

فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب - الوحي فيها، والإشارة للمعنى، والإيجاز هو البلاغة [1].

خ/ولابن المعتز[2]: أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقل مجازه، وكثر إعجازه، وتناسبت صدوره وأعجازه[3].

د/ وسمع خالد بن صفوان رجلا يتكلم، ويكثر الكلام، فقال : (أعلم رحمك الله) أن البلاغة ليست بخفة اللسان،وكثرة الهذيان، ولكنها بإصابة المعنى، والقصد إلى الحجة [4]. ومن هنا عرّف العلماء البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة عباراته .

في العصرين الجاهلي والإسلامي :

بلغ العرب في الجاهلية والإسلام مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان، وقد صوّر الذكر الحكيم ذلك في غير موضع منه من مثل: (الرحمن علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان) [5] (وإن يقولوا تسمع لقولهم) [6] (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا الدنيا) [7]، كما صوّر شدة عارضتهم وقوتهم في الحجاج والجدل بمثل : (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد) [8]، (وما ضربوا لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون)[9].)[9].

ومن أكبر الدلالة على ماحذقوه من حسن البيان، أن كانت معجزة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحجته القاطعة لمّا دعا أقصاهم وأدناهم إلى معارضة القرآن في بلاغته الباهرة، وهي دعوة تدل في وضوح على ما أوتوه من اللسن والفصاحة والقدرة على حوك الكلام، كما تدل على بصرهم بتمييز أقدار الألفاظ والمعاني، وتبيّن ما يجري فيها من جودة الإفهام، وبلاغة التعبير، ويروى أن الوليد بن المغيرة أحد خصوم الرسول (صلى الله عليه وسلم) الألدّاء استمع إليه وهو يتلو بعض آي القرآن، فقال : (والله لقد سمعت من محمد كلاما، ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق) [10]، وفي كلام الوليد ما

---

[1] النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب : ج7ص9
[2] نفس المصدر السابق : ج7ص11
[3] نفسه : ج7ص11
[4] مختار العقد الفريد : ص 98
[5] المصحف : سورة الرحمن الآيات (1، 2، 3 ، 4)
[6] نفسه : سورة المنافقون الآية (24)
[7] نفسه : البقرة الآية (204)
[8] نفسه : الأحزاب الآية (19)
[9] نفسه : الزخرف الآية (58)
[10] أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي :روح المعاني في تفسير القرآن الكريم : دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع : بيروت لبنان : طبعة 1997: ج16ص 212

يظهرنا على أنهم كانوا يعربون على إعجابهم ببلاغة القول في تصاوير بيانية، ويعرض علينا الجاحظ في بعض فصوله بكتابه (البيان والتبيين) كيف كانوا يصفون كلامهم في شعرهم وخطابتهم ببرود العصب الموشاة وبالحلل والديباج والوشي وأشباه ذلك) [1].

وكثيرا ما وصفوا خطباءهم بأنهم مصاقع لسن، كما وصفوهم بالرمي بكلام لاذع عضب قاطع، وفي أمثالهم جرح اللسان كجرح اليد، ويروي أنّ الرسول الكريم استمع لبعض خطبائهم، فقال :(إنّ من البيان لسحرا) [2]، ونفس أدبهم الذي خلّفوه يحمل في تضاعيفه ما يصوّر فصاحة منطقهم، وكيف كانوا يتأتون للكلام، حتى يبلغوا كل ما كانوا يريدون من استمالة القلوب والأسماع، وأحسّ بذلك الجاحظ من قديم فقال: (لم نرهم يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد وفي صنعة طوال الخطب، وكانوا إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور ميّثوأ الكلام في صدورهم وقيّدوه على أنفسهم، فإذا قوّمه الثّقّاف وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محككا منقحا، ومصفّى من الأدناس مهذبا)[3]، فبلغاؤهم من الخطباء والشعراء لم يكونوا يقبلون كل ما ما يرد على خواطرهم، بل ما يزالون ينقّحون ويجوّدون حتى يظفروا بأعمال جيدة، وهي أعمال كانوا يجيلون فيها الفكرة، ويعاودون النظر, متكلفين جهودا شاقة في التماس المعنى المصيب تارة، والتماس اللفظ المتخيّر تارة أخرى، يقودهم في ذلك بصر محكم يميّزون به المعاني والألفاظ بعضها من بعض، بحيث يصونون كلامهم عمّا قد يفسده أو يهجّنه .

وقد وقف الجاحظ في بيانه مرارا ينوّه بما كانوا يرسلونه في خطابتهم وكلامهم في أسجاع محكمة الرصف، وكرر القول في أنّ من شعرائهم " من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا (كاملا) وزمنا طويلا يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، يقلّب فيها رأيه، اتهاما لعقله، وتتبعا على نفسه، فيجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره، وكانوا يسمّون تلك القصائد الحوليات والمقلّدات، والمنقحّات، والمحكّمات، ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا "[4].

وقد لقبوا شعراءهم ألقابا تدل على مدى إحسانهم في رأيهم مثل المهلهل والمرقش والمثقب والمنخل اليشكري و الأفوه والنابغة، وكأنما كان هناك ذوق عام دفع الشعراء ومن ورائهم من الخطباء إلى تحبير كلامهم وتجويده . ومما لا شك فيه أنّ أسواقهم الكبيرة هي التي عملت على نشأة هذا الذوق، وخاصة سوق عكاظ بجوار مكة، إذ كان الخطباء والشعراء يتبارون فيها . وكل يريد أن يحوز قصب السبق لدى سامعيه دون أقرانه . ويظهر أنّه كان لقريش في ذلك الحكم الذي لا يرد، ففي الأغاني : (إنّ العرب كانت تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولا، وما ردوه منها كان

---

[1] الجاحظ أبو عثمان بن عمرو بن بحر : البيان والتبيين : دار ومكتبة الهلال : لبنان – بيروت طبعة 1992: ج1ص222

[2] نفس المصدر السابق : البيان والتبيين ج1ص349

[3] نفسه ج2ص14

[4] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني ج2ص9(طبع الساسي)

مردودا، فقدم عليهم علقمة بن عبدة التميمي، فأنشدهم قصيدته : (هل ما علمت وما استودعت مكتوم) فقالوا : هذا سمط الدهر، ثم عاد عليهم العام القادم، فأنشدهم قصيدته: (طحا بك قلب في الحسان طروب) فقالوا : " هاتان سمطا الدهر " [1] ويبدو أنّ من الشعراء النابهين من كان يقوم في هذا السوق مقام القاضي الذي لا تدفع حكومته، ففي أخبار النابغة الذبياني أنّ الشعراء كانوا يحتكمون فيها إليه، وكان في يبدي الملاحظات على معاني الشعراء وأساليبهم، فمن نوّه به طارت شهرته في الآفاق،، ويقال إنه فضّل الأعشى على حسّان بن ثابت، وفضّل الخنساء على بنات جنسها وثار حسّان عليه، وقال له: أنا والله أشعر منك ومنها، فقال له حيث تقول ماذا ؟
قال : حيث أقول :

لنا الجفناتُ الغرُ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دماً

ولدنا بني العنقاء وابني محرقٍ فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابناً[2]

فقال له النابغة : " إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . وفي رواية أخرى : فقال له إنك قلت الجفنات فقللت العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر، وقلت يلمعن بالضحى، ولو قلت يبرقن بالدجى، لكان أبغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقا، وقلت يقطرن من نجدة دما، فدللت على قلة القتل، ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . فقام حسّان منكسرا منقطعا [3] "، وفي تعليقات النابغة وملاحظاته ما يدل على أن شعراء الجاهلية كان يراجع بعضهم بعضا وأنهم كانوا يبدون في ثنايا مراجعاتهم بعض الآراء في المعاني والألفاظ .

ويروى عن طرفة بن العبد أنه لاحظ على المتلمس : أنه وصف في بعض شعره البعير بوصف خاص بالناقة، فقال ساخرا به : استنوق الجمل [4] وينبغي أن نقف قليلا عند مدرسة زهير بن أبي سلمى، وهي مدرسة كانت تجمع إلى الشعر روايته، وهي تبدأ بأوس بن حجر التميمي الذي تلقّن عنه الشعر زهير المزني ولقّنه بدوره لابنه كعب وللحطيئة، ولقّنه الحطيئة هدبة بن الخشرم العذري، ولقّنه هدبة جميل بن معمر، وعنه تلقّنه كثيّر [5]، وهي مدرسة لم تكن تمضي في نظم الشعر عفو الخاطر، بل كانت تتأنى فيما تنظم منه. وتنظر فيه وتعيد النظر مهذبة منقّحة، وقد وصف الأصمعي قطبيها زهيرا والحطيئة فقال :
(زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر) .

---

[1] الأصفهاني أبو الفرج : ج21ص12 (طبع الساسي)
[2] حسان بن ثابت الأنصاري : ديوانه وضعه وضبط الديوان وصححه عبد الرحمن البرقوقي – دار الكتاب العربي – بيروت سنة 1990 : ص 424-425
العنقاء : ثعلبة بن عمرو مزيقياء أحد أجداد الأزد القدماء في اليمن ، ومعروف أن الخزرج قبيلة حسان الأزدية ، ويريد بالمحرق جبلة بن الحارث أمير الغساسنة في الشام لأوائل القرن السادس ، وهم أيضا من الأزد .
[3] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني ج21ص112(طبع الساسي)
[4] نفس المرجع السابق : الأغاني ج21ص132
[5] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني ج8ص19

وكذلك كل من جوّد في شعره ووقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة [1] . وهي جودة كانت تقوم على التصفية والترويق، فالشاعر من أمثال زهير والحطيئة حين ينظم قصيدة يظل يتأمل في أعطافها، فيحذف - أو يزيد - بيتا، ويصلح عبارة هنا أو هناك، ويصفّي الأبيات من شوائبها، ويخلّص القوافي من أدرانها تخليصا تاما .

وفي الأغاني :" كان الحطيئة راوية زهير وآل زهير،ويروى أنه أتى كعبا، فقال له : قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعرا تذكر فيه نفسك، وتضعني موضعا بعدك - وقال أبو عبيدة : تبدأ بنفسك فيه ثمّ تثني بي - فإنّ الناس لأشعاركم أروى، وإليها أسرع فقال كعب [2] :

فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعب وفوّز جرول

كفيتك ما تلقى من الناس واحدا تنخّل منها مثلما تنتخّل

تثقّفها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل ما يتمثّل

وهو يزعم أنه هو والحطيئة يتفوقان على كل من عداهما في تقويم أشعارهما وأخذها بكل ما يمكن من تنقيح و تعديل، حتى تبدو أساليبها مستوية متناسقة أشد ما يكون الاستواء والتناسق، وهما جميعا من مدرسة زهير، والتي كان يتخرج فيها بعضهم على بعض، فالتلميذ يلزم أستاذا له، يأخذه برواية شعره ومعرفة طريقته، وما يزال به حتى تتفتح مواهبه ويسيل الشعر على لسانه، وحينئذ يورد عليه بعض ملاحظاته على ما ينظم، وقد يصلح له بعض نظمه .

و أنما أطلنا في تصوير ما قدمناه عن العصر الجاهلي لندل على أنّ الشعراء حينئذ كانوا يقفون عند اختيار الألفاظ والمعاني والصور، وكانوا يسوقون أحيانا ملاحظات لا ريب في أنها أصل الملاحظات البيانية في بلاغتنا العربية، ومن يتصفّح أشعارهم يجدها تزخر بالتشبيهات و الاستعارات والكنايات، و تتناثر فيها من حين إلى حين ألوان من المقابلات والجناسات، مما يدل دلالة واضحة على أنهم كانوا يعنون عناية واسعة بإحسان الكلام والتفنن في معارضه البليغة .

وأخذت تنمو هذه العناية بعد ظهور الإسلام، بفضل ما نهج القرآن ورسوله الكريم من طرق الفصاحة والبلاغة، أما القرآن الكريم فكانت آياته تتلى في آناء الليل وأطراف النهار، وأما الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فكان حديثه يذيع على كل لسان، وكانت خطبه ملء الصدور والقلوب، وفيه يقول الجاحظ :
"إنه لم ينطق إلاّ عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلاّ بكلام قد حفّ بالعصمة .. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشّاه بالقبول،وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، ثمّ لم

---

[1] الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر : البيان والتبيين : ج2ص13

[2] كعب بن زهير المازني : ديوانه : تحقيق علي فاعور – دار الكتب العلمية بيروت : لبنان ط1سنة 1987م ص 73-74

يسمع الناس بكلام قطّ أعم نفعا،ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا،ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلى الله عليه وسلم" [1] .

وفي أخبار الرسول (ص) ما يدل على أنه كان يعني أشدّ العناية بتخيّر لفظه، فقد أثر عنه (ص) أنه كان يقول : (لا يقولن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل : لقست نفسي " كراهية ن يضيف المسلم الخبث إلى نفسه")[2] .
وكان أبو بكر و عمر وعثمان وعليّ خطباء مفوهين، وكانوا يستضيئون في خطابتهم بخطابة الرسول الكريم وآي الذكر الحكيم .. وربما كان مما يدل على رقّة الحسّ حينئذ ما يروى عن أبي بكر من أنه عرض على لرجل معه ثوب، فقال له : أتبيع الثوب ؟ فأجابه : لا، عافاك الله، وتأذّى أبوبكر مما يوهمه ظاهر اللفظ إذ قد يظنّ أنّ النفي مسلّط على الدعاء، فقال له : " لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا وعافاك الله" [3]، ويضرب الرواة مثلا لبلاغة عمر (رضي الله عنه) أنه كان يستطيع أن يخرج الضاد من أي شدقيه شاء [4]. وكان لا يبارى فصاحة وبلاغة .

ويسوق الجاحظ حوارا طريفا بين أبي الأسود الدؤلي وغلام كان يتقعّر في كلامه، وقد تلوّمه أبو الأسود تلوّما عنيفا لاستخدامه ألفاظا مفرطة في الغرابة [5] .
والحق أن الملاحظات البيانية كثرت في هذا العصر، وهي كثرة عملت فيها بواعث كثيرة، فقد تحضّر العرب واستقروا في المدن والأمصار، ورقيت حياتهم العقلية، ونما العقل العربي نموّا واسعا، فكان طبيعيا أن ينمو النظر في بلاغة الكلام وأن تكثر الملاحظات المتصلة بحسن البيان، لا في مجال الخطابة والخطباء فحسب، بل أيضا في مجال الشعر والشعراء، بل لعل المجال الثاني كان أكثر نشاطا لتعلق الشعراء بالمديح وتنافسهم فيه، وقد فتح لهم الخلفاء والولاة والقوّاد والأجواد أبوابهم، فوفدوا من كل فجّ، وكانوا يجعلون جوائز كل منهم بقدر شعره وبراعته فيه، فاشتدّ التنافس بينهم، وهيّأ من بعض الوجوه لاندلاع الهجاء بين فريق منهم، والمهم أنه هيّأ لكي يتخيّر كل منهم معانيه وألفاظه بحيث تصغي لها القلوب والأسماع، وتساق إليه الجوائز الفخمة.

وأخذ الشعراء - بحكم استقرارهم في المدن يلقى بعضهم بعضا في المساجد والأندية والأسواق و على أبواب من يمدحونهم وفي حضرتهم، فكثرت المحاورات - بينهم من جهة، وبينهم وبين سامعيهم من جهة ثانية - في براعتهم وفي بعض معانيهم وأساليبهم، وقامت في هذا العصر سوق المربد في البصرة وسوق الكناسة في الكوفة مقام سوق عكاظ في الجاهلية، بل تحوّلا إلى ما يشبه مسرحين كبيرين، يغدو عليهما شعراء البلدتين ومن يفد عليهما من البادية، لينشدوا الناس خير ما صاغوه من أشعار . واستطاع جرير والفرزدق أن يتطوروا في سوق المربد بفن الهجاء القديم، فإذا يصبح مناظرة واسعة في

---

[1] الجاحظ : البيان و التبيين ج2ص17
[2] المصدر السابق ج1ص335
[3] نفسه : ج1ص261
[4] نفسه ج1ص62
[5] نفسه: ج1ص379

حقائق عشيرتي الشاعرين، وحقائق قيس وتميم، ويحاكيهما كثير من الشعراء، ويتجمع لهما الناس يصفّقون كلما مرّ بهم بيت نافذ الطعنة ويهتفون ويصيحون [1] .

أعلم أن البلاغة في وضع اللغة، هي الوصول إلى الشيء والانتهاء إليه فيقال : بلغت البلد، أبلغ بلوغا، والاسم منه البلاغة وسمي الكلام بليغا، لأنه قد بلغ به جميع المحاسن كلها في ألفاظه ومعانيه، وهو مصطلح النظار من علماء البيان، عبارة عن الوصول إلى المعاني البديعة بالألفاظ الحسنة، إن شئت قلت هي عبارة حسن السبك مع جودة المعاني، والمقصود من البلاغة هو وصول الإنسان بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل بالمعاني،وعن الإطالة المملة للخواطر، فإذا تمهّدت هذه القاعدة كان تمامها، فلنذكر مواقع البلاغة، ثم نذكر مراتبها، ثم نردفها ببيان حكمها [2].

بيان موقع البلاغة :

أعلم أن الأشياء في التحقق والثبوت مراتبها أربع :

الأولى : تحققها في الذهن وتصوّرها، وهذه المرتبة هي الأصل، وعليها تترتب الوجودات الأخر، لأن الشيء إذا لم يكن له تصوّر في الذهن وتحقّق فإنه لا يمكن وجوده في الخارج بحال، ثم بعض التصوّرات الذهنية قد يستحيل وجودها في الخارج، كما تقول في القديم و القدرة القديمة، والحياة القديمة فإن هذه وإن أمكن تصوّرها في الذهن لا حقيقة لها في الخارج بالبرهان العقلي، وتارة يكون له وجود في الخارج وهو سائر الممكنات[3] .

الثانية : التحقق في الأعيان، وهذا نحو ما يوجد في العالم من المكونات، فإن لها تحققا في الوجود الخارجي والتعيين الوجودي، ولسنا نريد بالوجود العيني هو كل مدرك، ولكن نريد كل ما حمله الوجود الخارجي عن الذهن مدركا كان أو غير مدرك [4].

الثالثة : الألفاظ الدالة على تلك الصور الخارجية والذهنية فإن هاهنا ألفاظا قد وضعت للدلالة عليها لضرب من المصلحة العقلية [5].

الرابعة : الكتابة الدالة على تلك الألفاظ، فالمرتبتان الأوليّتان لا يفتقران إلى المواضعة، لأنهما عقليان، والمحتاج إلى المواضعة هما الثالثة والرابعة، ومزية الكمال في الحسن والجمال تكون فيهما جميعا، والبلاغة تحصل في كل واحد منهما، لكن الكلام أوسع مجالا وأعظم مضطربا، وفيه وقع التنافس في البلاغة نظما ونثرا[6] .

---

[1] أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ج10ص152 (طبعة دار الكتب)

[2] العلوي الإمام يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ص 66

[3] نفس المصدر السابق : ص 67

[4] العلوي الإمام يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ص 67

[5] نفس المصدر السابق : ص 67

[6] نفسه : ص 67

والكتابة مسبوقة في المواضعة عليها بالكلام فلا يمكن المواضعة عليها إلاّ بعد سبق الكلام، فقد تفننوا في الخط من التفنن وتوسعوا فيه ضروبا من التوسعات ولنشر من ذلك إلى تصرفين :

الأول : منها بالإضافة إلى النقط وذلك أربعة وجوه :

أولها: أن تكون الكلمات المتوالية معراة كلها من النقط وهذا مثاله قول الحريري :

أعدد لحسادك حدّ السلاح وأورد الآمل ورد السماح [1]

وثانيها : أن تكون الكلمات كلها لا حرف منها إلاّ وهو منقوط ومثاله أيضا ما قاله الحريري :

فتنتني فجنّنتني تجني بتجنّ يفتن غبّ تجنّي [2]

وثالثهما : أن توجد كلمات، واحدة منها كلها منقوطة وواحدة لا حرف فيها منقوط وهذا كقوله أيضا : " الكرم - ثبّت الله جيش سعودك - يزين، اللؤم - غضّ الدهر جفن حسودك - يشين "[3].

ورابعها : كلمة واحدة، واحد من أحرفها منقوط والآخر معرّى من النقط، ومثاله قوله أيضا :" أخلاق سيّدنا تحبّ، بعقوقه يلبّ " [4]

التصرف الثاني : يرجع إلى الاتصال و الانفصال في الأحرف،وذلك يكون على وجهين، أحدهما أن تكون منفصلة ومثاله ما قاله بعضهم :

وزر دار زرزور وزر دار زاره ودار رداح إن أردت دواء

فترى هذه الأحرف حاصلة على جهة الانفصال .

وأعلم أن البلاغة مختصة في الكلمة المركبة،دون المفردة، فلا يوصف الكلام بكونه بليغا إلاّ إذا جمع الأمرين جميعا، مع حسن اللفظ وجودة المعنى، فمتى كان هكذا وصف بالبلاغة، فإن كان المعنى جزلا، واللفظ غير فصيح، أو كان اللفظ فصيحا، وكان معناه ركيكا نازلا، فإنه لا يوصف بالبلاغة أصلا، وهذا غير مستبعد .

وبيانه بالمثال، فإن من كان معه لآل، كل واحد فيها في نهاية النفاسة على انفرادها، ثم ألفها تأليفا نازل القدر، فإنه يهون أمرها، حتى يقال : إن هذه ليست تلك من أجل قبح تأليفها، وعكسه من كانت معه لآل نازلة القدر، فألفها تأليفا عجيبا، ونظمها نظما رشيقا، يعظم في المرأى موقعها حتى يخيّل للناظر أنها غيرها لما يظهر من حسن التأليف، فهكذا حال الكلمة المفردة بالإضافة إلى تأليفها ونظمها، فاتفاق اللفظ والمعنى فهو الموصوف بالبلاغة، فإن نقص أحدهما وبطل لم يكون موصوفا بالبلاغة .

---

[1] نفسه : ص 67

[2] نفسه : ص 67

[3] نفسه : ص 67

[4] نفسه : ص 68

في مراتب البلاغة :
أعلم أن الألفاظ إذا كانت مركبة لإفادة المعاني، فإنه يحصل بمزية التركيب حظ لم يكن حاصلا من الإفراد، كما أن الإنسان إذا حاول تركيب صورة مخصوصة من عدة أنواع مختلفة أو عقد مؤلف من خرز ولآلئ، فالحسن في تركيب الألفاظ غير خاف، ثم ذلك الحسن له طرفان، ووسائط[1]:

فالطرف الأعلى منه يقع التناسب فيه بحيث لا يمكن أن يزاد عليه، وعند هذا تكون تلك الصورة وذلك النظام في الكلام في الطبقة العليا من الحسن والإعجاب، والطرف الأسفل إن لم يحصل هناك من التناسب قدر بحيث لو انتقص منه شيء لم تحصل تلك الصورة، ثم بين الطرفين مراتب مختلفة متفاوتة جدا، فإذا عرفت هذا فنقول أما الطرف الأسفل فهل يعد من البلاغة أم لا ؟

والحق أنه معدود منها ؛ لأنا قد قلنا : إنه طرف لها وما كان طرف للشيء فهو منه وبعض له ؛ وزعم بن الخطيب[2] أنه ليس من البلاغة في شيء، ولا يكون معدودا منها ؛ لأن منزلة البلاغة أعلى وأشرف من أن يقال : إنه ليس بين هذا الكلام وبين خروجه عن حدّ البلاغة إلاّ أن ينتقص منه شيء، فما هذا حاله من الكلام خلا أن بعضها أبلغ من بعض، فالأعلى أبلغ مما تحته في المراتب .

وأما الطرف الأعلى وما يقرب منه فهو المعجز، لأنه ليس فوقه رتبة، لأنه قد بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة الحاصلين من جهة مفردات الحروف تارة، ومن جهة تركيبها أخرى .

في حكم البلاغة :
أعلم أنه لا خلاف بين أهل التحقيق من علماء البيان أن الكلام لا يوصف بكونه بليغا إلاّ إذا حاز مع جزالة المعنى فصاحة الألفاظ، ولا يكون بليغا إلاّ بمجموع الأمرين كليهما، فقد صارت البلاغة وصفا عارضا للألفاظ والمعاني كما ترى .

وأما الفصاحة فهل تكون من عوارض الألفاظ ؟، أو تكون من عوارض المعاني أو لمجموعهما ؟ وهذا فيه مذاهب أربعة [3]:

أولها : أنها من عوارض الألفاظ مجردة لا باعتبار دلالتها على المعاني، وهذا هو الذي يشير إليه كلام ابن الأثير في كتابه (المثل السائر) فإنه قال : إن الفصاحة مدركة بالسمع، وليس يدرك بحاسة السمع إلاّ اللفظ، فلهذا كانت مقصورة عليه .

---

[1] الإمام يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ص 98
[2] نفس المصدر السابق : ص 69
[3] الإمام يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ص 69

وثانيها : إن الفصاحة من عوارض المعاني، وهذا هو الذي يرمز إليه ابن الخطيب الرازي في كتابه (نهاية الإيجاز) فإنه زعم أن الفصاحة عبارة عن الدلالات المعنوية لا غير، من غير حاجة إلى اللفظ لا على جهة القصد، ولا على جهة التبعية .

وثالثها : أن الفصاحة عبارة عن الألفاظ باعتبار دلالتها على مسمياتها المعنوية، وهذا شيء حكاه بن الخطيب في كتابه (نهاية الإيجاز) ولم يغره أحد على أحد من علماء البيان . وحاصل مذهبهم أن الفصاحة عبارة عن الأمرين جميعا، فلا هي في أوصاف اللفظ كما زعمه ابن الأثير على الخصوص، ولا هي من أوصاف المعاني على الخصوص كما حكيناه عن ابن الخطيب .

ورابعها : أن تكون الفصاحة مقولة على الأمرين جميعا، فتكون مفيدة لهمت جميعا، فيكون الأمران أعني المعاني والألفاظ من مسمى قولنا : فصاحة، فهذا المذهب يخالف المذهب الثالث، فإنّ هؤلاء جعلوا اللفظ والمعنى من مدلول لفظ الفصاحة . والذين قبلهم جعلوا اللفظ هو مسمى الفصاحة، لكن اعتبار المعنى على جهة الضم والتبعية لا غير، فهذا تقرير مذاهب العلماء في مدلول لفظ الفصاحة، وفائدة إطلاقه .

والمختار عندنا تفصيل نشير إليه، وهو أن الفصاحة من عوارض الألفاظ، لكن ليس بالإضافة لمطلق الألفاظ فقط، ولكن بالإضافة إلى معانيها، فتكون الفصاحة عبارة عن الأمرين جميعا، مطلق الألفاظ ودلالتها على ما تدل عليه من معانيها المفردة والمركبة، وهذا المذهب هو الذي حكاه ابن الخطيب عن بعض علماء البيان ويدل على ما قلناه **وجوه ثلاثة**[1] :

أولها : قوله (صلى الله عليه وسلم) :" إنّ من البيان لسحرا" والبيان هو الفصاحة لأن البيان هو الظهور، وذلك لا يستعمل إلاّ في الألفاظ، ولابد من اعتبار دلالتها على معانيها، لأنا لو لم نعتبر ذلك لكانت الألفاظ مما يمجّها السمع، وينبو عنها الطبع، فضلا على أن تكون سحرا، فإذن لابد من اعتبار الأمرين في كون الكلام فصيحا، ومراده عليه السلام بقوله (لسحرا) يعني أنه يحيّر العقول في حسنه ورونقه، ورقة معانيه، وعن هذا قال بعضهم : فصاحة المنطق سحر الألباب .

وثانيها : إنهم يقولون في الوصف كلام فصيح، ومعنى بليغ، ولا يقولون معنى فصيح، فدلّ على أن الفصاحة من متعلقات الألفاظ، وأن فصاحته إنما كانت باعتبار ما دلّ عليه من حسن المعنى وشاقته . وفي هذا دلالة على وجوب اعتبار الأمرين في فصيح الكلام كما قلناه .

---

[1] العلوي الإمام يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المكتبة العصرية بيروت – لبنان: ص : 70

ثالثها : إنا نراهم في أساليب كلامهم يفضلون لفظة على لفظة، ويؤثرون كلمة على كلمة، مع اتفاقهما في المعنى، وما ذاك إلاّ لأن إحداهما أفصح من الأخرى، فدلّ ذلك على أن تعلق الفصاحة إنما هو في الألفاظ العذبة، والكلمة الطيبة، ألا تري أنهم استحسنوا لفظ الديمة، والمزنة، واستقبحوا لفظ البعاق، لما في المزنة والديمة، من الرقة واللّطافة، ولما في البعاق من الغلظ والبشاعة، ومما أغرق في اللذة والسلاسة قوله تعالى في وصف خروج القطر من السحاب : (فترى الودق يخرج من خلاله)[1]، فأين هذا من قول امرئ القيس في هذا المعنى : **فألقى بصحراء العقيق بعاعه**[2].

فانظر ما بين الودق والبعاع فاختصاص الودق بالرقة واللطافة عمّا تضمنه، البعاع، من الغلظ والبشاعة دلالة ظاهرة على ما قلناه من أن الفصاحة راجعة إلى اللفظ لأجل دلالته على معناه، فأما من زعم أن الفصاحة متعلقها اللفظ لا غير، فقد أبعد،فإن الألفاظ لا ذوق لها ولا يمكن الإصغاء على سماعها إلاّ لأجل دلالتها على معانيها، فأما إذا خلت عن الدلالة عليها فلا وقع عليها بحال، وغالب ظني أنه لابد له من اعتبار المعنى، خلا أن يكون ضمنا وتبعا للألفاظ لا محالة .
وأبعد من هذا من زعم أن متعلق الفصاحة في المعاني فقد، كما حكيناه عن ابن الخطيب، فإن المعاني إنما توصف بالبلاغة، فأما الفصاحة فإنها من صفات الألفاظ كما مرّ بيانه . وعلى الجملة فإن أراد أنه لابد من اعتبار الأمرين جميعا، اللفظ المعنى، على أن إطلاق الفصاحة على أحدهما ويكون الثاني تبعا فالخلاف لفظي، وإن أراد إطلاق اسم الفصاحة إنما يكون على أحدهما على انفراده، فهو خطأ كما أسلفنا تقريره .

البليغ :
عرّف الحصري : في كتابه (زهر الآداب) البليغ فقال : (هو ما يحوك الكلام حسب المعاني، ويخيط الألفاظ على قدود المعاني) .[3] وهذا التعريف أصبح علما للبلاغة التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وعليه، فإن البليغ الحائز على ذوق رفيع وثقافة واسعة وحفظ عظيم، لتتمثل الصور في ذهنه وتتحلّق في سماء الإبداع عنده.

مراتب البلاغة :
بلاغة الكلام متفاوتة لأن الألفاظ إذا ركبّت لإفادة المعاني المرادة منها، حصل لها التركيب صور مختلفة لا يحصرها العدّ، ألا ترى أن طلبة الفرقة إذا كتبوا في موضوع واحد في منشئاتهم تناولوا معاني متقاربة أو متشابهة لكنهم يتفاوتون في الأشياء التالية[4] :

---

[1] المصحف : سورة الثور : الآية (43)
[2] امرؤ القيس بن حجر : ديوانه تحقيق وشرح : حجر عاصي – دار الفكر العربي – بيروت لبنان 1994- ص : 78
[3] الحصري : زهر الآداب تأليف محمد محي الدين عبد الحميد – دار الجيل الطبعة الرابعة 1972 : ج1ص21
[4] أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة : دار القلم بيروت لبنان : ص 36

(1) العبارة التي ينشئونها 0
(2) ترتيب المعاني 0
(3) بسط الألفاظ أو إيجازها 0

وكلما كان المتكلم أكثر مراعاة للمقتضيات والاعتبارات ازداد الكلام حسنا، وكلما كان أوفى بها كان أبلغ،وبالعكس إذا قلّ وفاؤه بتلك الخصوصيات المعتبرة عند البلغاء كان أقلّ مرتبة في البلاغة، ولا يزال ينزل حتى يصل إلى المرتبة السفلى فيلتحق عند البلغاء بأصوات الحيوان، وإن كان صحيح الإعراب، والمرتبة العليا وما يقرب منها هي مرتبة المعجز وهو كلام الله تعالى الذي عجز البشر قاطبة أن يأتوا بأقصر سورة من مثله، وقد نزل في أرقى العصور فصاحة وأكملها بلاغة، ومع ذلك وجم العرب وخرست شقاشقهم مع طول التحدي وشدّ النكير عليهم وحقّت له الكلمة العليا، ثمّ يليه في الرتبة كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد أوتي من جوامع الكلم ما حارت في أمره جهابذة الفصاحة وأساطين البلاغة، ثمّ كلام البلغاء من العرب جاهليين وإسلاميين .

الفصل الأول (تطوّر النظرية البلاغية)

المبحث الثاني : علم البيان وأقسامه

لمّا وضع "علم الصرف " للنظر في أبنية الألفاظ، ووضع "علم النحو" للنظر في إعراب ما تركّب منها، وضع "البيان" وهو في اصطلاح المتقدمين من أئمة البلاغة يطبق على فنونها الثلاثة من باب تسمية الكل باسم البعض - وخصّه المتأخرون بالعلم الباحث عن المجاز والاستعارة التشبيه والكناية - والغرض منه صوغ الكلام بطريقة تبيّن ما في نفس المتكلم من المقاصد، وتوصل الأمر الذي يريده إلى نفس السامع [1].

ووضع هذا العلم في أمر تركيب الألفاظ **هو ثلاثة علوم** :

العلم الأول : ما يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريده المتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع ويسمى (علم المعاني) .

العلم الثاني : ما يحترز به عن التعقيد المعنوي، أي أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد ويسمى (علم البيان) .

العلم الثالث : ما يراد به تحسين الكلام ويسمى (علم البديع) فعلم البديع تابع لهما، إذ بهما يعرف التحسين الذاتي، وبه يعرف التحسين العرضي.

وإذا كان هنالك أسلوبان في أداء المعنى :

- أسلوب مباشر .
- أسلوب غير مباشر .

فإن مباحث البيان هي مباحث أداء المعنى بالأسلوب غير المباشر، أي بأسلوب التصوير البلاغي .

ويعرف علماء البلاغة البيان بقولهم[2] : (هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه)، ومعنى هذا أن هنالك طرائق متعددة في التعبير عن المعنى الواحد، ولكنها ليست متساوية من حيث وضوح دلالتها أو خفاؤها، فمنها ما هو أوضح وأظهر ومنها ما هو أخفى وأغمض .

فإذا شئنا مثلا التعبير عن كرم شخص اسمه (أحمد) بأسلوب التصوير البياني عبرنا عن ذلك بصور مختلفة في التشبيه، فقلنا :

- أحمد كالبحر في السخاء .
- أحمد بحر في السخاء .

---

[1] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص244-245

[2] وليد قصّاب : البلاغة العربية (البيان والبديع) ص 27- الإمارات العربية – دبي ط1997

- أحمد كالبحر .
- أحمد بحر .

وليست جميع صور التشبيه هذه - كما سوف نرى - متساوية في وضوح الدلالة على معنى الكرم . وقد تعبر عن معنى الجود بأسلوب بياني تصويري آخر، هو أسلوب الاستعارة، فنقول عن هذا الشخص - مصرحا باسمه مرة، وغير مصرح به أخرى :

- رأيت بحرا يجول بين الناس .
- غمر أحمد بالعطاء كل الناس .
- تتلاطم لجّة أحمد عطاء وإنعاما .

ومن الواضح أن دلالة هذه الصور الاستعارية علة معنى الكرم غير متساوية، كما أنها غير متساوية مع صور التشبيه السابقة في الدلالة، وقد تعبر عن معنى الكرم بأسلوب بياني تصويري آخر هو الكناية، فنقول :

- أحمد مهزول الفصيل .
- أحمد جبان الكلب .
- أحمد كثير الطبخ .
- أحمد كثير الرماد .

وهذه كلها صور كنائية تعبر عن معنى الكرم،وينتقل منها إلى ما يترتب عليها لأن هزال الفصيل - ولد الناقة - إنما يكون بسبب إعطاء لبن أمه للأضياف، و " جبن الكلب " بسبب إلفة الناس لكثرة مجيئهم، فهو لا يهادي أحدا، ولا ينبح في وجه أحد، حتى ليحسب جبانا و " كثرة الطبخ " دلالة على كثرة الضيوف، و" كثرة الرماد " تعبير عن كثرة الإحراق للطبائخ من كثرة الأضياف، وهذا كله يعني الكرم، ومن الواضح كذلك أن هذه الصور الكنائية ليست سواء فيما بينها من حيث جلاء الدلالة على المعنى المراد، وهي كذلك غير متساوية مع صور البيان الأخرى التي مرت في ظهور هذا المعنى وانكشافه ..

إذن فالبيان هو التعبير عن المعنى بأساليب متعددة، ولكنها - كما تلاحظ - أساليب تصويرية، غير مباشرة، ولذلك لا يدخل في البيان تعبيرك عن معنى الكرم بمثل قولك :

- أحمد كريم .
- أحمد شديد الكرم .
- أحمد لا نظير لكرمه .
- أحمد أكرم الناس .

وما شاكل ذلك من الطرق لأنها أدت المعنى بصورة مباشرة .

البيان - إذن - مجاله الصورة الأدبية التي يبدعها المتكلم، ويعبر بها عن المعنى المراد .

وصفه روبرت فروست بقوله : " أن تقول شيئا وتعني شيئا آخرا " ومباحث البيان التي تشكل الصورة البلاغية هي[1] :

- التشبيه .
- المجاز .
- الكناية .

إذن هو اسم لكل شيء كشف له بيان المعنى، وهتك له الحجب، دون الضمير - حتى يفضي السامع إلى حقيقته، وهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان [2]، ومن أي جنس كان ذلك الدليل - لأن مدار الأمر الغاية التي يجري إليها القائل والسامع،إنما هو الفهم والإفهام . فبأي شيء بلغت الأفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع، وأعلم أن المعتبر في علم البيان دقة المعاني المعتبرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضح الألفاظ الدالة عليها . فالبيان هو المنطق الفصيح، المعرب عمّا في الضمير.

فإذا كان معنى البيان (الإيضاح) كان متعديا . وإن كان بمعنى (الظهور) كان لازما .

يقال : أبنت الشيء وأبان الشيء - وكذلك بيّنت الشيء أظهرته، وبان الشيء ظهر- وكذلك تبيّنت الشئ، وتباين الشيء، واستبنت الشيء، واستبان الشيء بمعنى واحد، والتبيان بالكسر البيان والكشف والإيضاح[3].

فعلم البيان : علم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد بصور متفاوتة، وتراكيب مختلفة في درجة الوضوح، مع مطابقة كل منها مقتضى الحال، فالمحيط بفن البيان الضليع من كلام العرب منثوره ومنظومه، إذا أراد التعبير عن أي معنى يدور في خلده ويجول بضميره، استطاع أن يختار من فنون القول، وطرق الكلام ما أقرب لمقصده، وأليق بغرضه، بطريقة تبين ما في نفس المتكلم من المقاصد وتوصل الأثر الذي يريده إلى نفس السامع في المقام المناسب له، فينال الكاتب، والشاعر، والخطيب من نفس مخاطبيه إذا جوّد قوله، وسرهم ببديع بيانه[4] .

أثر علم البيان في تأدية المعاني [5]:

ظهر لك من دراسة علم البيان: أن معنى واحدا يستطاع أداؤه بأساليب عدة، وطرائق مختلفة، وأنه قد يوضع في صورة رائعة في صور التشبيه أو الاستعارة، أو المجاز المرسل، أو المجاز العقلي، أو الكناية، فقد يصف الشاعر إنسانا بالكرم، فيقول:

---

[1] وليد قصّاب : البلاغة العربية (البيان والبديع) : الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : ص 29- الإمارات العربية – دبي ط1997

[2] نفس المصدر السابق : ص 29

[3] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ص244

[4] نفس المصدر السابق: ص244-

[5] نفسه : ص 244

يريد الملوك مدى جـعفر ولا يصنعون كما يصنع [1]
وليس بأوسعهم في الغنى ولكن مــعروفه أوسع [2]

وهذا كلام بليغ جدا، وع أنه لم يقصد فيه إلى تشبيه أو مجاز، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل، مع أنه ليس بأغنى منهم، ولا بأكثر مالا .

وقد يعتمد الشاعر عند الوصف بالكريم إلى أسلوب آخر فيقول :

كالبحر يقذف للقريب جواهرا جودا ويبعث للبعيد سحائبا[3]

فيشبه الممدوح : بالبحر، ويدفع بخيالك إلى أن يضاهي بين الممدوح والبحر الذي يقذف الدرر للقريب، ويرسل السحائب للبعيد، أو يقول :

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله [4]

فيدعي أنه البحر نفسه، وينكر التشبيه نكرانا يدل على المبالغة، وادعاء المماثلة الكاملة، أو يقول :

علا فلا يستقر المال في يده وكيف تمسك ماء قنة الجبل ؟[5]

فيرسل إليك التشبيه : من طريق خفي،ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى في البلاغة وليجعل لك من - التشبيه الضمني - دليلا على دعواه، فإنه ادعى : أنه لعلو منزلته ينحدر المال من يديه، وأقام على ذلك برهانا . " فكيف تمسك ماء قنة الجبل ؟" أو يقول :

جرى النهر حتى خلته منك أنعما تساق بلا ضن وتعطي بلا من

الضن : البخل – المن : الامتنان بتعداد الصنائع .

فيقلب التشبيه زيادة في المبالغة، وافتنانا في أساليب الإجادة، فيشبه ماء النهر بنعم الممدوح، بعد إن كان المألوف : أن تشبه النعم، بالنهر، الفياض، أو يقول :

كأنه حين يعطي المال مبتسما صوب الغمامة تهمي وهي تأتلق

تهمي : تسيل – تأتلق : تلمع .

فيعمد إلى التشبيه المركب، ويعطيك صورة رائعة، تمثل لك حالة الممدوح وهو يجود، وابتسامة السرور تعلو شفتيه، أو يقول :

جادت يد الفتح والأنواء باخلة وذاب نائله والغيث قد جمدا [6]

فيضاهي بين جود الممدوح والمطر، ويدعي أن كرم ممدوحه لا ينقطع إذا انقطعت الأنواء أو جمد القطر، أو يقول :

قد قلت للغيم الركام ولجّ في إبراقه وألحّ فـي إرعاده
لا تعرضنّ لجعفر متشبها بندى يديه فلست من أنداده

فيصرح لك في جلاء، وفي غير خشية، بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم، ولا يكتفي بهذا، بل تراه ينهي السحاب في صورة تهديد أن يحاول التشبه بممدوحه، لأنه ليس من أمثاله ونظرائه - فيقول :

---

[1] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ص 356
[2] نفسه : ص 356
[3] ديوان المتنبئ : شرح وتحقيق يحيي الشامي – بيروت لبنان 1984ط الرابعة – قافية الباء ص 58
[4] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص 229
[5] نفس المصدر السابق : ص357
[6] يحيي شامي ، شرح ديوان المتنبئ – قافية الدال ص 119

فأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يمشي أم إلى البدر يرتقي [1]

يصف حال رسول الروم داخلا على سيف الدولة، فينزع في صف الممدوح الكرم، إلى الاستعارة التصريحية، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسي التشبيه، والمبالغة فيها أعظم، وأثرها في النفوس أبلغ، أو يقول :

دعوت نداه دعوة فأجابني وعلمني إحسانه كيف آمله[2]

فيشبه ندى ممدوحه وإحسانه (بإنسان) ثم يحذف المشبه به - ويرمز إليه بشيء من لوازمه - وهذا ضرب آخر من ضروب المبالغة التي تساق الاستعارة لأجلها، أو يقول: **ومن قصد البحر استقلّ السواقيا**[3] فيرسل العبارة كأنها مثل،ويصور لك أن من قصد ممدوحه استغنى عمّن هو دونه، كما أن قاصد البحر لا يأبه بالجداول ، فيعطيك استعارة تمثيلية، لها روعة وفيها جمال، وهي فوق ذلك تحمل برهانا على صدق دعواه، تؤيد الحال الذي يدعيها، أو يقول :

ما زلت تتبع ما تولي يدا بيد حتى ظننت حياتي من أياديكا[4]

فيعدل عن التشبيه والاستعارة، إلى "المجاز المرسل" ويطلق كلمة "يد" ويريد بها النعمة ؛ لأن اليد آلة النعم وسببها،أو يقول :

أعاد يومك أيامي لنضرتها واقتصّ جودك من فقري وإعساري[5]

فيسند الفعل لليوم، وإلى الجود، على طريقة المجاز العقلي، أو يقول :

فما جازه جود ولا حلّ دونه ولكن يسير الجود حيث يسير[6]

فيأتي بكناية عن نسبة الكرم إليه، بادعاء أن الجود يسير معه دائما، لأنه بدل أن يحكم بأنه كريم، ادعى بأن الكرم يسير معه حيث سار .

ولهذه الكناية من، والتأثير في النفس، وحسن تصوير المعنى، فوق ما يجده السامع في غيرها من بعض ضروب الكلام، فأنت ترى أنه من المستطاع التعبير عم وصف إنسان بالكرم بأكثر من أسلوب وأسلوب، كل: له جماله، وحسنه، وبراعته، ولو نشاء لأتينا بأساليب كثيرة أخرى في هذا المعنى ؛ فإن للشعراء ورجال الأدب افتنانا وتوليدا للأساليب والمعاني، لا يكاد ينتهي إلى حدّ.

---

[1] يحيي شامي ، شرح ديوان المتنبئ : قافية القاف : ص 198

[2] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ص 229

[3] يحيي شامي ، شرح ديوان المتنبئ : ص 221- انظر جواهر البلاغة ص 358

[4] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص358

[5] العلوي : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ص 213- أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص359

[6] بدوي طبانة : علم البلاغة – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية ط 1954: ص 86

الكناية تعريفها وأنواعها :

الكناية لغة : ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره [1].

وأنشد الجوهري لأبي زياد :

وإني لأكنو عن قدور باسمها وأعرب أحيانا بها وأصارح

وهي مصدر كنيت أو كنوت بكذا، إذا تركت التصريح به .

الكناية عكس التصريح والإيضاح، وهي نقيض التعبير عن الشيء بأسلوب مباشر، إنها نوع من الإخفاء والتغميض[2] ، نقول مثلا : (فلان يشار إليه بالبنان)

ولا نريد المعنى الظاهر للعبارة، وهي أن الأصابع تشير إلى فلان ؛ فهذه دلالة لا قيمة لها، وليست هي مراد المتلكم، إذ لا كبير طائل من ورائها مجردة، وإنما العبارة رمز لمعنى آخر يكمن ورائها، وهو معنى الشهرة، والنباهة، وذيوع الصيت، بحيث إذا مر هذا الإنسان أشار إليه الناس، وربما لا تكون هنالك إشارة ولا مرور على الإطلاق، وإنما هو مجرد تخييل، وتجسيد لمعنى الشهرة والنباهة، وإذا كان اللفظ في التعبير الكنائي يومئ إلى ما وراءه، وتلزم منه دلالة أخرى كما عرفت، فالكناية إذن تعبير غير مباشر من غير وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الظاهر المباشر من غير تأويل[3].

وفي مصطلح علماء البيان([4]) :

وهذا ما عبر عنه ابن الأثير بقوله[5] :

(حدّ الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلّت على معنى يجوز حمله على جانب الحقيقة والمجاز) نحو قوله تعالى : {إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة} [6].

فقد كنى بذلك عن النساء . والوصف الجامع بينهما هو التأنيث، فالمعنى هنا يجوز حمله على الحقيقة كما يجوز حمله على المجاز) [7]، ذكر ابن سراج المالكي في كتابه كتابه (المصباح)[8]، وتقرير ما قاله في ماهية البلاغة، هو ترك التصريح بالشيء، إلى مساويه في اللزوم، لينتقل منه إلى الملزوم).

---

[1] العلوي : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ص 186
[2] وليد قصّاب : البلاغة العربية (البيان والبديع) : الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : ص 225
[3] نفس المصدر السابق : ص 225
[4] نفسه : ص 225
[5] ابن الأثير :ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المثل السائر تحقيق محمد محي الدين سنة 1939ص 248
[6] المصحف : سورة (ص) الآية (23)
[7] ابن الأثير : المثل السائر : ص 248
[8] العلوي : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ص 187

الكناية : من فعل كنّ يكنّ كنّا الشيء : ستره وغطاه وأخفاه، والعلم أسرّه ذكره أبو هلال العسكري في كتابه (الصناعتين) وعرفه فقال : (هو أن يكنّي عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء)[1] ومثل بقول العنبري : (إذ بعث إلى قومه بصرة شوك ورمل وحنظلة ...)[2] : يريد جاءتكم بني حنظلة في عدد كثير ككثيرة الرمل والشوك .

واكتفى عبد الرحيم بن أحمد في كتابه (معاهد التنصيص) بذكر المثل دون تعريف الكناية، ومثل مقول لأبي ذؤيب الهزلي قال في رثاء أبنائه (من بحر الكامل) :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع [3]

وذكر أسامة بن منقذ الكناية مجتمعة مع الإشارة، وعرفها بقوله : أعلم أن الفرق بين الكناية والإشارة، أن الإشارة إلى كل شيء حسن، والكناية إلى كل شيء قبيح) [4] مثل مثل قوله تعالى: (كانا يأكلان الطعام) [5] ، كناية عن قضاء الحاجة، وقوله عزّ وجلّ : : (فيهن قاصرات الطرف) [6] إشارة إلى عفافهن"، وتكلم ابن الأثير الجزري في كتابه (المثل السائر) عن الكناية وعرفها بقوله : أعلم أن الكناية تنقسم إلى قسمين : أحدهما ما يحسن استعماله، والآخر ما يحسن استعماله وهو عيب في الكلام فاحش) [7]، وقد ذهب قوم إلى أن الكناية تنقسم أقساما ثلاثة : (تمثيلا، وإردافا، ومجاورة) ولكنه علق عليه بقوله: " هذا التقسيم ليس بصحيح " وقال أيضا معرفا الكناية : (إذا وردت الكناية عن طريق اللفظ المركب، كانت شديدة المناسبة واضحة الشبهة، وإذا وردت عن طريق اللفظ المفرد، لم تكن بتلك الدرجة في قوة المناسبة والمشابهة).

وعرفه يحيي بن حمزة العلوي في كتابه (الطراز) فقال[8]:(ذكره ابن الأثير ، وحاصل ما قاله : " إنه اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا الوضع الحقيقي ولا المجازي " .

وذكره ابن حجة الحموي في كتابه (خزانة الأدب) وعرفه فقال : " الكناية هي الإرداف بعينه عند علماء البيان ؛ وإنما علماء البديع أفردوا الإرداف عنها، والكناية هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو ردفه في الوجود، فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه)[9] . ومثل ومثل بقوله : (البسيط) :

قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم لناره ألسن تكنى عن الكرم[10]

---

[1] العلوي : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ص 186
[2] نفس المصدر السابق : ص 186
[3] إنعام فوّال كعاوي : المعجم المفصّل في علوم البلاغة (البديع و المعاني و البيان) : ص 628
[4] نفس المصدر السابق : ص 628
[5] المصحف : سورة المائدة : الآية (75)
[6] نفس المصدر السابق : سورة الرحمن : الآية (56)
[7] إنعام فوّال عكاوي : المعجم المفصّل في علوم البلاغة (البديع و المعاني و البيان) ص 628
[8]) العلوي : الإمام يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ـ ت : عبد الحميد هنداوي هنداوي – المكتبة العصرية صيدا : بيروت ط1 2002م ج1ص193
[9] إنعام فوّال عكاوي : المعجم المفصّل في علوم البلاغة (البديع و المعاني و البيان) ص 628
[10] إنعام فوّال عكاوي : المعجم المفصّل في علوم البلاغة (البديع و المعاني و البيان) : ص 628

بين المجاز والكناية : وهذا فرق بين الكناية والمجاز، في المجاز لابد أن ينصرف الذهن إلى المعنى المجازي لوجود قرينة توجبه وتمنع إرادة المعنى الحقيقي، ولكن هذه القرينة ليست موجود في الكناية، مما يجعل اللفظ للمعنى الحقيقي والمعنى الكنائي، أي إرادة المعنى مع إرادة لازمه، وإن كان لازم المعنى هو المقصود عادة وقد تمنع إرادة المعنى الحقيقي أحيانا، و يبدو واجبا إرادة المعنى المجازي . وهكذا فالكناية أغمض من الحقيقة، وهي تحتاج على إلى تأمل ونظر، وإعمال ذهن ودراية بأحوال البيئة، وغيرها من ملابسات اجتماعية ؛ فمن لا يعرف بيئة العرب مثلا قد لا يفطن على دلالة الكنايات، الكناية إذن ترك التصريح، وهي التغطية والستر . وأنها في أصل معناها اللغوي تحمل هذا المعنى، قال النابغة الجعدي[1]:

أكنّي بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتتم

أي لا يذكر اسمها صراحة، بل يخفيه ويستره، ويذكرها بغيره .

وقد عبر عن معنى الكناية ودلالاتها المختلفة، أبلغ تعبير عبد القاهر الجرجاني بقوله[2]:(الكناية والتعريض) : " هذا فن من القول دقيق المسلك ، لطيف المأخذ . وهو أنا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا مذهب الكناية والتعريض ، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب ، وإذا فعلوا ذلك ، بدت هناك محاسن تملأ الطرف ، ودقائق تعجز الوصف ، ورأيت هناك شعرا شاعرا ، وسحرا ساحرا ، بلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفلق ، والخطيب المصقع ، وكما أن الصفة إذا لم تأتك مصرحا بذكرها مكشوفا عن وجهها ، ولكن مدلولها عليها بغيرها ، كان ذلك أفخم لشأنها ، وألطف لمكانها – كذلك إثبات الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحا من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة ، كان له من الفضل والمزية ، ومن الحسن والرونق ، ما يقل قليله ، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه "

ركنا الكناية : لكل كناية ركنان هما :

1/ المكنى به : وهو المعنى الحقيقي للعبارة، أي المعنى المذكور الذي يلزم منه معنى آخر .

2/ المكنى عنه : وهو المعنى الحقيقي المستور، الذي نخفيه بالمكنى به، ويكون مراد المتلكم .

والعلاقة بين الركنين علاقة تلازم، بحيث أن أحدهما يستدعي الآخر، ويحضره في الذهن، والكناية قد تكونه في اللفظ المفرد كما في قوله تعالى :(أحل ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) [3]، فالرفث كناية عن الجماع.

وقوله تعالى : (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) [4] . فالنعجة كناية عن المرأة .

---

[1]) الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني : تحقيق إحسان عباس ، إبراهيم السعافين ، بكر عباس – دار صادر بيروت لبنان الطبعة الأولى 2002 - ص :20

[2]) الجرجاني الإمام عبد القاهر : دلائل الإعجاز شكله وشرح غامضه وخرج شواهده وقدم له ووضع فهارسه د. ياسين الأيوبي : المكتبة العصرية – صيدا – بيروت : ط1سنة 2000: ص 41-42

[3]) المصحف : سورة البقرة : الآية (187)

[4]) نفس المصدر السابق : سورة ص : الآية (24)

وقد تكون الكناية في التركيب كما في قوله تعالى : (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها)[1].

والكنايات التالية كلها في التركيب :

- فلان يمشي على بيض (كناية عن صفة البطء) - فلان ألقى عصاه (كناية عن الاستقرار وعدم الترحال)
- فلانة بعيدة مهوى القرط (كناية عن طول العنق)

الكناية هي توضيح المقام : أنه إذا أطلق اللفظ، وكان المراد منه غير معناه - فلا يخلو إما : أن يكون معناه الأصلي مقصودا أيضا، ليكون وسيلة إلى المراد، وإما أن يكون مقصودا - فالأول : الكناية - والثاني : المجاز .

فالكناية هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له ولكن يجئ إلى معنى هو مرادفه، فيومئ به إلى المعنى الأول، ويجعله دليلا عليه .

أو الكناية : هي اللفظ الدال على ما له صلة بمعناه الوضعي، لقرينة لا تمنع من إرادة الحقيقة، كزيد نقي الثوب، أي مبرأ من العيوب، وكلفظ (طويل النجاد) المراد به طول القامة، فإنه يجوز أن يراد منه طول النجاد أي علاقة السيف أيضا، فهي تخالف المجاز من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيقي مع إرادة لازمه، بخلاف المجاز فإنه لا يجوز إرادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المانعة من إرادته .

كنى عن كبر السن بتوابعه، وهي التنحنح والسعال .

وقولهم : **المجد بين ثوبيه،والكرم بين برديه** .

وقوله :

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت لابن الحشرج [2]

وقوله :

وما يك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل [3]

فإن (جبان الكلب) كناية - وكذا (مهزول الفصيل) والمراد منها ثبوت الكرم وكل واحدة على حدتها تؤدي هذا المعنى، وقد جاء عن العرب كنايات كثيرة كقوله :

بيض المطابخ لا تشكو إماؤهم طبخ القدور ولا غسل المناديل [4]

ومن أمثلة العرب قولهم [5] : لبست لفلان جلد النمر، وجلد الأرقم : كناية عن العداوة، وكذلك قولهم : قلبت له ظهر المجن، كناية عن تغيير المودة .

ويقول القوم [1] : فلان برئ الساحة، إذا برؤوه من تهمة - ورحب الذراع، إذا كان كثير المعروف - وطويل الباع في الأمر، إذا كان مقتدرا فيه، وقوي الظهر، إذا كثر ناصروه .

---

[1]) نفسه : سورة الكهف : الآية (42)

[2] ديوان زياد الأعجم : قافية الجيم : الموسوعة الشعرية (المجمع الثقافي أبوظبي) إصدار 2003م

[3]) هو عبد الله بن الحشرج ، أمير نيسابور ، وفد عليه الشاعر ومدحه بقصيدة منها هذا البيت ، ديوانه ص 77

[4]) أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص345

[5]) نفس المصدر السابق : ص 345

والكناية اصطلاحا [2]: لفظ أريد به غير معناه الذي ضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته - نحو (زيد طويل النجاد) تري بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة، إلى الإشارة بشيء ترتب عليه وتلزمه، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، فإذا المراد طول قامته، وإن لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقي - ومن هنا يعلم أن الفرق بين الكناية، دون المجاز : فإنه ينافي ذلك .
نعم : قد تمتنع إرادة المعنى الأصلي في الكناية، لخصوص الموضوع كقوله تعالى : (والسماء مطويات بيمينه) [3] وكقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) [4]، كناية عن تمام القدرة، وقوة التمكن والاستيلاء .

وتنقسم الكناية بحسب المعنى الذي تشير إليه إلى **ثلاثة أقسام** [5] :

- **كناية عن صفة** : وهي التي يكون فيها المكنى عنه صفة، والمقصود صفة معنوية، أي معنى من المعاني : كالكرم، الشجاعة، الذكاء، ونحو ذلك .

وليست الصفة بمعنى النعت كما هو الحال في النحو .
كقولنا مثلا : فلان لا ينبح كلبه في وجه أحد ..

فعدم نباح الكلب في زجه الضيوف ليس هو المقصود على حقيقته، إذ ليس لهذا المعنى أهمية في موطن الثناء على فلان، بل المقصود منه ما يترتب عليه وهو صفة الكرم التي أراد المتكلم أن يخلعها عليه ؛ إذ يلزم من هذا القول أن الكلب تعود على الضيوف، وألفهم لكثرة ترددهم على فلان - صاحبه، فلم يعد ينبح في وجوههم، مما يدل على الكرم وحب الضيفان .
كما تقول (هو ربيب أبي الهول) كناية عن شدة كتمانه لسره، وتعريف كناية الصفة : ملفوظا أو ملحوظا من سياق الكلام .

- **كناية عن موصوف** : وهي التي يكون المكنى عنه موصوفا، أي اسم ذات وليس معنى من المعاني كما هو الحال في النوع السابق .

كقول القائل (هوى ما بين جنبيّ) من الخوف : فهذه كناية عن الخوف (القلب) هو الذي يستقر بين الجنبين، ويتعلق الخوف به .ولكن القائل لم يذكره صراحة بل كنى عنه بمكان وجوده، والقلب ذات، فهو موصوف، فهذه كناية عن موصوف .
وقولك أن أخاف ملك الغاب : في الكناية عن موصوف هو الأسد .
وقولك أحب سفينة الصحراء : في الكناية عن موصوف هو الجمل .

---

[1]) نفسه : ص 346
[2]) نفسه: ص 346
[3]) المصحف : سورة الزمر : الآية (67)
[4]) نفس المصدر السابق : سورة طه: الآية (5)
[5] وليد قصّاب : البلاغة العربية (البيان والبديع) : الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : ص 230- جواهر البلاغة ص 347

كما تقول (أبناء النيل) تكنى عن أهل السودان ومصر، و(مدينة النور) تكنى عن باريس، وتعرف بذكر الصفة مباشرة أو ملازمة، ومنها قولهم : (تستغني مصر عن مصب النيل ولا تستغني عن منبعه) كنوا بمنع النيل عن أرض السودان ومنها قولهم : (هو حارس على ماله) كنوا به عن البخيل الذي يجمع ماله ولا ينتفع به، ومنها قولهم : (هو فتى) كنوا به عن القوة .

- **كناية عن نسبة** : وهي أن تنسب صفة من الصفات إلى أمر يتعلق بالموصوف كقولنا :

الذكاء بين عينيه ، البركة تمشي في ركابه .

نسبنا في العبارة الأولى الذكاء إلى أمر يتعلق بالموصوف، وهو (العين)، ونسبنا البركة في العبارة الثانية إلى ما يتعلق به أيضا (الركاب) ، فمن الواضح في هذين النوعين أن الصفة والموصوف مذكوران في الكلام بشكل صريح، لم يخف أحدهما إلى الآخر أو يكن عنه، كما هو الشأن في النوعين السابقين ولكن المتكلم لم ينسب أحدهما إلى الآخر بشكل مباشر ، ولو كان الأمر كذلك لكان الكلام حقيقة لا كناية، فلو أعطينا الصفات في العبارتين السابقتين إلى الموصوفين من غير تأول فقلنا :

فلان ذكي .

فلان مبارك .

لكان هذا الكلام من باب الحقيقة، ولا كناية فيه .

ومن هذا النوع قول العرب[1] : مثلك لا يكذب .

وحقيقة العبارة : (أنت لا تكذب) فهو يريد أن ينسب أليه صفة (عدم الكذب) فنسبها على من كان مثله، فنسبها إلى من كان مثله، لا على وجود (مثل) أو تخييله .

ومن ذلك قولهم : **غيري يخون ويغدر**

أراد أن ينسب لنفسه صفة عدم الخيانة والغدر، ولكنه لم يقل ذلك بشكل صريح، بل نسبها إلى ما يتعلق به وهو (الغير) وحقيقة العبارة : أنا لا أخون ولا أغدر، وليس على تخيل (غير) معين أو إرادته ، وسيأتي الكلام عليها فيما بعد بالتفصيل عن هذا الأمر .

فالقسم الأول : وهو الكناية التي يطلب بها الصفة هي ما كان المكنى عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور في الكلام :

وهي نوعان :

- **كناية قريبة** : وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه والمعنى المنتقل إليه .

مثال : إمرأة نئوم الضحى – فلان عريض القفا

[1] وليد قصّاب : البلاغة العربية (البيان والبديع) : الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : ص 231- الإمارات العربية – دبي ط1997

- **كناية بعيدة** : وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط.

نحو قول الخنساء في رثاء أخيها صخر :

طويل النجاد رفيع العماد ساد عشيرته أمردا [1]

قصدت الخنساء وصف صخر بطول القامة والشجاعة، فعدلت عن التصريح بما أرادت الإشارة إليه بطول النجاد لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول قامة صاحبه . أما طول القامة يلزم الشجاعة غالبا - كما أرادت وصفه بالعزة والكرامة والسيادة فلم تصرح بقصدها وصرحت بما يستدعي ما أرادت فقالت : رفيع العماد، فرفعة العماد تستلزم أنه عظيم المكانة في قومه عالي الشأن بين عشيرته، لجريان العادة بذلك، وعمدت إلى وصفه بالجود والكرم، فقالت : كثير الرماد تشير إلى كثرة الإيقاد للإطعام . وهذا يلزم الكرم .

نحو : فلان كثير الرماد، كناية عن المضياف، والوسائط هي : الانتقال من كثرة الرماد على كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز ومنها إلى كثرة الضيوف ومنها إلى المطلوب، وهو المضياف الكريم .

القسم الثاني : الكناية التي يكون فيها المكنى عنه موصوفا بحيث يكون إما معنى واحدا (كموطن الأسرار) كناية عن القلب، وكما في قول الشاعر :

فلما شربناها ودب دبيبها إلى موطن الأسرار قلت لها قفي

إما مجموع معان : كقولك : جاءني حي مستوي القامة، عريض الأظفار، كناية عن الإنسان، لاختصاص مجموع هذه الأوصاف به، ونحو :

الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان [2]

كنى الشاعر بمجامع الأضغان عن القلوب وهي كناية موصوف ولا تتعداه ليحصل الانتقال منها إليه .

القسم الثالث : الكناية التي يراد بها نسبة أمر آخر، إثباتا أو نفيا، فيكون المكنى عنه نسبة، أسندت إلى ماله صلة اتصال به نحو قول الشاعر :

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت لابن الحشرج [3]

فإن جعل هذه الأشياء الثلاثة في مكانة المختص به يستلزم إثباتها له والكناية المطلوب بها النسبة :

(أ) إما أن يكون ذو النسبة مذكورا فيها كقول الشاعر :

اليمن يتبع ظـله والمجد يمشي في ركابه

أي أنه صاحب خير وكرم ومجد – وهنا كناية النسبة واضحة .

(ب) وإما أن يكون ذو النسبة غير مذكور فيها : كقولك : الناس من ينفع الناس، كناية عن نفي الخيرية عمن لا ينفعهم .

---

[1] الخنساء : ديوانها : المكتبة الثقافية ، بيروت – لبنان - ص 33

[2] أبو نواس الحسن بن هاني : ديوانه – الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان خمرياته وغزله : ص 327

[3] مرّ بنا هذا البيت وهو لزياد الأعجم

وتنقسم الكناية أيضا باعتبار الوسائط (اللوازم) والسياق إلى أربعة أقسام [1]:

- التعريض .
- التلويح .
- الرمز .
- الإيماء .

1/ التعريض : هو أن يطلق الكلام، ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق نحو: قولك للمؤذي (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) تعريضا بنفي صفة الإسلام عن المؤذي، وكقول الشاعر :

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا

2/ التلويح : لغة : أن تشير إلى غيرك من بعد :

واصطلاحا : هو الذي كثرت وسائطه بلا تعريض، نحو :

وما يك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب، مهزول الفصيل، فإن الفكر ينتقل إلى جملة الوسائط .

3/ الرمز : لغة : أن تشير إلى قريب منك خفية، نحو : شفة أو حاجب .

واصطلاحا : هو الذي قلت وسائطه مع خفاء في اللزوم بلا تعريض، نحو :

فلان عريض القفا، أو عريض الوسادة : كناية عن بلادته وبلاهته، ونحو : مكتنز اللحم كناية عن شجاعته، ومتناسب الأعضاء كناية عن ذكائه، غليظ الكبد كناية عن القسوة .

4/ الإيماء أو الإشارة : وهو الذي قلت وسائطه، مع وضوح اللزوم بلا تعريض كقول الشاعر :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في لآل طلحة ثم لم يتحول

كناية عن كونهم أمجادا أجادا، بغاية الوضوح .

ومن لطيف ذلك قول بعضهم :

سألت الجود والندى مالي أراكما تبدّلتـــما ذلا بعزّ مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما فقالا: أصبنا بابن يحيي محمد
فقلت : فهلا متّما عند موته فقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا : أقمنا كـي نعزي بفقده ثم مسافة يوم ثم نتلوه في غد

الجود : الكرم – تبدّلتما : تغيرتما – موبّد : ثابت .

ركن المجد : المقصود هنا هو يحيي بن محمد .

عبديه : أي أنه قصد أن الجود والكرم هما عبدان ليحيي بن محمد .

نعزي : نترحّم – نتلوه : نتذكّره .

---

[1] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص 350

والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح، لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم، هو كالدعوى ببينة، فكأنك تقول في: زيد كثير الرماد، زيد كريم، لأنه كثير الرماد وكثرته تستلزم .... الخ .

- كيف لا - وأنها تمكن الإنسان من التعبير عن أمور كثيرة، يتحاشى الإفصاح بذكرها، إما احتراما للمخاطب أو للإبهام على السامعين، أو للنيل من خصمه، دون أن يدع له سبيلا عليه، أو لتنزيه الأذن عما تنبو عن سماعه ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية .

ما ورد من الكنايات في كلام البلغاء [1] :

فمن ذلك ما روي عن عمرو بن العاص أنه لما زوج ولده عبد الله بن عمرو بن العاص، امرأة، فمكثت عنده ثلاث ليال، لم يدن منها، وإنما كان ملتفتا على صلاته، فدخل عليها عمرو بعد ثلاث فقال لها : كيف ترين بعلك ؟ فقالت : نعم البعل هو، إلا أنه لم يغش لنا كنفا، ولا قرب لنا مضجعا، فقولها : لم يغش لنا كنفا من الكنايات الغريبة .

الكنف : الستر، الكنف : الوعاء، وكلاهما محتمل .

ومن أمثال العرب قولهم [2]: إياك وعقيلة الملح : جعلوا هذا كناية عن المرأة الحسناء في منبت السوء، فإن عقيلة الملح هي اللؤلؤة تكون في البحر، فهي حسنة، وموضعها ملح، ومن ذلك قول أمير المؤمنين لابن العباس : وقد بلغني تنمرك على بني تميم، وفلان ورمت أنفه علينا، أي إذا كان مغتاظا يظهر الحنق والغضب، والآن حمي الوطيس جعلوه كناية شدة الحرب والتحامها، أخذ لها من حر النار، والوطيس التنور، وقد قيل : إن أول من تكلم بهذا المثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حنين " .

وهذا مثل جعلوه عن شدة الأمر، وازدحام العظائم في الحروب وغيرها، ومن ذلك ما روي عن امرأة جاءت إلى عائشة رضي الله عنها، فقالت : أقيّد جملي ؟ فقالت لها عائشة : لا، وأرادت المرأة أنها تصنع بزوجها شيئا يمنعه عن غيرها، أي أن تربطه أن يأتي سواها، فظاهر هذا اللفظ يفيد تقييد الجمل، وباطنه أنه جعلته كناية عمّا ذكرناه، ومن هذا ما يحكى عند عبد الله بن أنه أناه رجل عليه بثوب معصفر فقال له: لو أن ثوبك هذا في تنور أهلك لكان خيرا لك، فذهب الرجل فألقاه في التنور، فاحترق، ولم يرد عبد الله احتراقه، وإنما أراد المجاز، وهو أنه لو باعه وصرف قيمته على دقيق يخبزه في التنور أو حطب يلقيه فيها لكان خيرا له.

وهذا الكلام حكاه ابن الأثير عن عبد الله بن سلام هو من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن هذا قولهم : فلان يقدم رجلا ويؤخر أخرى - جعلوه كناية عمن يتحير في أمره، فلا يدري كيف يورده ويصدره، وقوله: ما زال يفتل في الذروة والغارب يجعلونه كناية عن التلطف والاحتيال في المساعدة إلى ما يقصده ويريده، وقولهم :

---

[1] العلوي : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ص 210

[2] العلوي : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ص 210

فلان ينفخ من غير ضرم جعلوه كناية عمّن يفعل فعلا لا يجدي عليه بفائدة، ولا يعود عليه بنفع، لأن النفع في غير ضرم لا يوري نارا، ومن هذا قولهم : فلان يخط على الماء، يكون هذا كناية عمّن يفعل فعلا يكون عدمه كوجوده بالإضافة على عدم الفائدة، لأن الخط على الماء يذهب في أسرع شيء وأقربه والكنايات كثيرة في كلام العرب وأمثالهم .

بلاغة الكناية[1] :

الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، (والسر في بلاغتها) أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها، كقول البحتري[2] في المديح : (الطويل)

يغضون فضل اللحظ من حيث ما بدا لهم عن مهيب في الصدور محبب [3]

فإنه كنى عن إكبار الناس للممدوح، وهيبتهم إياه، بغض الإبصار الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والجلال، وتظهر هذه الخاصة جلية في الكنايات عن الصفة والنسبة .

مثال : ألوت الأيام كف فلان على العصا : في التعبير عن خبرته، وطول دربته في الحياة، يعطيك الدليل على هذا المعنى محسوسا في (يده حتى التوت فوق العصا) من كثرة الجلاد والعراك، وخوض التجارب والصعاب .

وقولنا في التعبير عن سمن المرأة: فلانة خرساء الأساور دليل محسوس على سمن المرأة المتحدث عنها، وبسبب اقتران الدعوى بدليلها كانت أكثر إقناعا من القول الصريح المباشر كقولك في الكنايتين السابقتين:
فلان خبير بالأمور - فلانة سمينة .

ومن أسباب بلاغة الكنايات أنها تضع لك المعاني في صورة للأمل أو لليأس، بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحا ملموسا ، فمثل (كثير الرماد) في الكناية عن الكرم و (رسول الشر) في الكناية عن المزاح .

وقول البحتري :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول [4]

وذلك في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة .
كل أولئك يبرز لك المعاني في صورة تشاهدها، وترتاح نفسك إليها .

---

[1] أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في البلاغة والبيان والمعاني والبديع - المكتبة التجارية الكبرى بمصر ط12سنة 1960م : ص 354
[2] الوليد بن عبيد بن يحيي الطائي أبو عبادة البحتري
[3] البحتري : ديوانه سلسلة شعراؤنا : شرحه وعلق عليه د. محمد التونجي : دار الكتاب العربي – ط1 سنة 1994قافية الباء : ج1ص69
[4] البحتري : ديوانه سلسلة شعراؤنا : شرحه وعلق عليه د. محمد التونجي : دار الكتاب العربي – ط1 سنة 1994 : قافية اللام : ج2ص36

ومن خواص الكناية : أنها تمكنك من أن تشفي غلتك من خصمك من غير أن تجعل له إليك سبيلا، ودون أن تخدش وجه الأدب، وهذا النوع يسمى بالتعريض ومثاله قول المتنبئ في قصيدة يمدح بها كافورا ويعرض بسيف الدولة :

رحلت فكـم أجفان شادن علي وكم باك بأجفـان ضيغـم
وما ربة القرط المليح مكـانه بأجزع من رب الحـسام المصمم
فلو كان ما بي من حبيب مقنع عذرت ولكن ما بي من حبـيب معمم
رمى واتقى رميي ومن دون ما اتقى هوى كاسر كفي وقوسي وأسهمي
إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصـدق مـا يعتاده مـن تـوهم

فإنه كنى عن سيف الدولة، أولا : بالحبيب المعمم، ثم وصفه بالغدر الذي يدعي أنه من شيمة النساء، ثم لامه على مبادهته بالعدوان، ثم رماه بالجبن لأنه يرمي ويتقي الرمي بالاستتار خلف غيره، على أن المتنبئ لا يجازيه على الشر بمثله، لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديما، يكسر كفه وقوسه، وأسهمه، إذا حاول النضال، ثم وصفه بأنه سيء الظن بأصدقائه، لأنه سيء الفعل، كثير الأوهام والظنون، حتى ليظن أن الناس مثله في سوء الفعل، وضعف الوفاء، فانظر كيف نال المتنبئ من سيف الدولة هذا النيل كله، من غير أن يذكر من اسمه حرفا .

وأيضا قول الشاعر :

رمزت إليه مخافة من بعلها من غير أن تبدي هناك كلامها [1]

بعلها : زوجها – تبدي : تظهر .

في عندئذ أسلوب لإظهار مالا يمكن إظهاره، أو يستقبح ذكره، أو يراد تعظيمه، أو يخاف من بطشه، أو ما شاكل ذلك من أغراض الكناية ومراميها وقد انتشر الرمز الذي هو أسلوب من أساليب الكناية، وأصبحت ميزة فنية يلجأ إليها الأدباء عامة والشعراء خاصة للتعبير عن مستتر الأفكار، ومخبوء المعاني، هذا ومن أوضح مميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تستسيغ الأذان سماعه، وقد كان العرب لا يعبرون عما لا يحسن ذكره إلا بالكناية، وكانوا لشدة نخوتهم يكنون عن المرأة (بالبيضة - والشاة) .

ومن بدائع الكنايات قول العرب :

ألا يا نخلة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام

ذات عرق : موضع بالبادية وهو مكان إحرام أهل العراق

فإنه كنى بالنخلة، عن المرأة التي يحبها .

من علوم البيان في أسرار الكناية [2]:

أعلم أن الكناية في أسرار علماء البيان ما عوّل عليه الشيخ / عبد القاهر الجرجاني، وحاصل ما قاله : هو أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له، بل يأتي بتاليه، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، وتلخيص ما قاله : هو اللفظ الدال على ما أريد به بالحقيقة والمجاز جميعا، ومثاله قولهم : فلان كثير رماد

---

[1] وليد قصاب : البلاغة العربية (البيان والبديع) ص 236

[2] العلوي : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ص 189

القدر، فإن هذا الكلام عند إطلاقه قد دل على حقيقته ومجازه معا، وقد دل على كثرة الضيفان، وهذا مجازه، وهذا يخالف الاستعارة، فإنك إن قلت جاءني الأسد، وأنت تريد الإنسان، فإنه دال على المجاز لا غير، والحقيقة متروكة، وهذه هي التفرقة بين الكناية والاستعارة، والتفرقة بين التعريض والكناية، هو أن الكناية دالة على ما تدل عليه بجهة الحقيقة والمجاز جميعا، بخلاف التعريض، فإنه غير دال على ما يدل عليه حقيقة ولا مجازا، وإنما يدل عليه بالقرينة، فافترقا، وأمثلة الكناية كثيرة في كتاب الله تعالى : ولكنا نقتصر منها على قوله تعالى :(ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) [1]به . فهذه الآية الكريمة قد اشتملت على أسرار في الكناية، ومن هذا قوله تعالى : (كانا يأكلان الطعام) [2] فهو دال على وضع له في أصله من إفادته لحقيقة الأكل، ولكنه مقصود به قضاء الحاجة، وهو مجاز في حقه، فلهذا قلنا بأن الكناية دالة على حقيقة الكلام ومجازه، ومن ذلك قولهم تعالى : (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها) [3]، فقوله : أرضا لم تطئوها : كما يحتمل الحقيقة وهي الأرض المنبتة فهو يحتمل أن يراد به المجاز، وهو الفروج التي ملكهم إياها بالاسترقاق، فلهذا أحل الوطء، ويصدق هذه الكناية قوله تعالى : (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) [4] .

فأما التعريض فهو كما أشرنا إليه دال بالقرينة وليس دالا على حقيقة المجاز، وهذا كقوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام : (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم)[5] (قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون)[6] .
فهذه الكناية إنما وردت كناية وتعريضا بحالهم، وتهكما واستهزاء بعقولهم، ولم يرد إسناد الفعل إلى كبيرهم فذلك مستحيل لكونه جمادا، ولكنه أراد التسفيه لحلومهم، والاستضعاف لعقولهم، كأنه قال : يا جهال البرية، كيف تعبدون مالا يسمع ولا يعقل ولا يجيب سؤالا ولا يحير جوابا، وتجعلونه شريكا لخالق السماء والأرض في العبادة، فإن كان كما تزعمون هو إنما فعله كبيرهم، فاسألوهم إن كانوا ينطقون .
ومن ذلك قوله تعالى : (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره) [7]، فهذه الآية إنما وردت على جهة التعريض بحال الكفار من عبدة الأوثان و الأصنام، وأن من هذه حاله من الضعف والهوان والعجز كيف يستحق أن يكون معبودا ؟ وأن توجه إليه العبادة، وهو لا يستنقذ شيئا من أضعف الحيوانات، ولا يقدر على دفعه لو أراد به سوءا، فهذه في دلالتها على ما تدل عليه لم تبق عليهم في النعي شيئا، ولا تركت عليهم بقية في نقص عقولهم، والازدراء بأحلامهم، والتسفيه لما هم عليه من ذلك، فصدر الآية بما هو مقصود على جهة التأكيد بقوله : (إن الذين تدعون من دون

---

[1] المصحف : سورة الحجرات الآية (12)
[2] نفس المصدر السابق : سورة المائدة الآية (75)
[3] المصحف : سورة الأحزاب الآية (27)
[4] نفس المصدر السابق : سورة البقرة الآية (223)
[5] نفسه : سورة الأنبياء الآية (12)
[6] نفسه : سورة الأنبياء الآية (62) والآية (63)
[7] نفسه : سورة الحج الآية (73- 74)

الله) [1] . ولم يقل إن هذه الأوثان والأصنام لا يؤدي هذا المعنى، ثم عقبها بالنفي على جهة التأكيد بلن في المستقبل بقوله : (لن يخلقوا ذبابا) دلالة على العجز و إظهارا في أن من هذا حاله فلا يستحق أن يكون معبودا، ولا يستأهل الشركة في الإلهية، ثم بالغ في استحالة الخلق، منهم للذباب بقوله : (ولو اجتمعوا له) لأن بالاجتماع تكون المظاهرة حاصلة، فإذا كان الأيأس من خلقه مع الاجتماع، فهو مع الانفراد أحق لا محالة، ثم أكد ذلك بقوله : (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) [2] يشير بذلك إلى أنهم عاجزون عن خلق الذباب وتدبيره نهاية العجز، ويدل على ذلك أنهم لو أخذ منهم الذباب شيئا على جهة السلب والاستيلاء ما قدروا على أخذه والانتصار منه، وهذا هو النهاية في تقاصر الهمم وحقارتها وأنهم في الحقيقة جامعون بين خصلتين، كل واحدة منهما كافية في العجز، فضلا عن اجتماعهما، إحداهما عدم القدرة على خلق الذباب، والثانية عدم الانتصار منه إذا رام أخذ شيء منهم، وخلاصة هذا الكلام وغايته، أن يستحيل عليهم بإدخال النقص في حلومهم وضلالهم عن الحق فيما جاءوا من عبادة هذه الأصنام، أن أذل هذه المخلوقات وأضعفها وأحقرها حالة، وأصغرها حجما، يقهرها ويسلبها ويأخذ متاعها لا تنتصر منه .

وأدخل من هذا في العجز أنه قادر على سلبهم فلا يمتنعون منه، ثم قال : (ضعف الطالب والمطلوب) [3]، فعقب هذه الآية دالة على الاستواء في الضعف بالإضافة على على جلال الله وعظم قدرته، وأن الكل من الذباب و الأصنام ضعيفة حقيرة بل لا تمنع أن يكون الذباب أتم خلقا لكونه حيوانا قادرا، والأصنام جمادا وأكمل حالة لا حراك بها، ولا شك أن خلق الحيوان أتم من خلق الجماد وأكمل حالة، وحكي عن ابن عباس :"أنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران ويضعون على رؤوسها العسل، فيأتي الذباب فيقع على رؤوسها من الكوى فلا تنتصر منه"، ثم قوله : (وما قدروا الله حق قدره) [4] . في ادعاء الشركة بينه وبين الأصنام في استحقاق الإلهية والعبادة، فجعلهما ختاما ختاما لما قدم من حكاية، حالهم في نهاية الضعف والعجز، ولنقتصر على هذا القدر من التنبيه على ما اشتملت عليه هذه الآية من الأسرار واللطافة ما لو ذكرناه لسودنا أوارقا كثيرة ولم نذكر منه أطرافا .

في الكناية والتعريض [5]: هذا فن من القول دقيق المسلك، لطيف المأخذ، وهو أنا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة، بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب، وإذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرف، ودقائق تعجز الوصف، ورأيت هناك شعرا شاعرا، وسحرا ساحرا، وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفلّق، والخطيب المصقع، وكما أن الصفة، إذا لم تأتك مصرحا بذكرها، مكشوفا عن وجهها، ولكن مدلولا عليها بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها، وألف لمكانها، كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له، إذا لم تلقه إلى السامع صريحا، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية، والرمز، والإشارة من الفضل والمزية، ومن الحسن والرونق، ما لا يقل قليله، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه .

---

[1] نفسه : سورة الأعراف الآية (194)

[2] نفسه : سورة الحج الآية (73)

[3] المصحف : سورة الحج الآية (73)

[4] نفس المصدر السابق : سورة الحج الآية (73)

[5] الجرجاني : دلائل الإعجاز ص 199-200

وتفسير هذه الجملة وشرحها، أنهم يرمون وصف الرجل ومدحه، وإثبات معنى من المعاني الشريفة له، فيدعون التصريح بذلك، ويكنون عن جعلها فيه بجعلها في شيء يشتمل عليه ويتلبس به، ويتوصلون في الجملة إلى ما أرادوا من الإثبات، لا من الجهة الظاهرة المعروفة، بل من طريق يخفى،ومسلك يرق .

ومثاله قول زياد الأعجم[1] (من بحر الكامل) :

إن السماحة والمروءة و الندى في قبة ضربت لابن الحشرج [2]

أراد كمالا يخفى، أن يثبت هذه المعاني والأوصاف خلالا للممدوح وضرائب فيه (أي صفات) فترك أن يصرح يقول : (إن السماحة والمروءة والندى لمجموعة في ابن الحشرج، أو مقصورة عليه، أو مختصة به، وما شاكل ذلك مما هو صريح في إثبات الصفات للمذكورين بها، وعدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح، فجعل كونها في القبة المضروبة عليه، عبارة عن كونها فيه، وإشارة إليه، فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة، وظهر فيه ما أنت ترى من الفخامة . ولو أنه أسقط هذه الواسطة من البيت لما كان إلا كلاما غفلا، وحديثا ساذجا، فهذه الصنعة في طريق الإثبات هي نظير الصنعة في المعاني، إذا جاءت كنايات عن معان أخر نحو قوله (من بحر الوافر) :

وما يك في من عيب فأني جبان الكلب مهزول الفصيل [3]

فكم أنه كان من فاخر الشعر ومما يقع في الاختيار لأجل أن أراد أن يذكر نفسه بالقرى والضيافة، فكنى عن ذلك بجبن الكلب وهزال الفصيل، وترك أن يصرح فيقول : (قد عرف أن جنابي مألوف وكلبي مؤدب لا يهر في وجوه من يغشاني من الأضياف وإني أنحر المتالي : (أي التي يتلوها ولدها) من إبلي وأدع فصالها هزلى).

وكذلك إنما راقك بيت زياد السابق هذا - وكما أن من شأن الكناية الواقعة في نفس الصفة، أن تجئ على صور مختلفة، كذلك من شأنها إذا وقعت في طريق إثبات الصفة على هذا الحد، ثم يكون في ذلك ما يتناسب كما كان ذلك في الصفة نفسها، تفسير هذا أنك تنظر إلى قول يزيد بن الحكم يمدح به يزيد بن المهلب وهو في حبس الحجاج .

(من بحر المنسرح) :

أصبح في قيدك السماحة وال‌مجد وفضل الصلاح والحسب [4]

فتراه نظيرا لبيت زياد، وتعلم أن مكان (القيد) هاهنا هو مكان القبة هناك، كما أنك تنظر إلى قوله (جبان الكلب) فتعلم أنه نظير لقوله [5] . (من بحر الكامل) :

زجرت كلابي أن يهر عقورها ....

ومن حيث لم يكن ذلك الجبن، إلا لأن دام منه الجر واستمر حتى أخرج الكلب بذلك عما هو عادته، من الهرير النبح في وجه من يدنو من دار من مرصد أن يعس دونها.

الكناية من المجاز :

---

[1] زياد الأعجم ديوانه : قافية الجيم : الموسوعة الشعرية (المجمع الثقافي أبوظبي) إصدار 2003م

[2] هو عبد الله بن الحشرج ، أمير نيسابور ، وفد عليه الشاعر ومدحه بقصيدة ، منها هذا البيت (ديوانه ص :77)

[3] الجرجاني : دلائل الإعجاز ص 200- د. محمد أبو موسى : التصوير البياني ، منشورات جامعة قاريونس ص 497 ، ط 1997

[4] محمد أبو موسى : التصوير البياني ، منشورات جامعة قاريونس، ط 1997- ص 498

[5] نفس المرجع ص 498

وأكثر علماء البيان عدّ الكناية من أنواع المجاز [1] ومن هؤلاء ابن الأثير (في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لأن اللفظ فيها مستعمل في غير ما وضع له، فقد أطلق وأريد به معنى آخر غير معناه الأصلي .
ويرى عبد القاهر ومن تبع مذهبه كالسكاكي أن الكناية حقيقة إذ إن الحقيقة لفظ مستعمل فيما وضع له سواء أكان ما وضع له مقصودا لذاته أم مقصودا لينتقل منه إلى غير الموضوع له [2]، أما الخطيب فجعلها واسطة بين الحقيقة والمجاز، فهي ليست حقيقة، لأن اللفظ لم يرد منه المعنى الحقيقي، بل أريد لازمه، وليست مجازا، لأن المجاز لابد له من قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وقرينة الكناية غير مانعة، وليس كل كناية يجوز فيها إرادة المعنى الحقيقي لخصوص المادة أو لأنه غير متحقق في الواقع كقوله تعالى :
(الرحمن على العرش استوى) [3] فالاستواء كناية عن الاستيلاء والسيطرة، فالمعنى الحقيقي هنا يمتنع إذ يستحيل أن ينسب إلى الله تعالى الاستواء بمعناه الحقيقي وهو الجلوس، ومثله قوله تعالى : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)[4] فغل اليد كناية عن البخل، وبسطها كناية عن الجود، واليد بمعناها الحقيقي وهو الجارحة مستحيل على الله تعالى، ومثل قوله تعالى: (والسماوات مطويات بيمينه)[5] فهي كناية عن قوة التمكن وتمام القدرة والمعنى أن السماوات مضمومات ومجموعات بقدرته تعالى والغرض من هذا الكلام تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة واليمين من جهة، وهذه الكنايات وأمثالها القصد منها الانتقال من المعنى الحقيقي وطلب دلالته عليه وهو الانتقال منه إلى لازمه المراد هنا، ولا يمنع من عدّ مثل هذه الأساليب من الكناية، لأنه لولا خصوص المادة لجازت إرادة معانيها الحقيقية .
والكناية في لسان علماء البيان ما عوّل عليه الشيخ عبد القاهر الجرجاني، وحاصل ما قاله هو أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له بل يأتي بتاليه، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه، وخلاصة ما قاله هو اللفظ الدال على ما أريد به الحقيقة والمجاز جميعا، ومثاله قولهم : فلان كثير رماد القدر، فإن هذا الكلام عند إطلاقه قد دلّ على حقيقته ومجازه معا، فإنه دال على كثرة الرماد، وهو حقيقته، وقد دلّ على كثرة الضيفان وهو مجازه، وهذا يخالف الاستعارة، فإذا قيل جاءني الأسد، والمراد الإنسان، فإنه دال على المجاز لا غير، والحقيقة متروكة، وهذا هو الفرق بين الكناية والاستعارة، فمبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، كالانتقال من طول النجاد إلى طول القامة، ومن كثرة الرماد إلى الكرم، أي أنه عبر باللازم وأراد الملزوم على عكس المجاز كقول من قال رأيت أسدا يخطب، فإنه انتقال من الملزوم إلى اللازم،أي انتقال من الأسد إلى الشجاعة، فعبّر بالملزوم وهو الأسد وأراد اللازم وهو الشجاعة .

---

[1] العلوي : الطراز : ج1 ص 375
[2] الجرجاني : دلائل الإعجاز : ص 57
[3] المصحف : سورة طه - الآية (5)
[4] نفس المصدر السابق : سورة المائدة- الآية (64)
[5] نفسه : سورة الزمر -الآية (67)

الفصل الثاني (عصر الخنساء وبيئتها)

المبحث الأول : شخصية الخنساء

إن الرثاء الذي كُتب من قبل النساء وشواعر العرب كثر ولكن التاريخ أُجبر أن يلتفت إلى واحدة لا مثيل لها في هذا الخضم الثابج ألا تماضر الخنساء، ومن أندر نساء العرب الخنساء التي نقول عنها :
هي تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهنة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة، بن قيس، بن عيلان ، بن مضر [1]، ومعنى تماضر البيضاء أو البياض ومنه اشتقت المضيرة .

والخنساء لقب لها، وهو مؤنث الأخنس من الخنس . والخنس هو تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة وهي صفة مستحبة أكثر ما تكون في الظباء وفي البقر الوحشية، وكان يقال لها أيضا " خناس " ، وكان بنو سليم يسكنون ما بين الحجاز ونجد . وقد خطبها دريد بن الصمة، وكان شيخا كبيرا فردته إذ آثرت أن تتزوج في قومها، وقد تزوجت رواحة بن عبد بن العزى فولدت له عبد الله، ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر السلمي .فولدت له زيدا ومعاوية وعمرا كما في رواية ابن قتيبة[2]. والعباس ويزيد وحزن (وقيل معاوية) وعمرا وسراقة وعمرة كما في رواية شارح الديوان

حياة الخنساء في الجاهلية :
ولدت الخنساء سنة 575م ونشأت في بيت جاء وثروة . ثم اقترنت بعبد العزى وأجبت له عمرا المعروف بأبي شجرة، واقترنت مرة أخرى بمرداس السلمي فولدت له عدة أولاد اشتهروا بالفروسية والشعر، وكان لها أخوان معاوية وصخر، وكان صخر يعطف عليها بنوع خاص، فقتلا في الجاهلية، وكان لمقتلها صدى بعيد في نفسها . فبكت حتى تقرحت مقلتاها، بل حتى عميت، وذاب قلبها التياعا، ورثتهما بشعر رقيق وخصب صخرا بالقسم الأكبر منه 0

---
[1] الأصفهاني أبو فرج : الأغاني : ج 13ص254.
[2] ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص : 261

والخنساء من أهل نجد عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي وأدركت الإسلام فأسلمت مع بنيها، وكانت وفاتها سنة 24هـ سنة 664م [1]، وهي من بني سليم،وهي قبيلة نشأ فيها غير شاعر مشهور وفي مقدمة هؤلاء زهير بن أبي سلمى، يشير أكثر من مؤرخ ودارس إلى أن أباها كان من ذوي الجاه والثراء . ومن ذوي العزة والمنعة، فقد كان يأخذ بيدي ابنيه صخر ومعاوية في المواسم ويقول: (أنا أبو خيري مضر فتعترف له العرب بذلك) [2].

مولدها ووفاتها : يعتبر تحديد سنة معينة لمولد الخنساء أمر غاية في الصعوبة وكذلك الحال بالنسبة لتحديد سنة معينة لوفاتها . وإذا كانت الصعوبة ي تحديد سنة الميلاد لا تثير أي غرابة على اعتبار أن شاعرتنا ولدت طفلة عادية في مجتمع جاهلي تغلب عليه الأمية، فإن التخبط في تحديد سنة وفاتها أكثر إثارة للعجب خاصة بعد أن اشتهرت وتربعت على عرش الشعر ولقيت الرسول (ص) والخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعائشة أم المؤمنين ..

أما صاحب الروائع فيأخذ برأي المستشرق غبريالي الذي يجعل "مولد الخنساء نحو السنة 575 فرضية ممكنة توافق ما جرى من حوادث في حياتها وحياة أبيها وأخويها وأولادها، أما وفاتها فقد سبق وأشرنا إلى أن غالبية المؤرخين العصريين على أنها كانت 646م وهو أمر لا يستند إلى شيء صريح ومن أبرز رافضي هذه الفرضية الأب شيخو الذي يتبنى فرضية موتها في عهد معاوية بعد أن كبرت وشاخت .

ويبدو صاحب الروائع ميالا إلى موافقة الأب شيخو مستندا إلى ما جاء في شرح رسالة بن زيدون عن علقمة بن جرير الذي روى حادثة أطرف بها معاوية ذكر فيها أنه رأى الخنساء في عرس ابنتها عمرة " جالسة ملتفة بكساء أحمر وقد هرمت " وهذا يؤيد ما جاء عن رواة الأقدمين من أنها كانت" حليقة تدب من الكبر على العصا " وما ورد عن بعضهم من أنها توفيت بالبادية زمن معاوية .

مقتل أخيها معاوية :

روى أبو عبيدة أن معاوية بن عمرو أخا الخنساء غزا بني مرة وبني فزارة، فاعتوره هاشم ودريد ابنا حرملة المريان 0فاستطرد له أحدهما ثم وقف، وشد عليه الآخر فقتله [3]، وروى آخرون أن معاوية وافى عكاظ في موسم من مواسم العرب، فبينا هو يمشي بسوق عكاظ، إذ لقي أسماء المرية، وكانت جميلة، وزعم أنها كانت بغيا، فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت : أما علمت أني عند سيد العرب هاشم ن حرملة ؟! فقال : أنا والله لأغار عنه عنك 0 قالت : شأنك وشأنه 0

---

[1] الخنساء : ديوانها : قدم له وشرحه د0 فايز محمد - دار الكتاب العربي : ص 8

[2] ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص : 263

[3] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني ج15ص85

فرجعت إلى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له 0 فقال هاشم : فلعمري لا يريم أبياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده 0 ولما خرج الشهر الحرام وتراجع الناس عن عكاظ، خرج معاوية بن عمرو غازيا يريد بني مرة وبني فزارة، في فرسان أصحابه من بني سليم، حتى إذا كان بمكان يدعى الحوزة أو الجوزة دوّمت عليه طير، وسنح له ظبي، فتطير منهما ورجع في أصحابه، وبلغ ذلك هاشم بن حرملة فقال : ما منعه من الإقدام إلا الجبن !

ولما كانت السنة المقبلة غزاهم، حتى إذا كان في ذلك المكان سمح له ظبي وغراب فتطير فرجع، ومضى أصحابه وتخلف في تسعة عشر فارسا لا يريدون قتالا، فوردوا ماء، فرأتهم امرأة من جهينة، فأتت هاشم بن حرملة 000 فنادى هاشم في قومه وخرج 000 فاقتتلوا ساعة وانفرد هاشم ودريد ابنا حرملة المريان لمعاوية، فاستطرد له أحدهما فشد عليه معاوية وشغله، واغتره الآخر فطعنه فقتله [1]
ومما قالته الخنساء ترثي أخاها معاوية [2]:

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية إذا طرقت إحدى الليالي بداهية
وكان لزاز الحرب عند شبوبها إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكية
وقواد خيل نحو أخرى كأنها سعال وعقبان عليها زبانية
فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي عليك بحزن ما دعا الله داعية

مقتل أخيها صخر :

روى أبو عبيدة عن أبي هلال بن سهم أنه قال :
(اكتسح صخر أموال بني أسد وسبى نساءهم، فأتاهم الصريخ، فتبعوه فتلاحقوا بذات الأسل فاقتتلوا قتالا شديدا، فطعن ربيعة بن ثور الأسدي صخرا في جنيه، وفات القوم ولم يقعص وجوي منها، ومرض قريبا من حول ، حتى مله أهله) .
قال : فسمع صخر امرأة وهي تسأل سلمى امرأته : كيف بعلك ؟ فقالت سلمى : لا حي فيرجى، ولا ميت فينعى، لقينا منه الأمرين !

وزعم أبو هلال أن صخرا حين سمع مقالة سلمى امرأته قال[3] :

أرى أم سلمى لا تمل عيادتي وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان
وأي امرئ ساوى بأم حليلة فلا عاش إلا في شقا وهوان

فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة مثل اللبد في جنبه موضع الطعنة، قالوا له : لو قطعتها لرجونا لك أن تبرأ 0 فقال : شأنكم 0 فأشفق عليه بعضهم فنهاهم، فأبى وقال : الموت أهون مما أنا فيه ! فأحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه 0
وسمع صخر الخنساء تقول : كيف كان صبره ؟ فقال صخر في ذلك :

---

[1] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني : ج15ص86-87
[2] الخنساء : ديوانها –المكتبة الثقافية بيروت : لبنان ص : 108 .
[3]) نفس المصدر السابق – ص 17

فإن تسأليني هل صبرت فإنني صبور على ريب الزمان صليب
كأني وقد أدنوا علي شفارهم من الصبر دامي الصفحتين ركوب

ثم ما لبث أن مات ودفن في مكانه. ومما قالت الخنساء ترثي به أخاها صخرا [1]:

بكت عيني وعاودها قذاها بعوار فما تقضي كراها
فمن للضيف إن هبت شمال مزعزعة يجاوبها صداها
هنالك لو نزلت بآل صخر قرى الأضياف شحما من ذراها
ليبك عليك قومك للمعالي وللهيجاء إنك ما فتاها

ويستفاد من المعلومات المتوافرة لدينا أن ليس لديها من أخوة غير معاوية شقيقها وصخر أخيها لأبيها، وصخر هو الذي أكثرت فيه الرثاء ولا نعرف لها أخوات لا من أمها ولا من أبيها . فكانت - فيما يبدو - الأبنة الوحيدة لأبويها، وواقع الحال أن شعرها الذي وصلنا خلا من الإشارة إلى أخوات تدعوهن للبكاء معها على أخويها أو على أحدهما على الأقل فهي حين تبكي أباها أو أحد أخويها - معاوية أو صخر- لا تذكر لها أختا تدعوها للنحيب أو لمشاركتها الحزن على ما نزل بها من فجيعة بل نراها تنهج منهج غيرها من الشعراء في الدعوة على هذه المشاركة من حيث المناداة دون الإشارة إلى شخص بعينه، تتحدث موجهة حديثها بضمير المخاطب .

تقول في رثاء معاوية[2] :

ألا ما لعينك أم ما لها لقد أخضل الدمع سربالها

وفي رثاء صخر[3] :

أمن حدث الأيام عينك تهمل تبكي على صخر وفي الدهر مذهل

فهي لا تعني في هذا الشعر واحدة معينة وإنما هو لون من افتتاح الشعر نجده عند غيرها من الشعراء.

وهكذا يمكننا القول إن الخنساء كانت الابنة الوحيدة لأبويها - ومن الجائز - بل ومن المألوف في وضع كوضعها - أن تكون أثيرة يحنو عليها الكبير والصغير، ومن هنا كانت محببة عند أخويها فآثراها بحبهما ومن ثم كانت الصلة بينها وبين أخويها قوية إلى جانب أنها أختهما، على ذلك فأثر فقد الأخوين عليها لابد وأن يكون موجعا ومؤثرا تأثيرا خطيرا على نفسها، وهذا ما يصوره لنا شعرها أصدق تصوير [4].

والظاهر أن الخنساء كانت أصغر من أخويها . وأن علاقتها بهما تقوم على المحبة والاحترام المتبادلين ليس أدل على ذلك من خبر رفضها الزواج من دريد بن

---

[1] الخنساء ديوانها - المكتبة الثقافية بيروت لبنان نفسه : ص : 104
[2] نفس المصدر السابق : ص : 90
[3] نفسه : ص : 83
[4] الخنساء شاعرة بني سليم - محمد جابر عبد العال : ص 56

الصمة سيد بني جشم، وهو الفارس الشجاع والشاعر الفحل والقائد المظفر . ماذا تقول الحكاية ؟

مر دريد بن الصمة بالخنساء وهي تهنأ بعيرا لها، وقد تبذّلت حتى فرغت منه ثم اغتسلت ودريد يراها وهي لا تشعر به فأعجبته فانصرف إلى رحله وأنشأ يقول :

حيّوا تماضر واربعوا صحبي وقفوا فإن وقوفكم حسبي
أخناس قد هـام الفؤاد بكم وأصابه تبل من الحب
ما إن رأيت ولا سمعت به كاليوم طالي أنيق جرب
متبذّلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب [1]

فلما أصبح غدا على أبيها فخطبها إليه . فقال له أبوها : مرحبا بك أبا قرة إنك للكريم لا يطعن في حسبه، والسيد لا يرد عن حاجته الفحل لا يقرع أنفه . ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها وأنا ذاكرك لها وهي فاعلة . ثم دخل إليها وقال لها : يا خنساء أتاك فارس هوازن وسيد بني جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو ممن تعلمين (ودريد يسمع قولهما) . فقالت : يا أبت أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غد ، وأنشأت تقول :

أتخطبني هُبلت على دريد وقد طرّدت سيّد آل بدر
معاذ الله ينكحني حبركى يقال أبوه من جشم بن بكر
ولو أمسيت في جشم هديّا لقد أمسيت في دنس وفقر

تشير بذلك إلى ما يعتقده الجاهليون في الهامة أو البومة التي تخرج من رأس الميت ومرادها أنه شيخ فإن سيموت اليوم أو غدا، فخرج إليه أبوها فقال : يا أبا قرة : قد امتنعت ولعلها تجيب فيما بعد، فقال : سمعت قولكما وانصرف [2].

وفي رواية ثانية أنه لما خطبها دريد بعثت خادمة لها وقالت : انظري إليه إذا بال فإن كان بوله يخرق الأرض ففيه بقية، وإن كان بوله يسيح على و جهها فلا بقية فيه . فرجعت إليها وأخبرتها فقالت: لا بقية في هذا، فأرسلت إليه : ما كنت لأدع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح وأتزوج شيخا.

وفي رواية ثالثة أن دريد بن الصمة كان أخا لمعاوية بن عمرو فخطب إليه أخته الخنساء فقال له : أن مثل الخنساء لا يفتات عليها وأنا طالب ذلك إليها . فأتاها مسرعا وهو راكب، فلما رأته الخنساء قالت: إني لأرى فخذه بارزة وما ذلك إلا لأمر مهم فلما انتهى إليها قال : يا أخية قد عرفت الذي بيني وبين دريد بن الصمة وإنه خطبك إليّ فأحب أن تشفعيني وتتزوجيه فأجابته : ما وجدت شيئا ترضي صديقك غيري، قال : إني أحب أن تفعلي . قالت : انظرني حتى أشاور نفسي، وأرسله إليّ، فرجع معاوية إلى دريد فقال : انطلق إليها فإنها أمرتني بذلك، فركب

---

[1] الأصفهاني : أبو الفرج : الأغاني ج13ص254
[2]) الخنساء : ديوانها بيروت – المكتبة الثقافية ص : 3

دريد فرسا ولبس حلة له ثم أقبل إليها، فأمرت بوسادة فألقيت له ثم أخذت تحدثه وتسائله ثم دعت بلبن فسقته وامتحنته .. فلم يرضها فأمرته بالانصراف . فقال : علام انصرف ؟ فقالت : سيأتيك رأيي . فانصرف . ثم أرسلت إليه أنك شيخ كبير قد ضعف بصرك ذهب ذفرك وكبرت سنك وولى شبابك فلا حاجة لنا بك . فأراد معاوية أن يكرهها فقالت في ذلك الأبيات التي جاء فيها :

أتكرهني هبلت على دريد وقد أحرمت سيد آل بدر [1]

والتي مطلعها :

لئن لم أوتى من نفسي نصيبا لقد أودى الزمان إذا بصخر [2]

ومعنى قولها هذا أنه لم يمكنها أن تكون سيدة قرارها فكأن الدهر أودى بصخر . تقول هذا لتستنهض همة أخيها صخر فيصد معاوية عن أن يزوجها بدريد .

وقد اشتهر أبناء الخنساء جميعهم بالفروسية وقول الشعر 00 وماتوا كلهم في حياتها على ما يظهر إذ لم نجد في شيخوختها إلا ابنتها عمرة التي احتفل بزفافها في خلافة معاوية، ثم قتل أخواها معاوية وصخر في الجاهلية : كان معاوية شقيقها وقد قتله هاشم وزيد المريان، وكان صخر أخاها لأبيها طعنه أبو ثور الأسدي، فاحتمل الطعنة عاما ثم توفى متأثرا بها فحزنت عليهما حزنا شديدا وأخذت برثائهما والبكاء عليهما فوقفت حياتها وشعرها في النواح عليهما حتى عميت .

وخاصة - صخر - بقصائد من عيون الشعر الرثائي بحيث اقترن اسم الخنساء بهذا الفن، فإذا قيل الرثاء تبادر إلى ذهن السامع اسم الخنساء حتى لكأنها ملكة هذا الفن دون منازع، وقد قال المبرد في الكامل[3] : (والمصائب ما صغر منها وما عظم تقع على ضربين ، فالحزم التسلّي عمّا لا يغني الغمُّ فيه ، والاحتيال لدفع ما يدفع بالحيلة) وقال ايضاً : (من أحسن المراثي ما خلط ما فيه من مدح بتفجيع على المرثي، فإذا أوقع بكلام صحيح ولهجة معربة ونظم غير متفاوت فهو الغاية من كلام المخلوقين وكذلك رثاء الخنساء .

وسبب حزنها الشديد على أخيها صخر خاصة أنها كانت قد تزوجت رجلا كريما مسرفا فأتلف كاله، فجاءت الخنساء إلى أخيها تشكو له ذلك فقاسمها . وعاد زوجها فأنفق ما جلبته من أخيها، فعادت إلى أخيها مرتين أخريين فقاسمها في كل مرة منهما ما كان قد بقي معه في كل مرة .

ولما جاء الإسلام وفدت الخنساء على الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومها وأنشدته من شعرها، وأسلمت بين يديه هي وقومها، ولم تترك الخنساء الحزن على

---

[1] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 62

[2] نفس المصدر السابق : ص 62

[3]) المبرد أبو العباس محمد بن يزيد : الكامل المؤلف : المحقق محمد أحمد الدالي - الناشر مؤسسة الراسالة بيروت لبنان ط1 سنة 1986ج3ص 1399

أخويها ورثاءهما على الرغم مما خوطبت به في ذلك، ولما وفدت على عمر بن الخطاب في المدينة - وكان لها من العمر خمسون عاما - قال لها عمر :
وقد رأى شدة حزنها على أخويها :(لماذا تحزنين عليهما وهما في النار ؟ فقالت : ذلك أدعى لحزني عليهما، لقد كنت من قبل أبكي لهما من الثأر وأنا اليوم أبكي لهما من النار ! .
ولقد كان للخنساء أربعة أبناء ، فلما سار العرب لفتح العراق، جمعت بنيها الأربعة وحضتهم على القتال ونصرة الإسلام، فخاضوا معركة القادسية واستشهدوا جميعهم، فلما جاء النعي بمصرعهم لم تزد على أن قالت : الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته .
وقيل إن وفاة الخنساء في 24هـ (644- 645م) في أول خلافة عثمان بن عفان، وقيل بل في 42هـ (663م) في أيام معاوية .

الخنساء في مرتبة متقدمة لشواعر العرب ،عاشت في الجاهلية وأدركت الإسلام حيث لقيت الرسول الكريم (ص) واعتنقت الدين الجديد، فهي إذن من الشعراء المخضرمين، ولو من الناحية النظرية على الأقل إذ أنها استمرت "جاهلية" وشعرها القول والفعل رغم فرحتها باستشهاد أولادها الأربعة في وقعة القادسية التي أعز الله سبحانه وتعالى فيها الإسلام والمسلمين .

مقطعات كله، وهو فصيح اللفظ رقيق متين السبك رائق الديباجة، ولقد غلب على شعرها الفخر قليلا والرثاء كثيرا لما رأينا من فجيعتها بأخويها خاصة، ورثاؤها واضح المعاني رقيق صادق العاطفة بدوي المذهب على كثرة ما فيه من التلهف والمبالغة في ذكر محامد أخويها .

حياة الخنساء في الإسلام :
قدمت الخنساء على الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع وفد المسلمين في السنة الثامنة للهجرة (629-630) حيث أعلنوا إسلامهم وهي بهذا المعنى صحابية ومع ذلك لم تدع ما كانت عليه من ظواهر الحداد والتسلب على أبيها وأخويها وبلغ وجدها على صخر أنها عميت من البكاء، وقد لقيها الرسول (ص) بكثير من الرفق واستنشدها شعرها في صخر فراحت تنشده وهو (ص) يصغي إليها بقلبه الكبير ويستزيدها قائلا : هيه يا خناس ويومئ بيده [1].

وأبت عليه رحمته وإنسانيته أن يلومها أو يزجرها لأنها لم تتسل بالإسلام عمّن فقدت. ومما يروى عنها في صدد ذلك أن بني عمها أقبلوا إلى عمر بن الخطاب فقالوا : يا أمير المؤمنين هذه الخنساء لم تزل تبكي على أبيها وأخويها في الجاهلية حتى ذهبت وأدركت الإسلام وقد قرحت مآقيها كما ترى فلو نهيتها 000 فدخل عليها، فإذا هي على ما وصف له فقال : ما أقرح مآقي عينيك يا خنساء ؟ اتقي الله

[1] ابن جحر : الإصابة في تمييز الصحابة - المطبعة الشرفية . القاهرة 1325هـ ج8ص34

00 إن الذي تصنعين ليس من صنع الإسلام وأنه لو خلد أحد لخلد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإن الذين تبكين هلكوا في الجاهلية وهم أعضاء اللهيب وحشو جهنم . قالت : ذلك أطول بعويلي عليهم . ثم أنشدت :

وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه : يا لهف نفسي على صخر
ألا ثكلت أم الذيــن غدوا به إلى القبر ما يحــملون إلى القبر(1)

فعذرها (ص) وقال : لا ألومك يا خنساء في البكاء عليهم .

خلوا سبيل عجوزكم لا أبالكم فكل امرئ يبكي شجوه (2)

وقيل إن الخليفة عمر بن الخطاب رأى الخنساء تطوف بالبيت محلوقة الرأس تبكي وتلطم خدها، وقد علقت نصل صخر في خمارها فوعظها فقالت : إني رزئت فارسا لم يزرأ أحد مثله . فقال : إن في الناس من هو أعظم مرزأة منك وإن الإسلام قد غطى ما كان قبله وإنه لا يحل لك لطم وجهك ولا كشف رأسك فكفت عن ذلك وقالت الأبيات التي مطلعها[3] :

هريقي من دموعك واستفيقي وصبرا إن أطقت ولم تطيق
بعاقبة فإن الصبر خير من النصلين و الرأس الحليق

وقيل إنها أقبلت إلى المدينة حاجة، فأتت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعليها صدار أسود من شعر وهي حليقة الرأس تدب من الكبر على العصا .

فقالت لها عائشة : أخناس .

فقالت : لبيك يا أماه .

قالت : أتلبسين الصدار قد نهي عنه في الإسلام ؟

فقالت : لم أعلم بنهيه .

قالت : ما الذي بلغ بك ؟ ما أرى ؟

قالت : موت أخي صخر .

قالت عائشة : ما بلغ من بره بك واستحق هذا منك . فوصفت لها صنيعه إليها وبره وإكرامه إياها .

فقالت لها عائشة : إن الإسلام قد هدم كل الذي تصنعين فأنشأت تقول[4] :

يذكرني طلوع الشمس صخر وأذكره لكل غروب شمس

ثم قالت عائشة : ما دعاك إلى هذا إلا صنائع منه جميلة . قالت : نعم، إن لشعاري سببا وذلك أن زوجي كان رجلا متلافا للأموال يقامر بالقداح، فأتلف فيه ماله حتى بقينا على غير شيء، فأراد أن يسافر فقلت له : أقم وإن أتى أخي صخر فأسأله . فأتيته وشكوت إليه حالنا وقلة ذات اليد بنا، فشاطرني ماله، فانطلق زوجي فقامر به فقمر حتى لم يبق لنا شيء . فعدت إليه في العام المقبل أشكو إليه حالنا فعاد لي بمثل ذلك فأتلفه زوجي . فلما كان في الثالثة أو الرابعة خلت بصخر امرأته فعذلته،

---

[1] الخنساء : ديوانها : المكتبة الثقافية - بيروت لبنان : ص 47
[2] ابن عبده ربه : العقد الفريد ج 3ص266
[3] الخنساء : ديوانها : ص 79
[4] نفس المصدر السابق : ص 68

ثم قالت: إن زوجها مقامر وهذا لا يقوم له شيء . فإن كان لابد من صلتها فأعطها أخس مالك، فإنما هو متلف والخيار فيه والشرار سيان . فأنشأ يقول لامرأته :

والله لا أمنعها خيارها وهي حصان قد كفتني عارها
ولو هلكت قددت خمارها واتخذت من شعر صدارها

ثم شطر ماله فأعطاني أعظم شطريه . فلما هلك اتخذت هذا الصدار . والله لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حييت [1].

وقد تزوّجت فارسا مغوارا من بني عمّها اسمه (رواحة بن عبد العزيز السُلميُ) وأنجبت منه أبناءً فرسانا أصبحوا عندما كبروا مضرب المثل في جمالهم وفروسيتهم في الجاهلية، فخرا للإسلام والمسلمين بعد إسلامهم وجهادهم في سبيل الله .

ومثلما كانت تحب أولادها كانت تحب أخويها صخرا ومعاوية حبا جمّا، وقد فجعت مقتل معاوية أولا في غزوة من الغزوات الكثيرة التي كانت تجري بين القبائل العربية المتحاربة بكثرة في الجاهلية . حزنت الخنساء لمقتل معاوية كثيرا، ثم فُجعت بعده بمقتل أخيها صخر الذي مات بعدما عانى طويلا من أثر طعنة أصابته في غارة له على القبيلة التي قتلت أخاه [2].

<u>ثكل الخنساء لبنيها الأربعة</u> :

وكان للخنساء أربعة بنين، فلما ضرب البعث على المسلمين لفتح فارس سارت معهم وهم رجال وحضرت وقعة القادسية سنة 16هـ (637م)، وأوصتهم من أول الليل : يا بني إنكم أسلتم طائعين . وهاجرتم مختارين والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد، كما إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم . وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين . واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية . يقول الله عزّ وجلّ : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) [3] فإذا أصبحتم إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سباقها، وجللت نارا على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالمغنم والكرامة، في دار الخلود والمقامة [4]، فخرج بنوها قابلين لنصحها، عازمين على قولها، فلما أضاء لهم الصبح بادروا مراكزهم وأنشأ أولهم يقول :

يا أخوتي إن العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
بقولة ذات بيان واضحة فبادروا للحرب الضروس الكالحة
وإنما تلقون عند الصالحة من آل ساسان كلابا نابحة

---

[1] العقد الفريد ج 3ص266. الشعر والشعراء :262

[2] عبدو محمد ، صحابيات مؤمنات ، الخنساء أم الشهداء ، دار ربيع للنشر ، حلب ، سوريا ، ص 5 – 6

[3] المصحف : سورة آل عمران الآية : (200)

[4] بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن : الخنساء : دار المعارف . مصر 1957ص39

قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة وأنتم بين حياة صالحة

وتقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه، ثم حمل الثاني هو يقول :

إن العجوز ذات حزم وجلد والنظر الأوفق والرأي السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد نصيحة منها وبرا بالولد
فباكروا الحرب حماة في العدد إما بفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عيش الأبد في جنة الفردوس والعيش الرغد

وقاتل حتى استشهد رضي الله عنه ورحمه، ثم حمل الثالث وهو يقول :

والله لا نعصي العجوز حرفا قد أمرتنا حربا وعطفا
نصحا وبرا صادقا ولطفا فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا أو يكشفوكم عن حماكم كشفا
إن نرى التقصير عنها ضعفا والقتل فيها نجدة وعرفا

فقاتل حتى استشهد رضي الله عنه، ثم حمل الرابع وهو يقول :

لست لخنساء ولا للأحزم ولا لعمرو ذي السناء الأقدم
إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم ماض على الهول خضم خضرم
إما لفوز عاجل ومغنم أو لوفاة في سبيل الأكرم

وظل يصول ويجول يقتل من الأعداء ويقاتل قتال الصناديد حتى أثخنته الجراح، فسقط شهيدا في ساحة المعركة والتحقت روحه بأرواح إخوته، في الجنة الله عليهم ورضوانه عليهم أجمعين، واستمرت المعركة حامية الوطيس شديدة، واندفع المسلون يشقّون صفوف العدوّ ويبعثرون قوّاته، حتى قتلوا كبيرهم وحقّقوا انتصارا ساحقا عليهم في نهاية المعركة .

جاء المقاتلون إلى الأم الشجاعة المؤمنة المجاهدة، يخبرونها بأن أولادها الأربعة نالوا شرف الشهادة في سبيل الله، فماذا فعلت الخنساء الأم المؤمنة ؟ ..... في تلك الساعة لم تكن الخنساء تلك الشاعرة التي ملأت صفحات كثيرة من التاريخ رثاء لأخويها، بل كان الأم المسلمة المؤمنة الشجاعة المجاهدة في سبيل الله، تلقّت الخبر بهدوء وصبر عجيبين، لم تجزع ولم تندب ولم ترثِ، لم ترق دمعا ولا لطمت خدا،بل كانت مثال المجاهدة الراضية بقضاء الله، فقالت كلمات دخلت التريخ وظلّت تتردد على ألسنة الناس إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين .

قالت الخنساء بهدوء وسكينة :**(الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته)**[1].

<u>الميراث الشعري</u> :

[1] عبدو محمد ، صحابيات مؤمنات ، الخنساء أم الشهداء - دار ربيع للنشر ، حلب ، سوريا دار ربيع للنشر ص : 15

وهنا لابد لنا أن نشير إلى الميراث الشعري في بيت الخنساء [1] 000
فتماضر قيسية، وقد اشتهرت قيس بالفروسية والشعر، وفيها يقول (الأصمعي "أفي الدنيا مثل فرسان قيس وشعرائهم " .
وتماضر سلمية، ولسليم ديوان شعر قديم، ذكره "أبو بشر الآمدي " ومن شعرائهم خفاف بن ندبة ن وحيان بن حكيم، وأبو كنانة السلمي، وعامر بن محكان ، والجحاف بن حكيم السلمي ، وضمضم بن الحارث السلمي .
وقد كان (عمرو السلمي) أبو الخنساء، شاعرا وكان (صخر) أخوها شاعرا، حفظت كتب الأدب عددا من قصائده .

وقد تلقت الخنساء، كما تلقى أخوها، هذا الميراث هذا الشعري العريق، فكانت من اللائي أتين من مقدمة شواعر العربية الأولى، ثم أورثته بنيها من بعدها، فكانوا كلهم شعراء، وقد مرّ بنا خبر بنيها الأربعة، الذين استشهدوا في موقعة القادسية، وما روى لهم من شعر يومئذ .

وكان ابنها " أبو شجرة بن عبد العزى " شاعرا، كما نص على ذلك النسّابون والإخباريون . وقد نقل (الطبري) قصيدته الرائية في حروب الردة، ونقل كذلك أبياتا من قصيدة له قالها وهو ينصرف هاربا من مجلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، لما ذكر قوله :

وروّيت رمحي من كتيبة خالد وإني لرجو بعدها أن أعمّرا

وابنها (العباس بم مرداس) شاعر مشهور في الجاهلية والإسلام . ترجم له أبو الفرج الأصفبهاني في (الأغاني) والمرزباني في (معجم الشعراء) وابن قتيبة في (الشعر والشعراء) . واختار أبو تمام عددا من قصائده في (الحماسة) كما اختار له البحتري في (حماسته) ثماني قصائد .

وقد كان " العباس بن مرداس " شاعر يوم حنين غير المنازع ولا المنافس، ويكفي شاهدا، أن يروى له (ابن هشام) عشر قصائد طوال جياد، في يوم حنين وحده، مما يدل على شاعرية خصبة مواتية، ولم يختلف هذا الميراث الشعري، في بنت الخنساء (عمرة بنت مرداس) الشاعرة التي وعى ديوان الشعر العربي مراثيها في أبيها مرداس، وأخويها، وولدها الأقيصر[2] .

الخنساء الشاعرة :

للخنساء ديوان شعر كله في رثاء أخويها ولا سيما صخر 0 وحين نطالع الديوان نشعر كأننا في مأتم نسمع فيه عويل النائحات، وندب النادبات، ولطم اللاطمات،

---

[1] بنت الشاطئ ، نوابغ الفكر العربي (الخنساء) مصر – دار المعارف ص : 71
[2] بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن : نوابغ الفكر العربي (الخنساء) مصر – دار المعارف :ص 71

ونسمع التأبين والرثاء، وكأننا أمام موسيقى الموت وأنغام القضاء، ترافقها الدموع السخية الجارية التي تقرح الجفون وتلهب العيون .

إن ديوان الخنساء يكشف عن امرأة أصيبت في الصميم، وفقدت أغلى ما تملك في هذه الحياة، وفقدت به عماد حياتها وزينتها، وزينة شباب الحي 0 فقدت أخا كان للحرب سيفا بتارا، وللمجالس سيدا مختارا، وللقرى والضيافة نحارا، وللنجدة فارسا مغوارا، كان للغريب أخا وحاميا،وللقريب ملجأ وملاذا، وفي كل ملمة فتى مقداما، لا تثنيه عن عزمه الأيام، ولا ترده في إقدامه المواقف الجسام 0
و الخنساء في رثائها تتمثل أخاها وتخاطبه، وتصوره بحب أخوي صادق، وتطنب في وصفه، ولا تمل من تكرار هذه الأوصاف، فهو ملء العين والنفس والقلب 0 وكل ما في الحياة يعيد لها ذكرى أخويها ويثير في نفسها الشجون 0 فتبكي وتبكي ولا تمل مخاطبة عينيها، والعينان تجيبان بذرف الدموع المتواصلة بغزارة، وبلا انقطاع 0 وإذا لوعتها تطول، فلا يثنيها عن الانتحار سوى كثرة الباكين حولها:

ولو لا كثرة الباكين حولي على إخوانهم، لقتلت نفسي

وحين نطالع أشعار الخنساء في الرثاء، ننسى أننا أمام امرأة شاعرة حيث تتحول الأنوثة عندها إلى رجولة وبطولة، فإذا نحن في وسط القتال والمعارك، حيث يتنازل الأبطال ويتصارعون، وإذا الأبيات تتتابع قوية، صاخبة، منطلقة بوقع ملحمي شديد حتى نكاد نسمع قرع السيوف وصهيل الخيول 0 وحين تتحول الخنساء من وصف شجاعة أخويها إلى وصف حالها بعدهما، نوى العاطفة الصادقة المتدفقة تسيطر على كل موقف 0

وهكذا فإن رثاء الخنساء هو مزيج من شدة ولين، وبكاء وأنين، وشكوى وحنين، وقد بلغت بشعرها أعلى مراتب الشهرة، فإن حزنها الكبير ولوعتها التي لم تنقض، جعلاها تغوص في أعماق النفس الإنسانية تجتلي الضعف الإنساني أمام قسوة القدر الظالم، والموت الرهيب،مستسلمة حينا، ورافضة في معظم الأحيان، تمجد القوة والنصر، وتبتغي الحياة فلا تلقى إلا دمارا وهلاكا وموتا زؤاما 0

وهكذا فإن الخنساء ملأت الدنيا نحيبا ودموعا وعويلا، وزرعت أشعارها في قلب كل إنسان حزين ، وعبرت بأشعارها الرقيقة أصدق تعبير عن مرارة فقدان الأهل والإخوان، وألم الموت، وصورت التجربة الإنسانية المؤلمة أدق تصوير، فكان شعرها خالدا نحسه، ونتجاوب معه، وننفعل به انفعالا شديدا[1].

تعتبر الخنساء من أشهر شواعر العرب ، ومن أشهر الرثائيين رجالا ونساء رغم أن ابن سلام يقدم عليها متمم بن نويرة [2]، قضت حياة طويلة توافرت فيها دواعي الحزن والأسى فأثرت في قلبها الرقيق حتى فاض شعورها الخالص رثاء عاطفيا

---

[1] الخنساء : ديوانها : المكتبة الثقافية - بيروت لبنان : ص68
[2] الجمحي بن سلام أبو عبد الله محمد : طبقات الشعراء : 78

رفا رفعها بحق إلى درجة عالية من الطبعية والإخلاص، والرثاء من الموضوعات البارزة في شعرنا العربي وقد اتخذ مظاهر ثلاثة :

- الندب
- التأبين
- العزاء

فالندب بكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت، فيئن الشاعر ويتفجع، هذا وقد لايكتفي الشاعر بندب نفسه وأهله فحسب بل يندب أيضا من ينزلون منه منزلة النفس والأهل مما يحبهم ويؤثرهم، أما التأبين فليس نواحا ولا نشيجا على هذا النحو بل هو أدنى إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، إذ يخر نجم لامع من سماء المجتمع فيشيد به الشعراء منوهين بمنزلته السياسية أو العلمية أو الأدبية وكأنهم يريدون أن يصوروا خسارة الناس فيه . ومن هنا كان التأبين ضربا من التعاطف والتعاون الاجتماعي. فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه هو وإنما يعبر عن حزن الجماعة وما فقدته في هذا الفرد من أفرادها.

والعزاء مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين إذ نرى الشاعر ينفذ من حادثة الموت الفردية إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة . وقد ينتهي به هذا التفكير إلى معان فلسفية عميقة فإذا بنا نجوب معه في فلسفة الوجود والعدم والخلود، ولعل أقدم صور الندب والنواح في شعرنا العربي هو صورة ندب الأهل والأقارب والنواح عليهم، وللمرأة الجاهلية في هذا المجال القسط الأكبر والنصيب الأوفر إذ كانت تندب أباها وأخوتها فما تزال تنوح على من يتوفى منهم حتف أنفه وعلى من يموت قعصا بالرماح والسيوف وما أكثر من كان يموت منهم في حروبهم الدائرة .
ويرى شوقي ضيف أن أشهر من بكت واستبكت في الجاهلية الخنساء إذ قتل أخوها معاوية في بعض غاراته فعقدت عليه مأتما ضخما من النواح وأثار ذلك أخاها صخرا فثأر له ولكنه جرح جرحا عميقا بليغا أدى إلى وفاته، فعادت إلى نواحها بأشد مما صنعت على أخيها معاوية وكأنما صعر صخر قلبها وأشعل صدرها بشعلة من الحزن لا تخبو ولا تهدأ [1] .

وفعلا كانت الخنساء طاقة تحريضية جبارة، ولم تحقق ذروة النجاح إلا في مراثيها التي قالتها في صخر، لقد تحدثت بنت الشاطئ (إلى انحراف في طبيعة الخنساء، في حين كان ينبغي أن تفترض، بل تؤكد، وجود عصاب معين يمور في أعماق هذه المرأة الغريبة الأوضاع)، وهو حبها الشديد لأخيها صخر الذي تبارى علماء النفس من دارسي الخنساء بتحديد : أكان عندها عقدة ألكترا، أم لا ؟ حتى أنه قيل : لقد تقرّحت مآقي عينيها، (ولم تزل تبكيه حتى عميت) [2] .

---

[1] شوقي ضيف : الرثاء- دار المعارف مصر ط 14:1955
[2] ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ط ليدن - ص 199

الفصل الثاني (الخنساء شخصيتها وعصرها)

المبحث الثاني : التعريف بالخنساء وعصرها وبيئتها

أودّ أن أتحدث عن المرأة العربية وجرأتها وعفافها وعادتها وإبائها وشممها حتى يطلع القراء والقارئات على مدى ما تتمتع به المرأة العربية من العفة والكرامة وضبط النفس أمام القوة الصارمة، وقد أصبحت مثلا أعلى في الصون الطهارة، وإليك قصة البطلة العربية وها هي القصة : (أن بنت لكيز وقعت في يدي العجم سبية فأرادوا أن يدنسوا عفافها فأبت بما فطرت عليه من الشمم والإباء، فأرادوا إغراءها بتقديم الجواهر والمال وفاخر الثياب بما تستهوي النفوس، فصاروا مرة يهددون بالقتل، ومرة يعدون بالوصل، فلما ألحوا عليها لم يغرها الثناء ولم يخدعها العطاء فأنشدت في عزة وشمم :

يا صاحب القصر ما حييت من رجل لقد عممت بما تغتال من غيل
أصبر سنجزي الذين سلفت في عجل بما فعلت بلا ريب ولا مهل

ثم وقفت وأنشدت بيتين يتضمنان ما يريد الأعجام منها منادية أخيها وأخواتها :

من مخبر لي براقا وأخوته أسد العرين أولي الغارات بالأسل
صنع الأيادي شر الناس كلهمهيهات براق عني اليوم في شغل

ثم صرخت :

لا تخذلوا لي لكيزا يا بني أسد واستغضبوا مضرا يأتون في عجل

ولما أتمت دعاءها على صاحب القصر بالتنكيل وندبت سوء حظها لعدم وجود من غير قومها خبرها، فاجأها الأيادي يقوله : (إذا قبلت ما عرضناه عليك ستكونين ملكة على الملكات مطاعة متصرفة في كل شيء، فأجابته وأنشدت أبياتا جاء فيها:

فأنا النسيبة والعفيفة فأعلمن يا بن الدنيئة يا بن كل أتان

وإن كتب الأقدمين مملوءة بصفحات نقية في شهامة المرأة العربية وشجاعتها وعفتها وكرامتها والعفة حلية النفس وفخر وزينة تتحلى بها المرأة وهذا شيء تقره النفوس الفاضلة، و المرأة العربية تحتاج من يعكف على دراستها بدقة وبصر وتوضيح ما تتحلى به من العفة والصون والكمال وهل تتطلب المرأة العربية اليوم الكمال إلا عن طريق الصون والعفاف الروعة الجمال، يجدر بنا الذكر هنا من مثل أم أيوب الأنصارية، أم الدرداء، ورابعة القيسية، ومعاذة، ورابعة العدوية، فإن هؤلاء النسوة تقدمن في الفضل والصلاح على تقدم بعضهن بعضا .

أما ما كان من بروز شخصية الخنساء :

ما كان من أمر حياة شاعرتنا وأسرتها التي عرفنا عنها مدى ما تمتعت به من قوى الشكيمة والمنزلة . أما مولدها ووفاتها، فقد اختلف فيه كثيرا، فالقدماء لم يجدوا عاما بعينه لمولدها، وإنما اكتفوا بذكر أخبارها التي تقطع بأنها أدركت الإسلام، ومن أبنائها من بلغ مبلغ الرجال، كالعباس الذي شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم غزوة حنين، ومن شارك في محنة الردة، كأبي شجرة وأولادهما الأربعة الذين قتلوا في القادسية.

هكذا بدت شاعرتنا الخنساء أشعر نساء زمانها، وأعقلهن، وأفصحهن لسانا، وأقواهن عزما، وحزما ورأيا، كانت الخنساء قد جمعت في شخصيتها صفات نادرة ما اجتمعت في امرأة واحدة، إذ كانت امرأة ذات مروءة وشهامة وإخلاص وبطولة، إلى جانب كونها الأمّ الحنون التي رعت أولادها وربّتهم على الإيمان وحبّ الجهاد في سبيله وطاعة رسوله صلوات الله عليه وسلامه .

الخصائص العامة لرثاء الخنساء :

يرى الدكتور الحيني أن الخنساء قبل أن تحلق عاليا في سماء الشاعرية مرت بما يطلق عليه شعر النواح وهو شعر تعبر به عن حزنها على أخيها معاوية وما أصابها من كارثة بفقده .

ومن الطبيعي - وهي لا تزال مبتدئة - أن تلجأ إلى ما يلجأ إليه المبتدئون وأن تتجه إلى ما كان يقال من شعر في هذا المجال وكان أمامها من شعر النواح ما كان يتردد في مثل هذه المناسبة . ومن المرجح أنها أخذت تستعرض منه ما تستعرض وتحاول أن تسير على نمط ما تختار حتى ولجت باب الرثاء .

ويضيف الدكتور الحيني بما يشبه الجزم : والنظر إلى شعر الخنساء يهدي إلى ظاهرة فيه : إنه ينقسم إلى جزءين رئيسيين جزء موضوع للنواح له ويقوم إنشاده على أساس موسيقي ليغنى وجزء ينشد كما ينشد غيره من شعر وهذا القسم الأول توضع له قصائد بأوزان تصلح لهذا التنغيم الذي يصدر من النائحة بهذا الشعر[1] .

ويذكر كمثال لهذا النوع من الشعر قصيدتين مطلع أولاهما :

يا عين جودي بالدمو ع المستهلات السوافح [2] .

وأما الثانية فهي :

أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى ؟[3]
ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا ؟
طويل النجاد رفيع العما د ساد العشيرة أمردا
إذا القوم مدوا بأيديهم إلى المجد مد إليه يدا

---

[1] جابر الحيني : الخنساء شاعرة بني سليم : 136

[2] الخنساء : ديوانها : بيروت – لبنان المكتبة الثقافية : ص 28

[3]) نفس المصدر السابق ص : 33

فنال الذي فوق أيديهم من المجد ثم مضى مصعدا
يكلفه القوم ما عالهم وإن كان أصغرهم مولدا
ترى المجد يهوي إلى بيته ترى أفضل الكسب أن يحمدا
وإذا ذكر المجد ألفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى

وواضح ما في هذه القصيدة من حسن اختيار الألفاظ وبراعة في تناسق الأصوات وهما أمران تجويد الشاعرة لشعرها تجويدا يدل على صقل .
وإذا نظرنا إلى تطور شعر الخنساء من الناحية الفنية نلاحظ أنها قد مرت بأطوار، بدأت بالترنم بالبيتين أو الثلاثة حسبما تجود موهبتها الشعرية الكامنة، ثم ألقت بها ظروف حياتها إلى جوء الرثاء فعاشت فيه بإحساساتها وانفعالاتها، وأخذت تقول الشعر نائحة على أخيها حتى استطاعت أن تظفر بشعر في هذا الميدان .

قالت الشعر للنواح به وتربت حاستها الفنية على أن تعتمد على اللفظ بدلالته الصريحة الواضحة . وهذا الأساس الذي جعلها حين تلتمس التشبيه أن يكون بسيطا واضحا، وقليلا ما تلجأ إلى التشبيه كما يدل على ذلك ديوان شعرها، ذلك لأن المعنى المباشر هو الأساس الذي مرنت عليه موهبتها الشعرية ومضت على ذلك تتطور في شعرها وفي فنها حتى أصبحت شاعرة يعنى الرواة بجمع ما تقول وروايته، ومن هنا نلاحظ أنه لم يعنها أن تنتقل في شعرها إلى دنيا الخيال والصور .

وخلاصة القول أن الرثاء في نظر الخنساء لم تكن قواعده تسوق إلى الصور الشعرية التي تحتاج إلى التأمل والنظر ولذلك اعتمدت على اللفظ وأخذت تختار ما يحقق الأهداف التي تبتغيها، ونلاحظ بعد ذلك أنها مرت بطورين في هذا السبيل :
أولهما : اعتمادها على اللفظ القوي ذي الدوي الذي يهز المشاعر برنينه .

ثانيهما : فقد تهذبت نظرتها نحو اللفظ وارتقت، فلم يعد القوي الرنان بل أصبح السهل الأخاذ كما نرى في تلك القصيدة التي سبق وأن ذكرناها والتي مطلعها :
أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى ؟[1]

أو كما في قصيدتها الجميلة التي رثت بها أخاها معاوية والتي مطلعها :
ألا ما لعينك أم مالها ؟ لقد أخضل الجمع سربالها [(2)]

وهي قصيدة تعد من عيون شعرها . ومن الطبيعي أن يكون هذا هو الدور الأخير في تطورها الفني ويحقق هذا النظر أن المعاني في شعرها محددة ومتشابهة في مختلف القصائد ولا يفرق بينها سوى اللفظ، وتحاول الدكتورة بنت الشاطئ ترتيب شعر الخنساء ترتيبا زمنيا قدر المستطاع [(3)] . قادها إلى تقسيم شعر الخنساء إلى ثلاثة أقسام :

---

[1]) الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 33
[2] نفس المصدر السابق : ص 90
[3] بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن : الخنساء :67

- القسم الأول: شعرها منذ ظهرت في الأفق الأدبي إلى مصرع شقيقها معاوية .
- القسم الثاني : من هذا المصرع إلى موت صخر .
- القسم الثالث : ما بعد وفاة صخر .

اختارت مما اعتبرته القسم الأول خمس قصائد هي الأبيات التي قالتها عندما خطبها دريد بن الصمة ، والقصيدة الثانية رائية قالتها مفاخرة بأخيها الشقيق معاوية والتي مطلعها :

دعوتم عامرا فنبذتموه ولم تدعوا معاوية بن عمرو[1]

وهي خمسة أبيات رجحت وضعها في هذا الدور المبكر " لأنها لا تحمل أثرا لنعي ولا تشير على مصرع الأخ، وإنما تشيد ببأسه في الحرب " .

أما القصيدة الثالثة فهي بائية من البحر الطويل " نرجح أنها قيلت في هذا الدور إذ لا يبدو أنها رثائية وإنما هي خماسية مادحة يلفتنا فيها إلى جانب فخامة العبارة وجزالة اللفظ حيوية الحركة وبراعة التصوير لبعض مشاهد البادية وكثرة الإلتفات الدال على تمكن واقتدار، وهي القصيدة التي مطلعها :

وخرق أنضاء القميص دوية مخوف رداه ما يقيم به ركب

والرابعة رائيتها في وصف سباق بين أبيها عمرو وأخيها صخر ويروون في سبب نظمها أن الخنساء قيل لها يوما وهي تملأ عينيها من أبيها وأخيها : لئن مدحت أخاك فقد هجوت أباك فانبعثت تقول الأبيات التي مطلعها :

جارى أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الفخر [2]

وترى بنت الشاطئ ـ وما تراه صحيح إلى حد بعيد ـ أن هذه القصيدة رائعة تتدفق حيوية وتصور مشهد السباق تصويرا بالغ الدقة والجمال وتسجل الحركة و اللفتة والوثبة والصيحة، كما تسجل الانفعال النفسي لمتتبع السباق وهو لا يدري أي الرجلين يسبق صاحبه 000ومن عجب أن القصيدة على روعتها وقلة نظائرها في ديوان الشعر الجاهلي بعامة لم تلفت أنظار الدارسين في عصرنا، على أنها ظفرت من الأقدمين بشهادة ما أظن أن قصيدة أخرى ظفرت بمثلها إذ يروون أن أبا عبيدة سئل عنها: لما لم ترو في المجموع من شعر الخنساء ؟ فأجاب : العامة أسقط من أن يجاد عليها بمثل ذلك[3].

أما القصيدة الخامسة التي تلحق بهذا الدور فهي قصيدة الخنساء في رثاء زوجها مرداس السلمي والتي مطلعها :

لما رأيت البدر أظلم كاسفا أرن شواذ بطنه وسوائله [4]

أما ما اعتبرته بنت الشاطئ القسم الثاني من نتاج الخنساء فقد رأت أن يشتمل مراثيها في شقيقها معاوية وحده وما يتصل من حض على الثأر له ومدح فيمن أعان

---

[1] الخنساء : ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص59
[2] نفس المصدر السابق : ص 61
[3] بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن : الخنساء ص72
[4] الخنساء : ديوانها - المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص95

على هذا الثأر وإن لم تستبعد أن يكون بعض مراثي الخنساء في معاوية قد قيلت متأخرة .
وأبرز ما يميز هذه الفترة هو أن الخنساء بدأت تتخصص في الرثاء وتتميز بسمات خاصة وأبرز قصائد هذه المرحلة قصيدتها التي مطلعها :

ألا ما لعينك أم مالها ؟ لقد أخضل الجمع سربالها [1]

وأبرز ما توصلت إليه بنت الشاطئ من خلال دراسة شعر الخنساء في هذه المرحلة هو أن الخنساء قالت من الشعر قبل موت صخر مراثي ذات عدد تكفي للرد على من قال أنها لم تقل غير البيت أو البيتين، كما أن سمات مراثيها وضحت في هذا الدور وسنراها تتكرر وتزداد جلاء فيما يلي من مراثي[(2)] .

أما القسم الثالث وهو القسم الذي استأثر باهتمام مؤرخي الأدب فهو المتعلق بصخر، والواقع أن الخنساء قد جاوزت في إعلان الحزن على أخيها أقصى المدى ورثته بقصائد تكفي لأن تكون ديوان شاعرة . وربما لهذا السبب يلتمس العذر لمن يربطون بين شاعرية الخنساء ومصرع صخر [(3)].

الخصائص الفنية لشعر الخنساء :

الاهتمام باللفظ :

من الثابت أن الخنساء ارتقت في أواخر العصر الجاهلي إلى مصاف كبار الشعراء وقد استطاعت أن تصل إلى هذا المجد الفني لا بصورها الفنية الباهرة ولا بحكمتها وآرائها الفلسفية، وإنما بأمور فنية أخرى أبرزها حسن اختيارها للألفاظ، وقد تنبه القدماء إلى قدرتها الفنية ودليل ذلك القصة التي رواها ابن قتيبة [(4)] . ويدلل على قدرتها في اختيار اللفظ المناسب : تقول الرواية : كان النابغة الذبياني تضرب له قبة حمراء فيجلس لشعراء العرب بعكاظ على كرسي فينشدونه، فيفضل من يرى تفضيله .

فأنشدته الخنساء في بعض المواسم قصيدتها الرائية التي مطلعها([5]) :

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار !

فأعجب بشعرها وقال لها : " لولا أن هذا قد أنشدني قبلك (يعني الأعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم " . فسمعه حسان بن ثابت، وكان قد أنشده فغضب وقال : " والله لأنا أشعر منك ومنها " فقبض النابغة على يده وقال : يا ابن أخي إنك لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك أوسع

ثم قال للخنساء : أنشديه " فأنشدته . فقال : " ما رأيت امرأة أشعر منك " قالت : ولا فحلا . فقال حسان بن ثابت : " أنا والله أشعر منك ومنها حيث أقول([1]) :

---

[1]) نفس المصدر السابق : ص
[2] بنت الشاطئ :الخنساء: ص 73
[3] نفس المصدر السابق : الخنساء : ص85
[4] ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص260
[5]) الخنساء : ديوانها ص : 45

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا عما

فقالت الخنساء : ضعفت افتخارك وأنذرته في ثمانية مواضع . قال : وكيف ؟ قالت : " قلت : لنا الجفنات " والجفنات ما دون العشر فقللت العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر . وقلت " الغر " والغرة البياض في الجبهة، ولو قلت البيض " لكان أكثر اتساعا، وقلت يلمعن " واللمعان شيء يأتي بعد شيء، ولو قلت يشرقن لكان أكثر لأن الإشراق أدوم من اللمعان، وقلت بالضحى " ولو قلت بالدجى لكان أبلغ لأن الضيف أكثر طروقا بالليل، وقلت أسيافنا " والأسياف ما دون العشر، ولو قلت سيوف لكان أكثر، وقلت يقطرن " فدللت على قلة القتل، ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الداء، وقلت دما " والدماء أكثر من الدم . وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . فقام حسان منكسرا منقطعا [2]، وتعتبر هذه الخاصة الفنية من أهم دعامات شعر الخنساء تسهل ملاحظتها في مختلف قصائدها .

الجرس الموسيقي :
أدى حسن اختيار الخنساء لألفاظها إلى إحداث موسيقى تنبعث من شعرها موسيقى تثير الحس، فشعر النواح يتطلب أنغاما معينة حرصت الخنساء على رفد شعرها بها وهذا الأمر واضح تمام الوضوح في معظم قصائد الخنساء و خاصة في مطالع القصائد من مثل [3]:

يا عين جودي بدمع منك مهراق إذا هدى الناس أو هموا بإطراق
هريقي من دموعك أو أفيقي وصبرا إن أطقت ولن تطيقي

وقولها [4]:

يا عين جودي بدمع منك مسكوب كلؤلؤ جال في الأسماط مثقوب
يا عين جودي يدمع غير منزور مثل الجمان على الخدين محدور

فأنت تلاحظ في كثير من مطالع قصائدها وفي القصائد أيضا ما يسمى بالتصريع، وهو نوع من التأنق اللفظي يقابله في النثر السجع وهي لا تعمد إلى هذا اللون اللفظي إذا لم تكن تعني بموسيقى اللفظ في القصيدة، وأنت تجد الأمثلة الكثيرة على التصريع في شعرها مما يقطع أنها كانت تختار اللفظ الذي يتأتى منه موسيقى مقصودة .

وفي رأيي أن هذه الموسيقى وإن كانت قد عمدت إليها عمدا إلا أنها خرجت غير متكلفة لسبب واضح هو أن قريحتها الشعرية مرنت أولا على القريض في شعر

---

[1]) حسان بن ثابت الأنصاري : ديوانه وضعه وضبط الديوان وصححه عبد الرحمن البرقوقي – دار الكتاب العربي – بيروت سنة 1990 : ص 424-425

[2] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 7

[3] نفس المصدر السابق : ص 79

[4] نفسه : ص 23

النواح وهو شعر له موسيقاه الذي لا ينشد بدونها في المآتم فأكسبها هذا المران مرونة وقدرة مكتسبة لإنشاء شعر يتميز بموسيقاه [1].

وقد بلغ طول باع الخنساء في هذا المضمار حدا جعلها قادرة على تحويل البيت الشعري إلى عدد محدود من"السبائك الموسيقية"المتساوية الأبعاد من مثل قولها [2]:

جم فواضله، تندي أنامله كالبدر يجلو ولا يخفى على الساري
رداد عارية فكاك عانية كضيغم باسل للقرن هصار
جواب أودية، حمال ألوية سمح اليدين جواد غير مقتار
نحار راغية، قتال طاغية فكاك عانية للعظم جبار

هذا الاتجاه عند الخنساء قادها إلى عنايتها باللفظ والدقة في اختيار ورعاية موسيقاه .

منزلة الخنساء في القديم والحديث :

سبق وأن أشرنا إلى ما ذكره الرواة من قول النابغة للخنساء في أحد المواسم بعد أن أنشدته بعض مراثيها في صخر : والله لولا أن أبا بصير (الأعشى) سبقك فأنشدني آنفا أنك أشعر من بالموسم، وفي رواية أخرى : لولا أن الأعشى سبقك لقلت أنك أشعر الجن والإنس، وكيف أن حسان بن ثابت غضب من هذا الحكم . وعلى الرغم من ميل غالبية الباحثين إلى التشكيك بصحة هذه الرواية وحتى لو سلمنا بأنها موضوعة فإننا نذهب إلى ما ذهبت إليه بنت الشاطئ من أن الوضع - إن صح - أجدر بأن يؤيد منزلة الخنساء عند الأقدمين و إلا فهل ترى أحدا كان يكترث لوضع قصة كهذه لولا يسندها رأي عام شائع يحسن تقدير الخنساء ويعبر عن مكانتها في المجتمع الأدبي عند العرب [3]؟ .

وتنقل بنت الشاطئ ما جاء في طبقات الصحابة عن إعجاب النبي (ص) بشعرها مما سبقت الإشارة إليه وتضيف إلى ما جاء في ترجمة عدي بن حاتم الطائي الذي وفد على الرسول (صلى الله عليه وسلم) مبايعا مع قومه من بني طي فقال : يا رسول الله فينا أشعر الناس، وأسخى الناس، وأفرس الناس، فلما سأله النبي (ص) أن يسميهم فأجاب : " أما أشعر الناس فامروء القيس بن حجر، وأما أسخى الناس فحاتم بن سعد - يعني أباه - وأما أفرس الناس فعمرو بن معدي كرب " فقال عليه الصلاة والسلام : " ليس كما قلت يا عدي ! أما أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو، وأما أسخى الناس فمحمد، وأما أفرس الناس فعلي بن أبي طالب " وليس وراء هذا لشاعرة مطلب [4]

قيمة رثاء الخنساء :

---

[1] محمد جابر عبد العال الحيني : الخنساء شاعرة بني سليم – المؤسسة المصرية العامة – القاهرة 1958ص 208
[2] الخنساء ديوانها : ص 61
[3] بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن : (نوابغ الفكر) الخنساء ص73
[4] بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن : ص 51

رثاء الخنساء هو عاطفة صادقة في حزنها أو هو لوعة الأخت على أخيها، أو هو نغمة الألم تتصاعد مكرورة في بداية بلا نهاية 0 وتماشي نبرات في اختلاف تموجاتها في اندفاعها وثورتها، وفي ركودها وانكسارها في تبوء عزتها وفي إرعاد تهديدها،في حبها المضطرم وفي أسفها الملتزم 0

وتبدو الخنساء كإحدى النساء النوادب اللواتي يقمن حول النعش في حزن شكلي وروحي، ويصعدن في كل حركة زفرة، ومع كل زفرة نغمة من نغمات الرثاء والنواح في تكرار وترديد، وفي تسيير العاطفة على جناح كل زفرة، وإذا في ديوانها قصائد ومقطوعات علة بحور مختلفة الوقع، تقودها ذكرى الأعمال المجيدة ومآثر صخر الحميدة، وتستنير بأضواء محيا الفقيد، فلا ترتيب ولا تنسيق، ولا تحليل ولا تعمق، ولا وحدة تأليف ولا انحصار في موضوع، إنما يكفي خيال صخر وطيفه، وإذا القصائد كلها تتقلب تقريبا بين الرثاء وتعداد أعمال وصفات، وبين بكاء وفخر وتهديد، وصخر نقطة الدائرة يدور حوله كل شيء، ويقال كل شيء لأجله، في انفجار فياض، وفي سلاسة رائعة وسهولة قد تظهر أحيانا وتختفي 00

وهكذا نرى أفكار الخنساء لا تتبدل فهي هي في جميع قصائدها، تبرز في جوء من الغلو يجعله الألم مقبولا مهما تجاوز الحدود . وكثيرا ما تتفتح الخنساء قصائدها بمناجاة عينيها، وكثيرا ما تستنزف العينين وتستقطرهما دموعا قرحتهما، وكثيرا ما تعمد الخنساء إلى صيغ المبالغة للتشديد والتقرير، وإلى تقطيع البيت الواحد إلى تقطيعات موسيقية هدارة، تخرج بنا عن جوء الأنوثة وتلتحق بنبرات البطولة فتقول مثلا [1] :

وإن صخرا لوالينا وسيدنا وإن صخـرا إذا نشتو لنحار[2]
وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا وإن صخرا إذا جاعوا لعقار

تصفه بالجود ؛ أي ينحر للضيوف، إذا نزل بالناس ضيق الشتاء .
عقّار " كثير العقر وهو الذبح للنياق ليطعم الجائعين .

كانت الخنساء تستهل رثاءها بالبكاء ثم تعدد شمائل الميت، ولا تنسى أن تذكر خسارة القبيلة، فليس موت صخر موت رجل واحد، بل بنيان قوم تهدم، وتكرر الخنساء معانيها حول الجواد الفارس الشجاع، الذي يذود عن العشيرة، ويقري الضيف، ويضم اليتامى والأرامل، وتعبر الخنساء بذلك عن ذاتية جماعية، وتعطي الصورة المتكاملة للمثل الأعلى للفروسية :

وفـارس الـخيل وافته منيته ففي فؤادي صدع غير مجبور[3]

.....

نعم الفتى كان للأضياف إن نزلوا وسائل حلّ بعد النوم محروب[4]

.....

---

[1] حنا الفاخوري : الموجز في الأدب وتاريخه – بيروت المكتبة البوليسية : ص292
[2]) الخنساء : ديوانها المكتبة العصرية بيروت لبنان : ص 44
[3]) الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 56
[4]) نفس المصدر السابق ص : 23

وأبكي أخاك لأيتام وأرملة وأبكي أخاك لحق الضيف والجار[1]

.....

مـأوى الأرامل والأيتام أن سغبوا شـهّاد أنـدية مطـعام ضـيفان[2]

حلف الندى وعقيد المجد أيّ فتى كالليث في الحرب لا نكس ولا وان

وبقيت الخنساء، خمسين عاما، تجود خلالها بمقطوعات جميلة رقيقة، تجتر من خلالها أحزانها، فينبعث الشعر عذبا يفيض بالأسى، ويذخر بالشجن، ويحرّك الوجدان :

تذكرت صخرا إذ تغنّـت حمامة هتوف على غصن من الأيك تسجع[3]

فظـلت لها أبكي بدمع حزينة وقلـبي ممـا ذكـرتنـي موجع

[1]) نفسه ص : 60
[2]) نفسه ص :103
[3]) نفسه ص : 74

الفصل الثاني (الخنساء شخصيتها وعصرها)

المبحث الثاني : رأي النقاد في شعر الخنساء

لا يسمى الشاعر شاعرا حتى إذا فطن الشاعر إلى ما لا يفطن إليه غيره من معاني الشعر، وأخيلته، وأغراضه، ومذاهبه، وحتى يشعر بما لا يشعر به سواه، وهذا الإحساس الذي يعبر عنه في المصطلح النقدي باسم (الفطنة والذكاء) وبالرغم من ترادف هاتين المفردتين إلا أن بينهما فرقا دقيقا وأن لم يكن حاسما . فالفطنة تنصرف إلى الحذق والعلم وبداية الفهم، أما الذكاء فهو حدة في القلب تنم عن سرعة الفهم وتمامه [1] . وأما ما دون ذلك فهما خبرة تأملية تقويمية تتجاوز إدراك الأشياء إلى تركيبها، والتفطن إلى ما بينها من صلات خفية، ومدى ملائمة الفكرة وحداتها البنائية وسياقها الذي ورد فيه . وعلى هذا فالشاعر الذي ويوصف بالفطنة هو الذي يلائم بين المبنى والمعنى، ويدرك أن الرؤية الفنية ما زالت مشوّشة، والصورة غير مستقرة، والصياغة لا تلائم الفكرة، والنظم غير متجانس، فيتناوله هو تناولا جديدا يكشف عما شاهده من قصور وبذا يستحق وصف المبدع أنه رأى الأشياء أو بدت هي في صورة لم يفطن إليها غيره فأعاد صياغتها لتلائم رؤيته ومزاجه وتوجهاته الخاصة . وكأنه يفعل هذا ولسان حاله يقول :

ألا ليت شعري أن يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا [2]

فالحساسية الفنية، وحدة القريحة، وسرعة التفطن إلى العلاقات الخفية بين التراكيب هي جوهر الفطنة " وما سمي الشاعر شاعرا إلاّ لأنه يفطن لما لا يفطن له غيره" ولا يستحق هذا الاسم حتى يأتي بما لا يشعر به غيره، وإذا كان إنما يستحق اسم الشاعر لما ذكر فكل من كان خارجا عن هذا الوصف فليس شاعرا وإن أتى بكلام موزون مقفى " .

وواضح ما تنطوي عليه هذه القدرة من إحساس نقدي يتجاوز الحكم والتمييز إلى إدراك العلاقات الخفية بين التراكيب، ومدى ملاءمتها السياق العام، كما أنها تشير إلى اختلاف المجال الإدراكي بين الشاعر وغيره حتى يبدو وكأن له رؤيا تكشف له حجب الأشياء ليزاوج بينها، ويحررها من دلالتها المعجمية، وتناسبها المنطقي، ويوجدها في هيئة جديدة تثير الدهشة والانبهار، وهذا هو جوهر الإبداع، ولهذا تطالعنا في سياق الخطاب النقدي عبارة تقدم شاعرا لما في شعره من " إبداع يدل على الفطنة والذكاء، وتصرف لا يصدر إلاّ عن غزارة واقتدار " [3].

ويبدو أن سمة تناسبا عكسيا بين هذه القدرة والمرحلة العمرية للشاعر، ويتمثل هذا في ضعف البناء الاستعاري وطغيان الواقعية، والترجمة الحرفية النقل الآلي كلما

---

[1] الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي : مختار الصحاح – دار الكتب العلمية بيروت : مادتي فطن ص507 ، وذكي 223

[2] زهير بن أبي سلمى : ديوانه : شرحه وحققه حجر عاصر حجر عاصي : دار الفكر العربي – بيروت لبنان : ص 139

[3] الجرجاني : الوساطة بين المتنبئ وخصومه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، عيسى الحلبي القاهرة 1966 : ص 54

اقترب الشاعر من عتبات الشيخوخة . ذلك أن الشباب من دواعي القول، وافتقاده إنما يعني افتقاد الخصوبة وفتور الانفعال، وغلبة العقل على القريحة .

ولعل حسّان بن ثابت مثل على هذا فقد فترت شاعريته بعد إسلامه ليس فقط لأن الإسلام، يضعف دواعي الشر التي هي باب الشعر كما في الخبر المعروف [1].

ولكن لأنه دخل الإسلام شيخا وقد شاخت ملكته الاستعارية التي هي جوهر الخلق والابتكار، كما ضعف الارتباط بين مجاله الإدراكي وحركته النفسية فإذا هو ينقل الواقع العياني ويصوره كما هو دون تصرف أو انحراف أو تحوير في النقل والترجمة .
وإذا ذكرت الفطنة ذكر (القران) فهو المظهر الأدائي لهذه القدرة العقلية التي تبرز الوعي بخصائص التراكيب، ومدى ملاءمة الفكرة المبتدعة لقائلها ومتلقيها ووحداتها البنائية وسياقها العام، وخلوها من كل ما يغمز الوعي ويطعن الملكة ويشيء باضطراب القريحة، أو قصور في الأداء لهذا نجد مصطلح (القران) مقترنا بالفطنة والذكاء إيجابا وسلبا . ووردت أقوال تمتدح شاعرا بأنه " ملهم عالم بدقائق الفطنة وذخائر كنز العقل المعد لذوي الألباب " [2]، أو بأنه " يتبع البيت الأول بمثله في جودة الفهم والفطنة "[3]، أو أن شعره لا يخلو من" إبداع يدل على الفطنة والذكاء " [4]، أو أنه يجيء بالبيت وأخيه"[5]، ونحو ذلك من الأقوال التي وردت في سياق الحكم بالشاعرية في مقابل أقوال أخرى تزدري شاعرا وتجرده من هذه القدرة لأنه يصل " الشيء بالشيء " [6]، أو " يأتي بالبيت وابن عمه أو ابن أخيه " [7]، أو أنه " " كصاحب الخلقان ترى عنده ثوب من عصب وثوب خزّ، وإلى جنبه شملة كساء "[8]، وكل هذه الأحكام تلتقي حول كلمة واحدة هي أنه " ليس لشعره قران " [9] .

ومن الشواهد التي تفتقد هذه السمة قول كثير :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين[10]

فهو هنا لا يلاءم بين غرضه ووحداته البنائية فشوّه وقبّح من حيث أراد المدح والإشادة . فقد قال (غمزوها) بصيغة الجمع فجعلها هينة مبتذلة وكأنها دولة بين العشاق . ثم قال (تلين) فزاد الطين بلة . وكأنها تراود عن نفسها فلا تستعصم .

---

[1] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني : ج8ص 356
[2] نفس المرجع السابق : ج8ص7 والقول في صفة ذي الرمة
[3] نفسه : ج18ص 7 والقول في صفة الكميت
[4] الجرجاني : الوساطة : ص 54 والقول في صفة المتنبئ
[5] ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج2ص500
[6] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني : ج9ص7 والقول لكثير في صفة الحزين الكناني
[7] ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج2ص 500
[8] الجمحي ابن سلام : طبقات فحول الشعراء : ج1ص 124 والقول للفرزذق في صفة النابغة الجعدي
[9] ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج2ص500 والقول لرؤبة في صفة ابنه
[10]) كثير عزة : ديوانه : سلسلة شعراؤنا : قدم له وشرحه مجيد طراد – دار الكتاب العربي ط2سنة1995 – حاشية ص : 227

وهو قبل هذا كله قال (عصا) فجعلها عجفاء هزيلة، مما أسخط بشارا عليه فكرهه وأحبطه: ولو جعلها عصا مخ أو زبد لما كان إلاّ مخطئا مع ذكر العصا ألا قال كما قلت :

إذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران

وقريب منه ذلك الذي عرض على الفرزدق قوله :

تكاد آذانها في الماء يقصفها بيض الملاغيم أمثال الخواتيم[1]

وتبسم ضاحكا من قوله وقال : " إن للشعر شياطين يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل فمن انفرد به الهوبر جاد شعره، ومن انفرد به الهوجل فسد شعره، وإنهما قد اجتمعا لك في هذا البيت، فكان معك الهوبر في أوله فأجدت، وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت " [(2)].

فالفرزدق أدرك أن في الرجل غفلة تغمز فطنته وشاعريته لأنه لم يجانس بين المعنى ووحداته البنائية، ولم يشاكل بين الشطرين، وكأنما قذف بهما اعتباطا، أو كيفما اتفق، وبهذا قدح وقبّح من حيث أراد المدح إذ لا يليق بالممدوح الذي يضرع إليه طمعا في نواله أن يشبه رأسه بالطين .

ومن هذا الباب – وإن كان أهون وأخف وطأة – كلمة (الصيعرية) في قول عمرو بن كلثوم[3] :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

فما إن سمعه طرفة بن العبد (514-544هـ) حتى قال : " استنوق الجمل " [(4)] وهذه وهذه المقولة على قصرها ليست مجرد حكم بالقبح، أو الرداءة ولكنها خبرة تأملية لغوية جعلته يتدارك ما فات الشاعر من مراعاة السياق اللغوي، فالصيعرية في الأصل سمة في عنق الناقة، فكيف يخلعها على البعير ؟!، تلك هي القدرات الأساسية التي تميّز المبدع، وهي كما لحظنا تتوزع على مظهرين يعكسان النشاط العقلي للشاعر أحدهما:

مظهر استقبالي : ويتمثل في الإحساس الفني الذي يجعل الشاعر يفطن إلى ما لا يفطن إليه غيره ويشعر بما لا يشعر به سواه من خصائص التركيب ومدى ملاءمتها الفكرة المبتدعة وسياقها العام، والثاني:

مظهر أدائي : يتمثل في الأصالة والطلاقة والمرونة .

---

[1]) الفرزدق – همام بن غالب – ديوانه : سلسلة شعراؤنا : قدم له وشرحه مجيد طراد – دار الكتاب العربي – بيروت ط2 سنة1994ج2 ص : 245

[(2)] أحمد طه عصر : مفهوم الإبداع في الفكر النقدي : ص 51

[3]) عمرو بن كلثوم ديوانه : سلسلة شعراؤنا : جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب – دار الكتاب العربي – بيروت ط 2سنة 1996- ص64

[(4)] أحمد طه عصر : مفهوم الإبداع في الفكر النقدي ص : 70/69

لابد لنا أولا أن نتحدث عن النقد كإشارات أولى وهي :

أقسام النقد : ينقسم النقد إلى قسمين :

1- النقد الإنشائي : وهو ذلك النقد الذي يصدر عن الأدباء والمفكرين والنقاد المحترفين .

2- النقد الوصفي : هو ذلك النقد الذي يتناول الكتّاب والشعراء الذين دعوا إلى مذاهب معينة، أو خرجوا على تقليد مألوف، أو ثاروا على طريقة متبعة، لنقد أبي نواس لبدء القصيدة بالأطلال، ونقد المتنبئ لبدئها بالنسيب .

وإذا كان الأدب يفسر الحياة، فإن النقد يفسر التفسير، أي أنه تفسير التفسير .

أنواع النقد [1] **:**

1. النقد الذاتي أو التأثري أو الانطباعي : وهو النقد الذي يقوم على الذوق، ويعتمد على التجربة الشخصية، دون الأخذ بعين الاعتبار : المنهج الموضوعي العلمي، والابتعاد عن الأسس الفكرية والعقدية والفنية وما إلى ذلك، ويصدر هذا النوع عن مشاعر خاصة، وآراء خاصة في العمل الأدبي دون إظهار الأسباب التي استند إليها في أحكامه، أي يكون نقدا غير معلل، ويمكن القول : إنه لا يهتم بتحليل الأثر الأدبي ولا بترجمة حياة مؤلفه، ولا بمناقشة قضايا جمالية مجردة، وإنما يقدم في أسلوب جذّاب انطباعه هو تأثره هو نفسه بالأثر الأدبي الماثل أمامه .
2. النقد الموضوعي أو التطبيقي : وهو الذي يرتكز إلى الأصول المتبعة، والقواعد العقلية المطبقة، ويعتمد عليها في حكمه على العمل الأدبي، وتعتبر الذاتية في تقدير العمل الأدبي هي أساس الموضوعية فيه .
3. النقد الاعتقادي : هو ذلك النقد الذي تتحكم فيه عقائد وآراء خاصة عند الناقد .
4. النقد التاريخي : وهو النقد الذي يقوم على تفسير الظواهر الأدبية، ويهتم بالمؤلفات، ويعنى بشخصيات الكتاب، أكثر من عنايته بالحكم والمفاضلة .
5. النقد اللغوي : وهو النقد الذي يحكم فيه على أساس اللغة وقواعدها الأسلوبية واللغوية المقررة، وهذا واضح عند النقاد من اللغويين العرب بعد القرن الثالث الهجري، أمثال المزرباني في كتابه (الموشح) ذلك أنه ترك الموازنة بين الشعراء والبحث في جودة الكلام .
6. النقد البلاغي : وهو النقد الذي يقوم في أحكامه على أسس بلاغية، " وربما كان هذا هو السر في أن النقاد من العرب كانوا يخلطون بين النقد الأدبي والبلاغة من القرن الثالث الهجري حتى العصر الحديث "
7. النقد الفطري : وهو النقد الذي يعتمد على الإحساس والذي البسيط لا على القواعد والمقاييس المضبوطة، ومثاله نقد الشعراء في العصر الجاهلي .
8. النقد الفلسفي : هو النقد الذي يعتمد على الفلسفة في العملية النقدية، وهذا واضح عند قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) وكانت تلك المحاولة، هي أول محاولة تطبق على الشعر العربي، وذلك في العصر العباسي حين ترجم كتاب (

[1] هاشم صالح منّاع : بدايات في النقد الأدبي : ص (10/108)

الخطابة) لأرسطو طاليس في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة، ثم كتاب الشعر، وبذلك كان في متناول النقاد العرب مادة فلسفية جديدة لا عهد لهم بها، طبقوا معاييرها وأصولها في إظهار جودة العمل الفني أو رداءته .

9. النقد المقارن : هو الذي يعتمد على الموازنة الدقيقة بين فنون الشعراء، وبيان اتجاهاتهم في الشعر بيانا مضبوطا مسبوقا بالفحص والامتحان . وأول كتاب صدر عند العرب على هذا النهج كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري) للآمدي، فقد وازن فيه بين الشاعرين مبينا الاختلافات الجوهرية بينهما، وصفات كل منهما وخصائصه .

المقاييس النقدية : ونعني بالمقاييس النقدية تلك المعايير والأسس التي اعتمدها النقاد في نقدهم العمل الأدبي، حين أصبح علم النقد والبلاغة متطورا، وحين أخذ الناقد ينظر للعمل الأدبي نظرة فاحصة شاملة ممعنة عميقة، ويمكننا إيجاز ذلك فيما يلي[1] :

أ) مقاييس نقد المعنى :

1- الصحة والخطأ : صحة المعنى من حيث الوقائع التاريخية والسياسية والاجتماعية والدينية وعدم الوقوع في الأخطاء اللغوية والعروضية وما إلى ذلك .
2- الابتكار والتقليد والسرقات .
3- الطرافة : أي الغريب النادر، كأن يكون استجادة المعنى طرافته في بابه، فهو مبتكر من ناحية، وغريب في معناه من ناحية أخرى .
4- إتمام المعنى : وهو أن يذكر المعنى، فلا يدع شيئا تتم به صحته، ويكون فيه تمامه .
5- الدين والخلق : وهذه المسألة فيها خلاف، فيرى بعض أن يتقيّد الشعر بالدين وقواعد الخلق، ويرى بعض آخر ضرورة الفصل بينها .
6- المقياس النفسي : ويتضح هذا من خلال موسيقى الشعر، أي : ما تحدث في النفس من أثر، وما تثيره من انفعالات ؛ " لأن الشعر هو ما أطرب، وهزّ النفوس وحرّك الطبائع "
7- التناقض : أي لا يتناقض الشاعر في شعره كأن يعتمد مبدأ معينا، ثم يأتي وينقض ذلك المبدأ.
8- الصدق والكذب : أي مطابقة الكلام للواقع، والكذب عكس ذلك .
9- الإحالة : أن يثبت الشاعر معنى يستحيل وقوعه .
10- الوضوح والغموض .
11- المحسنات المعنوية و البديعية: من طباق، ومقابلة، ومبالغة، وتقسيم، والتفات، تتميم، وتورية، ولف ونشر، ومراعاة النظير وغيرها .
12- تنوّع الأغراض والموضوعات: أي : أن يحسن الشاعر في التنويع في الموضوعات الشعرية المطروقة .

[1] هاشم صالح مناّع : بدايات في النقد الأدبي : ص 125

13- طول النفس الشعري : أي من حيث طول القصائد وقصرها .

ب) مقاييس نقد الأسلوب :

1- دراسة المفردات : من حيث الدقة في أداء المعنى، والإيحاء، والسهولة، والألفة والغرابة، والحوشي، والسوقي، والاستعمال، أي مسموعة عن العرب الفصحاء، والتكرار في البيت الواحد وغير ذلك .
2- المنحو : وذلك عن طريق مخالفة الشعراء القواعد المرسومة في علم النحو، أو سلامة أشعارهم من الأخطاء النحوية .
3- السهولة والانسياب : عدم ثقل الكلمات في النطق، كأن يختار الشاعر حروفا متتابعة في بيت واحد، ينفر منها الذوق، وتثقل في النطق مثال ذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

4- الوضوح : أي أن يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد .
5- قوّة الأسلوب.
6- المحسنات البديعية، والأساليب البلاغية، والصور البيانية .
7- التلاؤم بين اللفظ والمعنى .
8- التكلف والصنعة .
9- وحدة النسج : تقارب الأسلوب، أي : عدم التأرجح في الألفاظ، مرة غريبة، مرة سهلة، مرة سوقية .
10- الإيجاز والإطناب .

ج) مقاييس نقد العاطفة :

1/ الرغبة 2/ الرهبة
3/ الطرب 4/ الغضب [1]
5/ مقدار تأثير عاطفة الشاعر على المتلقي .

د) مقاييس نقد الخيال :

لقد حصر باب الخيال في أبواب كثيرة منها :
1/ باب المجاز المرسل 2/ باب التشبيه
3/ باب الاستعارة المبنية على التشبيه 4/ باب الكناية .

ويرى النقاد أن الكلام المشتمل على الخيال أروع وأشد تأثيرا في النفس من الكلام الذي يكون كله حقيقة .

- عمود الشعر : تعريفه : من القضايا الهامة التي اهتم بها النقاد العرب قضية عمود الشعر ؛ الذي يقصد به الطريقة الموروثة عن العرب في وزن الشعر وقافيته وأسلوبه، وهو بيان لعناصر الشعر الأساسية وسماتها ومعالمها، ومعايير هذه العناصر كما اتفق الناس على ذلك [2].

---

[1] حكى الأصمعي عن أبي طرفة " كفاك من الشعراء أربعة " : زهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب ، وعنترة إذا كلب ، وزاد قوم : وجرير إذا غضب " . وقيل لكثير – أو لنصيب – من أشعر العرب ؟ قال : امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب . انظر العمدة : ج1ص204، والمزهر : ج2ص479- وكلب : غضب)

[2] هاشم صالح مناّع : بدايات في النقد الأدبي : ص 128

ولم تكن هذه العناصر معروفة في العصر الجاهلي باصطلاحها – التي سنعرض لها – بل كانت تمارس وتوظف وتستخدم على الطبيعة بمفهوم دلالة الاصطلاح، دون الاهتمام بوضع المسميات، التي قام النقاد – فيما بعد – بوضعها استنادا على ما ورثوه في شعر عربي أصيل، فأصبحت هذه العناصر أساسا لكل شاعر، وسنة ثابتة، نهجا واضحا، وطريقا بينا، ومسلكا متبعا، يقتفي أثره الشعراء .
فائدته : تكمن فائدة عمود الشعر برسم طريق واضح للشعراء حتى لا يخرجون عنه، ولا يفارقونه، من أجل الحفاظ على سنة القدماء .

ويحدد المرزوقي هذه الفائدة بقوله : " الواجب أن يتبيّن ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب، ليتميّز تليد الصنعة من الطريف، وقديم نظام القريض من الحديث، ولتعرف مواطن أقدام المختارين فيما اختاروه، ومواسم أقدام المزيّفين على ما زيّفوه، ويعلم أيضا فرق ما بين المصنوع والمطبوع، فضيلة الأتيّ السمج على الأبيّ الصعب [1]" .

عناصره : لم يكن المرزوقي أبو علي أحمد بن الحسن (ت421هـ) أول من بحث في موضوع عمود الشعر، بل سبقه كثيرون، منهم أبو الحسن طباطبا (ت322هـ)[2].
والآمدي الحسن بن بشر (ت 370هـ) والجرجاني القاضي على بن عبد العزيز (ت 392هـ) .
ولكن هذه العناصر لم تكن كما حددها المرزوقي – الذي أخذ عن السابقين وأضاف إلى ما أخذه – حتى استطاع أن يقنن هذه العناصر، ويحددها، ويوضح مفهومها، وعدتها عنده سبعة عناصر ثابتة، عرفت باسمه، وقرنت به، لم تتغير منذ أن وضعها ولم يضف إليها عنصر ثامن، على الرغم من كثرة وجود النقاد والباحثين الذين جاءوا من بعده دارسين لعناصره، محللين لها، ومعقبين عليها، مستفيدين منها متمثلين بها .

ويحدد المرزوقي هذه العناصر بقوله : " إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف – ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات – والمقاربة في التشبيه، التحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما – فهذه أول سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منها معيار [3].

النقد والبلاغة :

---

[1] نفس المرجع السابق : ص 129
[2] نفسه : ص 129
[3] هاشم صالح منّاع : بدايات في النقد الأدبي : ص 129

إن الدارس للأدب في عصوره الأولى يلاحظ أن المحاولات النقدية – لا البلاغية – كانت تواكبه، لأن الأعمال الأدبية، هي تلك المادة الخام للعمل النقدي، فلا نقد بدون عمل أدبي، ولا أدب متطور بدون عمل نقدي، فالنقد يوجه الأدب إلى طريقه الصحيح، ويعيده إلى مسلكه القويم، ويساعده على تثبيت أسسه وقواعده، والمتصفح لتلك المحاولات النقدية يجدها أنها قد صدرت من عرب خلّص، تمتعوا بصفاء الذهن، والقريحة الحادة، ونقاء السليقة، والفطنة السليمة، والذوق الفني، والإحساس المرهف دون اعتمادهم على الموهبة التي منحهم الله إياها، ولم تكن تلك المحاولات النقدية بمعزل عن الجوانب البلاغية، ولم تكن البلاغة قد ظهرت على السطح، ولم تتبلور كاصطلاح أو علم قائم بذاته، غير أن الناقد – إن صح أن نطلق هذه اللفظة – كان يمارس البلاغة تطبيقا وتشكل علمي [1].

وحين نأخذ على عاتقنا البحث عن بداية ظهور البلاغة فإننا سنجد أن الجاحظ (ت150-255هـ) هو صاحب الريادة والسبق في محاولته لتحديد مفهوم البلاغة، فقد أخذ يبحث عن مفهوم البلاغة عند جميع الأمم من فارسية ويونانية ورومية وهندية، حتى وصل للعرب، فنقل عنهم تحديد تعريف البلاغة، فقالوا: البلاغة الإيجاز . وقالوا : الإيجاز في غير عجز . والإطناب في غير خطل [2] .

ومع تحديد الجاحظ لمفهوم البلاغة، فإنه لم يتمكن من وضع أسس ثابتة، وقواعد راسخة لها، حتى تكون علما قائما بذاته، ولكنها محاولة جادة رائدة .

وبقى الأمر على ما هو عليه في منتصف القرن الثالث الهجري، إلى أن ظهر عبد الله بن المعتز (247 – 296هـ) فوضع كتابه الموسوم بـ (البديع)، جاء فيه : البديع اسم موضوع لفنون من الشعراء يذكرها الشعراء، ونقاد المتأدبين منهم، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو، وما جمع فنون البديع، ولا سبقني إليه أحد، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين ...

ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة وهي(الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، المذهب الكلامي) اختيارا من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة، فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع ولم يأت غير رأينا فله اختياره [3] .

إن الفصل بين العلمين : النقد والبلاغة لم يكن بالأمر السهل عند القدماء والمحدثين على حدّ سواء، ذلك أن الناقد حين يتناول عملا أدبيا بالنقد فإنه يحكم عليه من

---

[1] نفس المصدر السابق : ص 137
[2] نفسه : ص 138
[3] هاشم صالح مَنّاع : بدايات في النقد الأدبي: ص 138

جوانب عديدة، منها ما يتعلق بالنقد ومنها ما يتعلق بالبلاغة، فالبلاغة هي الأساس النظري للعمل النقدي التطبيقي .

ويظهر التمازج بين النقد والبلاغة في أقدم المؤلفات، فحين ننظر إلى كتاب (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر (ت 337هـ) نجده مناصفة بين قضايا النقد ومسائل البلاغة، وكذلك الأمر عند أبي هلال العسكري (ت 395هـ) في كتابه الصناعتين، ويبقى هذا التمازج وذلك التداخل، وتلك الوشائج بينهما، للصلة الوثيقة بينهما، ويتجلى ذلك بوضوح حين " نجد البلاغيين يستأثرون بمسائل هي من صميم النقد، مثل قضية السرقات الأدبية، وقضية إعجاز القرآن، فهما تنتميان إلى فن الموازنة بين النصوص، وهذا من صميم عمل الناقد واهتمامه، فتتبع الفكرة الواحدة في نموّها أو تلوّنها وتحوّرها عبر الأدباء والقدرة على المقابلة بين النصوص سواء داخل اللغة الواحدة، أو عبر لغتين أو أكثر، من الأسس التي يجب أن تتحقق مبدئيا في الناقد، وتحيط بها ثقافته [1]

لم يكن للنقد قواعد محددة في العصر الجاهلي، بل كانت هناك مجرد لمسات سطحية عابرة ذات صبغة ذاتية محضة يلعب فيها المزاج الشخصي دورا رئيسيا، فهذا شاعر يطير ذكره لمجرد بيت قاله فأعجب به الناس وذلك شاعر خلدته قصيدة لطرفة بن العبد، وآخر يعجب بقصيدة الخنساء في سوق عكاظ فيعتبرها أشعر الجن والإنس .

وعندما جاء الإسلام بدأ النقد يركز على المضمون أكثر من تركيزه على الصياغة . فهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول لابن العباس : أنشدني لأشعر شعرائكم . فيسأله عبد الله بن العباس – رضي الله عنه : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : زهير بن أبي سلمى : فيسأله عبد الله بن العباس: وبم يكون ذلك ؟ فيجيب عمر : لأنه كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حوشيّه ولا يمدح الرجل بما لا يكون في الرجال [2]، وفي رواية أخرى لابن سلام : (ولا يمدح الرجل إلاّ بما فيه) .
لا يعاظل في الكلام : لا يعقده

وقد تعرضت الخنساء لمثل هذه اللمسات النقدية بدأت في رحاب النابغة الذبياني بسوق عكاظ فأصدر حكمه بأنها بعد أبي بصير (أعشى قيس) في المرتبة وفي رواية اعتبرها أشعر ذات ثديين، ولو أنه قدم عليها أبا بصير لقال أشعر الجن والإنس .

والناقد الثاني للخنساء هو حسّان بن ثابت – رضي الله عنه – الذي اعتبرها أشعر ذات مثانة [3]، ويقول حسان : إن النابغة قال له : أنت شاعر، والخنساء بكّاءة ...

---

[1] نفس المصدر السابق : ص 139
[2] فتحي كواملة : في رحاب الخنساء - دار الجيل : ص157 .
[3] نفس المصدر السابق : ص158-

أما الناقد الثالث فهو الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي اعتبرها أشعر الناس ، والرسول صلى الله عليه وسلم) ذواقة في الشعر . وقد سبق وذكرنا ما دار بينه (صلى الله عليه وسلم) وعدي بن حاتم الطائي الذي زعم امرأ القيس أشعر الناس، فرد عليه (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (أما أشعر الناس فالخنساء) .

والناقد الرابع للخنساء هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) الذي شعر بصدق عاطفتها فتركها وشأنها واكتفى بقوله : (دعوها فإنها لاتزال حزينة أبدا)[1] .
أما الناقد الخامس للخنساء فهو الشاعر الذي يغرف من (بحر) جرير بن عطية الخطفي، الذي سئل عن أشعر الناس، فقال: أنا لولا الخنساء . فقيل له : بم فضّلتك؟ قال : بقولها :

إنّ الزمان وما يغني له عجب أبقى لنا ذنبا واستؤصل الرأس
إنّ الجديدين في طول اختلافهما لايفسدان . ولكن يفسد الناس

والناقد السادس للخنساء هو أبو معاذ – بشّار بن برد – الذي قال : لم تقل امرأة شعرا قط إلاّ تبيّن الضعف فيه .
فقيل له : أو كذلك الخنساء ؟!
تلك لها أربع خصيّ ... !"[2].

أما الناقد السابع فهو أبو العباس المبرد الأديب النحوي البغدادي صاحب كتاب (الكامل في في اللغة والأدب) . فهو إذ يستشهد بنماذج مختارة من شعرها في الرثاء ينقد بيتها المشهور ذائع الصيت :
(وإنّ صخرا لتأتم الهداة له كأنه علم في رأسه نار
فيقول عنه أبو العباس : إنه من التشبيه المتجاوز المفرط ...)[3] .

في حين أنّ ناقدا ثامنا هو المفضّل الضبّي قال عن هذا البيت : سألني الخليفة المهدي عن أفخر بيت قالته العرب، فقلت بيت الخنساء :

" وإنّ صخرا لتأتم الهداة به ... ...

أما الناقد التاسع فهو النويري صاحب (نهاية الأرب) الذي قال : من أحسن الرثاء وأشجاه ما نطقت به الخنساء في رثائها لأخيها صخر فمن ذلك قولها :

ألا صخر إن أبكيت عيني لقد أضحكتني دهرا طويلا

يقول السيوطي : أراد بالمثانة هنا موضع الولد من الأنثى وهو أحد معانيها ، بل هو الصحيح عند بعضهم والقول كناية عن المرأة
[1] نفس المرجع : ص 158
[2] المبرد : الكامل في اللغة والأدب : ج2ص327
[3] نفس المصدر السابق : ج2ص50

أما الناقد العاشر فهو أبو تمام الذي قال عنها : "الخنساء هي المقدمة من النساء في الشعر "[1]

وابن سلام اعتبرها ثاني المجيدين في شعر الرثاء [2]، هذا بالنسبة للخطرات الذاتية التي صدرت عن القدماء .

وبالرغم من أن الخنساء حفرت اسمها في غور الأمة العربية كشخصية رمزية أسطورية للحزن العميق – وإن صحّ التعبير – كأميرة تتربع على عرش الرثاء في الأدب العربي - وإن كنا قد وجدنا أنها من طلائع المتمردين على أسلوب المعلقات بالتزام الوقوف على الأطلال مفتاحا لكل قصيدة، فاتكأت على عينيها لتوصلاها إلى ما تريد أن تقوله، وكذلك تمردت على وحدة البيت في كثير من الأحيان، حيث موضوعها واحد، عاشته الخنساء تجربة ذاتية مباشرة ومترابطة أحيانا لحد الانصهار، ومع ما في تجربة الخنساء الشعرية من صدق العاطفة واتساق في التعبير والموسيقى الظاهرة والباطنة، وخفة الروح في أوزانها المختارة حيث لجأت إلى البحور ذات التفعيلات قليلة عدد الحروف كالمتقارب والسريع والرمل، أو مجزوءات هذه البحور وغيرها كمجزوء الكامل، هذا مع رقة الديباجة وسلاسة اللفظ وتناغمه، بالرغم من كل هذا فإن لما على الخنساء بعض الهنّات التي ربّما فرضتها عليها طبيعة نشأتها وظروفها البيئية كامرأة بدوية جاهلية ومن هذه المآخذ:

أ- سذاجة أفكارها : إذ لا نلمس في شعرها عمق التجربة والحكمة التي نلمسها عند شاعر كزهير بن أبي سلمى مثلا : وإن وجد في شعرها شيئا من هذا القبيل فإنه نادر جدا كقولها :

إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس[3]

ب- صورها : تكاد تكون حسية منتزعة من بيئتها الصحراوية البدوية الجاهلية شأنها في ذلك شأن غيرها من شعراء الجاهلية، وتركيبة هذه الصور وعناصرها لا تتجاوز الأسد والجبل والبحر الخضم والدسيعة تخف بها جموع العفاة الخماص، والصقر الذي يحط على فريسته ومسعر الحرب الذي يؤججها فلا تبقى ولا تذر ومدره الحرب وغيث السلم وربيع الجدب وما إلى ذلك، من رموز استعارتها في بناء صورها الخيالية، ولكنها لم تصل إلى مستوى أستاذها (النابغة) في اعتذارياته للنعمان، وليلته النابغية، ولا إلى مستوى زهير في تصوير الحرب برحاها وضراتها ولقاحها وإتآمها، ولا إلى مستوى امرئ القيس في طردياته، أو ليله الذي تمطّى بصلبه وأردف إعجازا وناء بكلكل .

ت- التكرار : هو تكرارها لأفكارها وصورها وأحيانا لعباراتها بشكل يستطيع معه الدارس أن يكتفي بقصيدة واحدة عن عدة قصائد حتى لا يقع في دوامة الملل ولا يضيع وقته في حلقة مفرغة .

---

[1] فتحي كواملة : في رحاب الخنساء- دار الجيل : ص160

[2] نفس المصدر السابق : ص 160

[3] الخنساء : ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان ص69

ث – روح الإسلام : التي لا تبدو وقد أثّرت في شاعرتنا الصحابية الجليلة التي كانت تجلس بين يدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) تنشده وتستمع إليه، فكان جديرا بالخنساء أن تتأثّر بالإسلام وقد شربت من فجر نبعه الأوّل، ولكن مع هذا لا نجد في شعرها إلاّ لمسات باهتة حول أثر الإسلام في صقل أفكارها ووجدانها، بخلاف ما نراه لحدّ ما في شعر حسّان بن ثابت الذي تبنى الدفاع عن العقيدة الجديدة وحاول- لحد ما – التخلص من بعض المفاهيم الجاهلية في شعره .

وتسير البلاغة مع النقد جنبا إلى جنب، معتمدة على الذوق الخاص ويتضح ذلك جليا عند الآمدي (ت 371هـ) في كتابه (الموازنة بين الطائيين)، والقاضي الجرجاني (ت 392هـ) في كتابه (الوساطة بين المتنبئ وخصومه)، وأبي هلال العسكري (ت 395هـ) في كتابه (الصناعتين)، وابن رشيق القيرواني (ت نحو 456هـ) في كتابه (العمدة) وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في كتابيه (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) .

وهكذا نرى أن البلاغة كانت النقاد (فصلا من تحليلهم للأدب ن ومقياسا يحتكمون إليه، فامتزجت موضوعية المقياس الفني بالذوق العربي المدرك لخصائص الأسلوب العربي، وطبيعة النفس العربية ومميزاتها .

وما يكاد يطل القرن السادس حتى تضمحل المدرسة الذوقية، وتظهر النزعة القاعدية الجافة . وحين يؤلف السكّاكي في القرن السابع (ت626هـ) كتابه (مفتاح العلوم) فإنه يسجل نصره الكامل على المدرسة الأدبية الذوقية، وتتحول البلاغة إلى قواعد جامدة في حدود علومها الثلاثة التي استتر أمرها إلى اليوم(المعاني،البيان،البديع)[1].

يرى القارئ للنقد الأدبي كثيرا من الألفاظ التي تبدو له غامضة، أو مبهمة أو غير محددة المعنى، ويشعر القارئ نحوها بضيق، لأنها لم توضح له المراد، فيصبح كأنما هو في متاهة يضل فيها الطريق.

وقد رأيت كباحث أن أتطرق لهذه القضية من كتاب يعالج النقد عند العرب أن أقوم، على قدر المستطاع بتحديد بعض العبارات، حتى يزول عنها ما بلغها م الغموض والإبهام، فمن ذلك قولهم : شعر كثير الماء والرونق أو قليلهما[2] . يريدون بذلك ما نعنيه اليوم بقوة العاطفة في الكلام، لأن الماء دليل الحياة في هذا الكون، وإنما يكون الشعر حيّا إذا بدت فيه العاطفة قوية، إذ أنها مصدر حياة الشاعر، فإذا قلت هذه العاطفة، وطغى عنصر التفكير، لم يظهر على السامع نشاط ولا سرور ولا بهجة.

---

[1] هاشم صالح منّاع : بدايات في النقد الأدبي : ص 140

[2] ابن قتيبة : الشعر والشعراء: ص 4 ، : الموازنة :ص3 ، وأخبار أبي تمام: ص 34، أبو هلال العسكري : الصناعتين: ص 198.

ورونق الكلام : جماله، ويأتي من تخيّر الكلمات التي تهبط بها السوقية، ولم يضع من أمرها الابتذال، ولم تغلفها الحوشية بثوب من الغموض، وقد وصف بهما شعر البحتري وشعر الأخطل، وواضح فيهما البعد عن التعمق للوصول إلى معان غريبة، وتخيّرهما للألفاظ .
والطلاوة [1] : الرونق أيضا .
وحلاوة اللفظ [2] : سهولته وجمال معناه .

ومن ذلك قولهم : شاعر فاخر الكلام حر اللفظ [3]، يريدون بهما أنه بعيد السوقية، يعنى بتخيّر كلماته، وأن تكون خالصة من استعمال العامة، ويعنون بحسن نسق الكلام [4] حسن ترتيب بعضه على بعضه، وتعلّق اللاحق بالسابق بحيث يكون مبنيا عليه .

وديباجة الرسالة : فاتحتها ديباجة الشعر [5] نسجه . وأصل الديباجة : الثوب الذي سداه ولحمته حرير، وقد سبق وأن عرفنا الأسلوب الجزل، والأسلوب السهل، وكثيرا ما يصفون الأسلوب بهما، فيقولون سهل ؛ جزل، لا يريدون بذلك الجمع بين نوعي الأسلوب، ولكنهم يريدون الكلام مع تخيّر لفظه، وانتقاء كلماته من بين ألفاظ الطبقة المثقفة، سهلا لا تعقيد فيه في تركيب جمله، ولا بعد في دلالة الكلام على معناه، ولا صعوبة على اللسان في النطق بألفاظه وعباراته .

ويعنون بقرب المأتى [6] : وضوح المعنى، وأن الشاعر لم يتكلف عناء في السعي وراء معناه، ولم يتكلف سامعه عناء في الوصول إلى هذا المعنى .
ويصفون اللفظ بالرشاقة [7] : كما يصفون بها المعنى أيضا [8]، يعنون بالرشاقة في كليهما الطرافة والجدة، لأن الطرافة تكسب اللفظ والمعنى جمالا .

أما رقة حواشي الكلام [9] : فيعنون بها رقة الكلام نفسه، إذ الحاشية في اللغة الجانب، وحواشي الكلام جوانبه، ويراد بها أجزاؤه ونواحيه، وقد يكون معنى هذه العبارة : أن الشعر تدرك جودته من أول نظرة فيه، وذلك مأخوذ من أن حاشيتي الثوب جنبتاه اللتان يكون فيهما الهدب، ومن هاتين الحاشيتين تعرف جودة حياكة الثوب، ودقة نسجه من أول نظرة يلقيها عليه .

ومن ذلك هلهلة النسج، ومتانة الأسر، وهما على طرفي نقيض :

---

[1]) العسكري أبو هلال: الصناعتين : ص 164
[2]) للآمدي : الموازنة ص3 ، ابن رشيق : العمدة : ج1ص72
[3]) االجمحي بن سلام : طبقات فحول الشعراء : ص 452
[4]) ابن رشيق : العمدة : ج1ص84
[5]) نفس المصدر السابق : ج1ص 63
[6]) الآمدي الموازنة: ص 2
[7]) ابن رشيق : العمدة : ج1ص142
[8]) نفس المرجع السابق :ج1 ص 72
[9]) الجمحي ابن سلام : طبقات فحول الشعراء : ص 452

أما متانة الأسر فأن ترتبط الكلمات بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، وأن يكون نسجها متتابعا متصلا، لا تدخل كلمة غريبة في بنائه، ولا تحس بفجوة في تركيبه . على عكس النسج المهلهل، إذ يضطرب تركيبه حينا، فلا تعود الكلمة شديدة الصلة بجاراتها، وحينا تدخل في العبارة كلمات غريبة، وحينا آخر يتركب من كلمات تختلف جزالة وسهولة، فيصبح الأسلوب مكونا من لبنات مختلفة شدة ولينا، وربما اشتد أسر الكلام، حتى يصبح كزّا يابسا، ومن هنا كان الحكم على الشّمّاخ بأنه كان شديد متون الشعر، أشدّ أسرا من لبيد . وفيه كزازة، ولبيد أسهل منه منطقا [1] .
وسبك الكلام [2] : صوغه وهناك سبك جديد، وآخر رديء، وإذا تركت كلمة السبك السبك بدون وصف عن بها النقاد السبك الممتاز .
وينبغي أن أوجه النظر إلى أن أحد النقاد المبرزين قد أعلن مر الشكوى من تداول ألفاظ بين البلاغيين، يرددوها من دون أن يدركوا حقيقة معناها، ودعا أن تكون العبارات التي يحكم بها رجال الفصاحة واضحة المعنى في رؤوس قائليها، وأن يتلمسوا الكلمة المبينة عن الخاصة البلاغية .

هذا هو الناقد عبد القاهر الجرجاني، إذ يقول : (إنا لم نر العقلاء قد رضوا من أنفسهم في شيء من العلوم أن يحفظوا كلاما للأولين، ويتدارسوه، ويكلم به بعضهم بعضا، من غير أن يعرفوا له معنى، ويقفوا منه على غرض صحيح، ويكون عندهم، أن يسألوا عنه، بيان له تفسير، إلاّ علم الفصاحة ؛ فإنك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم ألفاظا للقدماء، وعبارات من غير أن يعرفوا لها معنى أصلا، أو يستطيعوا، أن يسألوا عنها، أن يذكروا لها تفسيرا يصح) .

(فمن أقرب ذلك أنك تراهم يقولون، إذ هم تكلموا في مزية كلام على كلام : إن ذلك يكون بجزالة اللفظ، وإذا تكلموا في زيادة نظم : أن ذلك يكون لوقوعه على طريقة مخصوصة، وعلى وجه دون وجه . ثم لا نجدهم يفسرون الجزالة بشيء . ويقولون في المراد بالطريقة والوجه ما لا يخلى منه السامع بطائل [3] .

وقد جنى هذا اللون من الأحكام الغامضة، الكلمات المبهمة، أن خيّل لكثير من الناس أن في استطاعتهم الحكم على كل الشعراء بهذه الكلمات المتداولة .

ونحن من جانبنا نحب أن تكون العبارات التي يحكم بها على النصوص دقيقة، وأن يكون فهم مزايا الكلام واضحا، حتى يمكن إعطاء كل نص حقه من التقويم والتقدير ويكون ترتيب النصوص، ووضعها في أماكن تستحقها، والموازنة بينها، مبنيا على أسس واضحة .

---

[1] نفس المرجع السابق : ص 110
[2] الجرجاني : دلائل الإعجاز : ص 194
[3] نفس المرجع السابق : ص 6- 9

ولاشك أن للناقد الأدبي الدور الخطير في توجيه الأدب بما يحدثه نقده للعمل الأدبي من أثر يدفع المتأدبين إلى الاهتمام به، أو إلى إهماله، والإغضاء عنه، فقلم الناقد كمبضع الطبيب، يستسلم له المريض، فيعزل ما يعزل، ويحتفظ بما يشاء، معتمدا على ثقة المريض فيه وفي مقدرته، وكذلك ينصب الناقد نفسه، أو ينصبه مجتمعه، ليدلي برأيه، فيقتدي به من وراءه الواثقون ...

والعمل الأدبي إنتاج تقديري، تتفاوت حوله الآراء وتتباين، ليس لنقص فيه، أو لاعتلال فيها، وإنما لاختلاف الأذواق المقدرة، واختلاف المعايير المقوّمة التي يوزن بها العمل ؛ فيحكم به أو عليه، فالزهرة تجد من يهواها كما تجد من يبغضها أو يرفضها، ليس عن جهل ما إليها الهاوي، وليس عن جهل نبذها المبغض الرافض وعلى من يقف يستمع إلى، لتطلع إلى رأي وسط أن يستمع إلى هذا،كما يستمع إلى ذاك، ويقرع الحجة بالحجة، ثم ينظر الأقوى على الثبات، فهو الأقرب إلى الصواب حسب تقديره .

وهذا ما سوف نسير عليه مع شاعرتنا الخنساء في جولتنا بين أيدي النقاد ؛ نعرضها أولا على الأقدمين، ثم نعرضها على المحدثين ثم نرى رأينا بعد ذلك، أما أن نكتفي بمعرفة مكانتها في نفوس معاصريها وتابعيها وغيرهم، فهذا شيء آخر، فكم من أشياء نعتز بها، وهي في نفسها غير ذات قيمة، وكم من أشياء ثمينة نتركها نهب الإهمال والضياع، دون أن نفكر في هذا أو في ذاك .

في مقدمة علماء الشعر الأقدمين، نجد ابن سلام قد حصر فن الخنساء [1] في المرثية، ثم جعلها ثانية شعراء المراثي، مقدما عليها متمم بن نويرة، وتابعه من بعده في حصر فنها في الرثاء، أما مركزها بالنسبة للآخرين فقد اختلف .
فالأصمعي يقدم عليها ليلى الأخيلية حيث قال في سؤال وجهه إلى راويته " أبي حاتم السجستاني " : أشعرت أن ليلى الأخيلية أشعر من الخنساء [2] ؟ ووازن أبو زيد بين ليلى والخنساء فقال : (ليلى أغزر بحرا، وأكثر تصرفا، وأقوى لفظا، والخنساء أذهب في عمود الرثاء) [3] .

أما المبرد فقد ذكرهما معا من غير تصريح بتفصيل، إلى أنه بدأ بذكر الخنساء في قوله [4] : (كانت الخنساء وليلى الأخيلية في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول قلّما رأيت امرأة تتقدم في صناعة) .

وهكذا نجد الأقدمين يدورون بها في مجال المرثية ؛ ليحددوا مركزها من شعرائها وشاعراتها أو ليحددوا مركزها من شعرائها فحسب، ولم يخرجوا بها عن هذا

---

[1] الجمحي ابن سلام : طبقات فحول الشعراء: ص 169ط دار المعارف
[2] الأصمعي : فحولة الشعراء : ص 47- ص 45، ط سنة 1953م
[3] الحصري : زهر الآداب : ص4- ص 955
[4] ابن عبده ربه : العقد الفريد : ج4 ص 71

المجال، غير أن ابن قتيبة زاد شيئا في حدود المرثية كذلك فقال [1] : " أما ما أدخلت الخنساء من صفات جديدة في المرثية، فمن الصعب أن نحدده، لأنه لم يصل إلينا شيء تام من هذا النوع قبل قصائدها، إلا ما ورد عن المهلهل، وهو في مجمله يقرب من طريقة الخنساء، ولكن ما لا شك فيه هو أن من تبعها من شعراء الرثاء وشواعره ؛ اغترفوا جميعا من بحرها الفيّاض بفيض العاطفة البشرية .

فالنقاد الأقدمون كما نرى لم يصدروا حكما على الخنساء مفصلا دقيقا، وإنما هي آراء عامة، شأن عصورهم في النقد الأدبي، وما كان لنا أن نطالبهم بما لم يعهدوه، وفي مقدمة المحدثين من النقاد نرى كثرة من المستشرقين يقودون البحث في هذا الموضوع، وأهم من كتبوا فيه منهم (كرنكوف) وهو لم يخرج بالخنساء عن مجال المرثية التقليدية، ثم لاحظ على مراثيها القصر، وصدق التفجع والحزن، وحصرها في صورة محدودة المعاني والتعابير .

قال في دائرة المعارف الإسلامية : (ومن العسير أن يقطع برأي فيما إذا كانت الخنساء قد أضافت سمات إلى المرثية، ولم تضف، ولو أننا نكاد نقطع بأن قصائدها ألهمت عددا كبيرا من شعراء المراثي المتأخرين، ومنهم ابنتها عمرة، - نفس ما قاله ابن قتيبة كما ترى – أما إذا وازنا بين شعرها وشعر غيرها من أصحاب المراثي من معاصريها – وحسبي أن أذكر منهم متمما بن نويرة وأبا ذؤيب ، فقد حق لنا أن نعترف بأن قصائدها يعوزها ما عندهم من الجمال الشعري.

ولكنا نجد فيها على قصره – بالنسبة لقصائدهم – حزنا أبلغ صدقا، ولوعتها، وإن كنا نجد فيه تكرارا لنفس الأفكار، يبعث السآمة في النفس .

ويضيف بطرس البستاني إلى لمحات " كرنكوف "، الغلو المفرط، وافتقار مراثيها إلى المعاني الحكيمة. وضعف مخيلتها، فيقول [2] : (ولعل الغلو أظهر خاصة في الخنساء، فهي مغلية في حزنها، ولوعتها، مغالية فيما تنعت به صخرا من النعوت ... ورثاء الخنساء عاطفي بحت، لا يشوبه تكلف، ولا يرتفع به الفكر إلى المعاني الحكيمة التي نجدها في رثاء لبيد لأخيه، ...

ومما يجدر ذكره أن شعر الخنساء خال من القصائد الطوال، التي عرفناها في الشعراء الجاهليين، فأطول قصيدة لها الراثية " قذي بعينك، أم بالعين عوّار ...، وهي لا تتجاوز الخمسة والثلاثين بيتا، وأكثر شعرها أبيات ومقطعات أو قصائد قصيرة، ولعل ذلك ناتج بعضه عن ضعف المخيلة عند المرأة، وبعضه الآخر عن وحدة موضوع الشاعرة وعدم بعدد أغراضها، فهي لم تطرق غير الرثاء، بما فيه من تفجع ومدح، وما يتبع المدح من ذكر عزوة دون أن تعمد إلى وصف الحرب،

---

[1] ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ص 197

[2] إبراهيم عوضين : دراسة وتحقيق : ديوان الخنساء : ص 161

وتصويرها، وإنما تجعل همها في النواح على صخر، وإطراء شمائله وتمثيلها ماديا، مما جعل أفكارها محصورة محدودة المعاني والتعابير)، وينهج نفس المنهج الدكتور الحوفي، ولكنه لا يتكلم عن الخنساء بالخصوص، بل يتكلم عن مراثي النساء عموما .

يقول [1] : (ويمتاز رثاؤهن بندرة الحكمة فيه، ولم أجد في مراثيهن من الحكمة إلا قليلا جدا) (تمتاز قصائدهن بوحدة الموضوع)
" قصائد مقطعات ؛ فليست لاحداهن مطولة، وأطول قصائد الخنساء وهي زعيمتهن في طول القصائد، أبياتها خمسة وثلاثون، على حين تكثر المطولات في شعر الرجال، وربما كان مبعث هذا القصر تعاطي الموضوع الواحد، وأن دموعهن وصياحهن وأناتهن تنفس حزنهن أقوى وأبرز من الشعر ".
أما بنت الشاطئ فقد قسمت كلامها قسمين [2] : نقضت في أولهما ما أخذ على الخنساء من قصر القصيدة، وخلو شعرها من الحكمة أو قلتها فيه .

نقضت ذلك بما أثر عن نقاد العربية الأقدمين – وإن وضعوا طول النفس في القصيدة موضع التقدير – من تقديم شاعر على شاعر ببيت واحد قاله ؛ فحكموا بأن فلانا أشعر الناس ؛ لأنه قال كذا، ونقضته كذلك بما أثر عنهم من ضيق بشعر المتنبئ وأبي العلاء وابن خفاجة لازدحامه بالمعاني والحكم، كما ضاقوا من قبل بأبي تمام لمثل هذا .

ثم ختمت مقالتها في القسم الأول بقولها :
(لعل القارئ لمح خلال عرضي لمآخذ القدامى والمحدثين على الخنساء إنني لست ممن يدخلون في حسابهم عند وزن الشاعرة طول القصيدة أو قصرها، وكثرة الحكم في شعرها أو ضآلة حظه منها، والحق أن هذه الموازين النقدية لم تعد فيما أرى جديرة بالاعتبار في عصرنا المفتون بفنية الشعر وإنسانية الفن، المعتد بالعمق أكثر من اعتداده بالطول والعرض .

وغريب أن نقرأ مثل هذا الكلام للدكتورة بنت الشاطئ في حديثها عن الخنساء إحدى شواعر الجاهلية.
وليست الغرابة في الطريقة التي سلكتها في نقض ما قيل عن الخنساء من قصر للقصائد أو الافتقار إلى الحكمة ؛ فالأمر في ذلك أهون من أن يثير الدهشة .

إذ من الواضح أن الازدحام بالمعاني والحكمة، والافتقار إلى المعاني والحكم أمران لا يفترقان ؛ ففي كليهما شذوذ عن الوسط، المنسجم مع الفكرة، المتسق مع الغرض المقصود، وكان الأجدر بالدكتورة أن تعرض للحكمة في شعر الخنساء فتبرزها ما

---

[1] إبراهيم عوضين : دراسة وتحقيق : ديوان الخنساء : ص 161
[2] بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن : الروائع :الخنساء ص : 76- 77

دامت موجودة – وفي هذا أبلغ الرد على من أنكر وجودها – أو أن تدرس ظروف الشاعرة وتبحث عن سبب يشغلها عن الحكمة إن لم تجدها، كما أن من الواضح الفرق بين طول القصيدة، والحكم لبيت منها – في اعتبار النقاد الأقدمين – جانبا من جوانب الفن المحصور فيها عمل الفنان الشاعر ؛ يؤاخذ على فقد أحدهما مع وجود الآخر، كما يؤاخذ على فقدهما معا .

أقول ليست الغرابة في ذلك .
إنما الغرابة في محاولة بنت الشاطئ أن تقيس شاعر القرن السابع بمقاييس القرن العشرين مصرحة بذلك في قولها : (وليس معنى هذا أنني أضع شعر الخنساء منأى عن النقد، أو أنجو لها به خالصا من المأخذ والعيوب، وإنما معناه أني أحاول أن أعرض شاعرية الخنساء على مقاييس نقدية جديدة)، ولست أدري أين عدالة القاضي من ذلك النهج التي تنهجه الدكتورة في الخنساء ؟! فالقاضي العادل – المتحرر من حرفية القانون، المتحرر من الافتتان بالتجديد، أي تجديد – هو الذي تستغرقه حياة من يحاكمه، قبل أن يصدر رأيه في عمله .
والصيرفي النزيه هو الذي يقوم المعدن بقيمة عصره، ويزنه بموازين بيئته، قبل أن يسلك من ضمن نوادر متحفة، وتزداد مكانة الصيرفي إذا وازن بين قيمة المعدن في بيئته وعصره وقيمته في البيئة الجديدة، والناقد الأدبي كأي ناقد آخر : إذا أراد أن يصدر حكما موسوما بالصدق والعدالة فعليه أن يتقمص حياة من ينقده ويندمج في غمار تلك الحياة التي كان يحياها في زمانه وبيئته، لا أن يجرده من رفاته، ليجلسه بيننا – وكأنه أحد أبناء جيلنا – ثم يطالبه بأن يحيا حياتنا في عمله، و إلاّ فهو أرقى منا أو أحطّ شأنا .

فالخنساء حين قالت مراثيها لم تعش حياتنا في العصر الحديث الذي فتنه فنية الشعر وإنسانية الفن، والذي يعتد بالعمق أكثر من اعتداده بالطول والعرض، وإنما عاشت في عصر ساذج، وفي بيئة بسيطة بعيدة عن العمق والغوص وراء الأفكار والمعاني، وإنما عاشت في عصر أحسّ قيمة العمق، وبحث عنه، ولكنه لم يستطع الوصول إليه ؛ لأنه فقد الأسباب الموصلة إليه، بل لم يهتد – أصلا – إلى الطريق [1] .

ولقد ظهر أثر هذا الاتجاه من الدكتورة بنت الشاطئ في ثورتها المتكررة على مؤرخي الأدب في عصوره المختلفة ؛ لأنهم قصروا المرأة على شعر الرثاء، ولو انتقلت إلى زمن الجاهلية لعرفت أن هذا الحصر ليس من عمل المؤرخين، وإنما هو من صنع الأخلاق العربية في ذلك الحين . و إلاّ لم توسع مؤرخو الأدب بالمرأة في العصور التالية، ورووا لها الشعر في أغراضه المختلفة ؟ ؟

[1] إبراهيم عوضين : الإسلام والشعر مبحث : ديوان الخنساء دراسات وتحقيق ص : 166

ولو سرنا وراء الدكتورة بنت الشاطئ في هذا النهج المستحدث في نقد الشعر والشعراء تعوضنا أشعار الفحول من الجاهليين ؛ لخلوها من العمق الذي يعتد به في عصرنا الحديث، الذي تفرضه وصيا على سائر العصور، وهي لا تدري موقف العصور المستقبلة من أشعار شعرائنا إذا سار النقاد فيها على نهجها هذا، وإذا كان واضحا سلفا من موقفنا – ونحن نتابع بنت الشاطئ – من أشعار السابقين، لا أعني بهذا أنني أوافق – من كل وجه – الكلام المتقدم في الخنساء، ولكن هي الحقيقة أقررها في مجال النقد عموما، وفي مجال نقد الخنساء على وجه الخصوص .

هذا وقد قال البستاني في دائرة معارفه عن الخنساء : (أجمع أهل المعرفة بالشعر أنه لم تقم قبلها ولا بعدها امرأة مثلها في الشعر فعجت من طبقات فحول الشعراء من الرجال، وأكثر شعرا في رثاء أخويها صخر ومعاوية، وكانت قبل ذلك تقول الشعر النزر)، وقال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي [1] : " ولا يهولنك كثرة أسماء النساء اللاتي قلن شعرا ؛ فعمود الشعر عندهن الرثاء، وليس لهن المقاطيع والأبيات، ولم تبن منهن إلاّ الخنساء وليلى الأخيلية، وما شعرت الخنساء إلاّ كثرت مصائبها، وكانت قبل ذلك كغيرها من النساء تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها صخر ... فأجادت وأطالت، لأنها أصبحت مصروفة الهم إلى نوع من الحب في نوع من الشعر، فلو كان يعرف عندهم أشعر من هاتين لسموهن ... غير أن المصائب لا تجعل غير الشاعرة، ولابد من تركيب ملائم في بعض الناس، لتلقى مادة الشعر عن الروح والقلب والطبيعة، ولم يأت في شعر النساء خاصة أفحل ولا أجزل من شعر الخنساء كأن فقد رجالها جعلها رجلا " .

وقال من المستشرقين، غوستاف فون عرنباوم [2] : (وإذا كانت المراثي نشأت من نياحات النساء، فقد جعل ذلك منها فنا إنسانيا، ومع أن أوس بن حجر قد خلّف بعض المراثي الرائعة إلاّ أن هذا الفن إنما بلغ أوجّه في مراثي الخنساء الشاعرة التي عاشت في القرن السابع .

ولقد اتخذت المرثية أسلوبا خاصا، واضح المعالم، تميّز – إلى جانب التعابير الخاصة والميل نحو تكرار بعض العبارات في عدد من الأبيات الأولى المتتابعة – بمميزات شكلية، نظير نشو ما هو من قبيل الألم، والميل إلى التزام القافية في صدور الأبيات فضلا عن أعجازها، وقال [3] : (أما الخنساء فقد جعلت قمم الجبال تتدحرج بداعي وفاة أخيها، والنجوم تهوى، والأرض تهتز، والشمس تظلم، فالخنساء عندما تنوح على من فقدتهم، تعمد بلا عناء ملحوظ إلى إشراك الكون برمته في مأتم جلله الحزن المفرط، واللوعة المسرفة، ولئن كان أسلوبها هذا قد حظي بالإعجاب والتقدير، فإنه لم يتخذ مثالا يحتذى، ذلك لأن الإحساس بالطبيعة اتخذ في تطوره وجهة أخرى، مختلفة عن هذه كل الاختلاف.

---

[1] إبراهيم عوضين : الإسلام والشعر مبحث : ديوان الخنساء دراسات وتحقيق ص : 167

[2] نفس المصدر السابق : ص167

[3] نفسه : ص 168

أما ما يأخذه بعض المحدثين عليها من خلو شعرها من الحكمة، فهذا مأخذ لا نسلمه إذا قرأنا من شعرها مثل [1]:

قسم لـو بقيت لكنت فينـا عديدا لا يكاثـر بـالعديد
ولكن الحــوادث طارقات لها صرف على الرجل الجليد
أذهب ولا تبعد وكل معمــر سيذوق كأس المنية بتنكد [2]
ومن ظن ممن يلاقي الحروب بألاّ يصاب فقد ظن عجزا [3]

فأصبحـت لا ألتذّ بعدك نعمة حياتي، ولا أبكي لدعوة ثاكل
فشأن المنايا بالأقارب بعده لتعلل عليهم عله بعد نـاهل [4]

سأحمـل نفسي علـى آلــة فـإما علـيها وإمـا لـها
فإن تصبر النفس تلقى السرور وإن تجزع النفس أشقى لها
... ...
تهين النفوس وهون النفو س يوم الكريهة أبقى لها[5]

وإذا قرأنا قولها [6]:

كل ابن أنثى بريب الدهر مرجوم وكل بيت طويل السمك مهدوم
لا سـوقة منهم يبقى ولا ملك ممّـن تمـلكه الأحرار والروم
قـد أتاني حديث غير ذي طيل من معشر رأيهم قدما تهاميم
إنّ الحـوادث لا يبقى لنائبها إلا الإلـه ورأس الأصل معلوم
إنّ الشجاة التـي حدثتم اعترضت خلف اللها لم تسوغها البلاعيم
إن كان صخر تولّى فالشمات لكم وليس يشمت من كانت له طوم
مـر الحوادث ينـقاد الجليد لـها ويستقيـم لهـا الـهيابة البوم

إن الزمان وما يغني له عجب أبقى لنا ذنبا واستؤصـل الرأس
أبقى لنا كل مجهـول وفجّعنا بـالأكـرمين فهـم هام أرماس
إنّ الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس [7]

لا خـير فـي عيش وإن سـرنا والـدهر لا تبـقى لـه باقيه
كـل امـرئ سرّ بـه أهــله سوف يرى يوما على ناحية [8]

---

[1] الخنساء ديوانها - المكتبة العصرية - بيروت لبنان : ص 38
[2] نفس المصدر السابق : ص 39
[3] نفسه : ص 66
[4] نفسه : ص 78
[5] نفسه : ص 92
[6] نفسه : ص 97
[7] نفسه : ص 69
[8] الخنساء : ديوانها – المكتبة العصرية بيروت لبنان : ص 110

أرى الدهر يرمي ما تطيش سهامه وليس لمن قد غاله الدهر مرجع [1]

لـو كان يفدي سقيما وجد ذي رحم أبقى أخي سالما وجدي وإشفاقي
أو كـان يفـدي لـكان الأهل كلهم ومـا أثمـر مأن مـال واوراق
لـكن سـهام المنايا من تصبه بها لا يشـفه رفق ذي طب ولا راق [2]

لابـد مـن ميتـة فـي صرفها عبر والدهر في صرفه حول وأطوار [3]

أما أن يقال : إن الحكمة في شعر الخنساء قليلة فليس في ذلك شك، إذا قيست بما روي لها من أشعار، ولعل سر ذلك يرجع إلى أن كثيرا من هذا الشعر قالته وهي والهة ثكلى من غير رغبة، وإعمال فكر، فهو ذوب عاطفة نطق بها اللسان ، حتى إذا هدأت العاصفة شيئا جادت الحكمة في ثنايا مراثيها .

ولو لاحظنا أن الخنساء في مصيبتها قد اتخذت من الشعر وسيلة إثارة لأشجانها كلما هدأت عيونها، ولم تعن في أثناء ذلك بتوجيه الخطاب لمن حولها من الناس – فضلا عمّن يأتون بعدها – إلاّ في قليل من قصائدها، حيث تحس قومها على الثأر لصخر، لو لاحظنا ذلك لهان الأمر بالنسبة للحكمة في شعرها، فهو ليس شعرا موجها لشخص غريب عليها، تحتاج إلى الحكمة في خلاله، وإنما هو منها وإليها، إنما الذي يعينها – الحالة هذه – أن تجد من الناس إقرارا لها بأن مصابها أعظم مصاب في العرب، ولعلنا نذكر أنها كانت تعاظم العرب في مصيبتها وتذكر قصتها مع هند بنت عتبة .
ولذا غلب على شعرها الخطاب لعينيها تطالبهما بالبكاء، أو بالاستمرار فيه .

و هنا عندما نريد تفصيل أراء النقاد في شعر الخنساء لابد أن نشير للآتي :
(أ) قيمة شعرها : أصيبت الخنساء في صميم قلبها، فكان الخطب الذي ألم بها عظيما بقدر ما كانت محبتها لأخيها عظيمة، فتفجّر من عينيها ينبوعا دموع ومن قلبها شعرا مشبوبا بالعاطفة المتألمة في محبتها، وعلى ذلك نستطيع أن نحصر القمة المعنوية لهذا الشعر بنواحي العاطفة والفكر والخيال والموسيقى، فضلا عن السهولة والأسلوب والجسد الذي حوى هذه الروح المتوثبة .

(ب) العاطفة : كانت العاطفة المتألمة قوام شعر الخنساء، فهي مصدره، وهو التعبير عنها في معانيه وألفاظه . في تلك العاطفة الناطقة حرارة وثورة لا تعرف الخنساء حدا للبكاء ولا تجعل للارنان والنحيب نهاية ؛ وهي تزداد قوة بالذكرى والذكريات

---
[1] نفس المصدر السابق : ص 75
[2] نفسه : ص 81
[3] نفسه : ص 43

تفيض في عالم الخنساء إذ أن كل شيء يذكرها بأخيها صخر ؛ الشمس إذ طلعت تذكرها بغاراته وإذا غربت تذكرها بضيافته[1] :

يذكرني طلوع الشمس صخر وأذكره لكل غروب شمس [2].

وقد بلغت تلك العاطفة شأوا خطيرا كادت تودي بحياة الشاعرة لولا كثرة الباكين حولها على إخوانهم :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي [3] .

وكانت تلك العاطفة ثورة على الأعداء، يمتزج فيها لين الأنوثة بشدة الرجولة وهي امرأة عربية لا تجهل ساحات الوغى وتقدر الحماسة الرجولية الحقّة .

(ت) الفكرة : العاطفة هي كل شيء في شعر الخنساء وهي التي تقود الفكرة وتكسيها حياة منبعثة من ذات الشاعرة المتلهبة، فانصبت شاعريتها على الرثاء من غير تشعّب ولا التواء، ولئن حضّت قومها على طلب الثأر فما ذلك إلا صرخة من صرخات اللوعة التي لا تغرد خارج سرب الرثاء .

ونثرت العاطفة أيضا أفكار الخنساء نثرا على غير ترتيب، لذلك جاءت أقوالها على دفعات متقطعة وكانت صورة لأحوال نفسها المتألمة، وتنفسا لقلبها المتقلب بين الثورة والأسى والإعجاب بصفات صخر العظيمة . ولا عجب أن تحد العاطفة من عمق الفكرة، إذ ليس كلام العاطفة فلسفة وليس تحليلا، إنما هو صرخة أو زفرة أو اختلاج، لهذا جاءت أفكار الشاعرة تزن على وتر قلّما تبدلت نغمته [4].

(ث) الخيال والموسيقى اللفظية : وإن حاولت العاطفة كبح جماح الخيال وحاولت إضعافه غير مرة، إلا أنها غالت في تضخيم صوره مرات عديدة، والغلو في شعر الخنساء مقبول حتى لو تجاوز الحدود أحيانا وذلك لأنه من وحي اللوعة والعاطفة الأخوية المكلومة الصادقة التي تخفي العيوب ولا ترى مثيلا لحبيبها الغائب .

وقد ظهر الغلو أيضا في الألفاظ، فالشاعرة تكثر من استعمال صيغ المبالغة والاستعارات والمجازات الكنايات والتشبيهات فتتأجج العاطفة لهيبا وتقذف الصفات عشوائيا في موسيقى متناثرة الإعجاب [5] .

(ج) السهولة والأسلوب : وبعد، فإن أسلوب الخنساء هو أسلوب عاطفي أيضا، تكثر فيه مخاطبة العينين وحضّهما على ذرف الدموع السخية، ومخاطبة الأخ المفقود الذي لا يزال طيفه أمامها تناجيه وتتحدث إليه، وتعدد محاسنه في زمن السلم وفي

---

[1] يوسف عيد : ديوان الباكيتين ص : 7
[2] الخنساء ديوانها – بيروت لبنان : ص 68
[3] نفس المصدر السابق ص : 68
[4] يوسف عيد : ديوان الباكيتين : ص 8/7
[5] نفس المصدر السابق : ص 8

زمن الحرب، وقد جمع كل الصفات التي يحسن أن تتحلى بها نفس عربية من شجاعة وفروسية وكرم وعفة وعقل ونجدة وضيافة .

وإذا كان كلام الخنساء سهلا لينا فإن كلام العاطفة الهائجة ينطق أيضا من غير ما تعمّل ولا تكلف . وهي لا تعبأ بتنسيق أفكارها وصقل نظمها بل تكتفي بالأنة الوحيدة القوية التي تجرح قلب السامع، فهي شاعرة وليست ناظمة وهو ما يروقنا فيها ويرفعها في أعيننا إلى درجة عالية من الرثاء العاطفي، وإن كان للبعض ممن عاصرها أو تأخّر عنها من الرثائيين قوة سبك وجمال شاعرية لا نراهما في شعر الخنساء [1]، وكذلك لابد لنا أن نتحدث تفصيلا عن الرثاء كضرب من ضروب الشعر وما ذكره النقاد من آراء حوله .

وقد عرفت اللغة الفرق بين الرثاء والتأبين، فقالت إن التأبين هو الثناء على الشخص بعد موته ؛ أما الرثاء، فبكاء الميت، وتعديد محاسنه . ونظم الشعر فيه ، ويقال النائحة ترثي الميت، وتترحم عليه، وتندبه [2] ، والندب كالرثاء ؛ بكاء الميت وتعديد محاسنه، ويظهر أن نقاد العرب لم يستخدموا كلمة الندب في معنى الرثاء، والتأبين، كما لم يفرقوا في الاستخدام بين كلمتي الرثاء والتأبين، وكانوا يضعون إحدى الكلمتين موضع الأخرى [3] .

ولما كان التأبين ثناء على الميت، وتعديدا لفضائله، وكان من عناصر الرثاء تعديد محاسن الميت، رأى النقاد أنه لا فرق بين الرثاء والمدح، ولا فصل بين المدحة والمرثية، إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت، مثل كان، أو عدمنا به كيت و كيت، أو ما يشاكل كل هذا ليعلم أنه ميت[4].

ولم يتحدث قدامة في الرثاء عن عنصر أساسي في هذا الفن من بين فنون الشعر، وهو بكاء الميت وإظهار اللوعة والأسى لفقدانه ؛ وذلك هو اللون الذي يصبغ به الرثاء ويصبح بذلك متميزا عن المدح، وقد تنبه ابن رشيق إلى هذا العنصر الأساسي، ولكن خصه بأن يكون الميت ملكا أو رئيسا كبيرا، إذ يقول (وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع، بيّن الحسرة، مخلوطا بالتلهف والأسى والاستعظام ؛ إن كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا، كما قال النابغة في حصن بن حذيفة بن بدر :

يقولون : حصن، ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن ؟ والجبال جنوح
ولـم تـلفظ الموتى القبور ولم تزل نجوم السماء والأديم صحيح
فعمّا قليل، ثـمّ جـــاء نعيّه فظل نـدى الحي وهو ينوح [5]

---

[1] يوسف عيد : ديوان الباكيتين : ص 9
[2] الزمخشري جار الله محمود بن عمر أساس البلاغة تحقيق مزيد نعيم – شوقي المعري مكتبة لبنان ناشرون : ص 275
[3] قدامة بن جعفر : نقد الشعر : ص 34
[4] ابن رشيق : العمدة : ج2ص171، و قدامة بن جعفر : نقد الشعر : ص 33
[5] ابن رشيق : العمدة : ج3 ص 117

فالشعر بيّن التفجع ظاهر الاستعظام، وحسبك من دلالته على التفجع أنه روى حديث الناس عن حصن، وأن الأسى يملأ قلوبهم، فلا يستطيعون أن يخبروا بموته، بل تظل الكلمة في صدورهم لا يستطيعون النطق بها، ولا أن تتصل بحصن، وتقع في جواره . وتصويره لوقع نعيه في نفوس سامعيه، وكيف ضجّ الندى بالبكاء والعويل، أما استعظام موته، فقد أبان عنه، عندما تعجب أن يموت حصن، ثم تظل الجبال راسية والموتى مستقرين في قبورهم، لم تلفظهم هذه القبور، وتبقى النجوم مستقرة في أماكنها، ووجه السماء صحيحا، ولم تقم القيامة .

ولست أدري كيف قصر ابن رشيق التفجع والحسرة والتلهف والأسف والاستعظام على الملوك والرؤساء الكبار، ولعل السبب في ذلك العصر الذي عاش فيه . وتاريخ هذا الفن، الذي كان للعظماء منه نصيب الأسد، وقلّ بالنسبة إليه رثاء غيرهم من عامة الناس، وأعزّاء الشاعر، وقد كان من التقاليد أن يقف الشاعر باكيا إذا مات كبير في الهيئة الاجتماعية، فلا جرم رسم النقاد طريق الرثاء الذي يقال في مثل هؤلاء الكبار، وقريب من ذلك موقف لسكينة، فقد روي أنها أنشدت أبيات عروة بن أذينة [1] التي يرثي بها أخاه بكرا، وهي :

سرى همي وهم المرء يسري وغار النجم إلاّ قيد فــتر
أراقب في المجرة كل نجم تعرض في المجرة كيف يجري
بحـزن لا أزال لـه مديما كـأن القـلب أسـعر حرّ جمر
على بكر أخي ولى حميدا وأي العيش يــحسن بعد بكر

قالت سكينة : ومن أخوه بكر ! أليس الدحداح الأسيد القصير الذي كان يمر بنا صباحا ومساء ؟ قالوا : نعم ؛ قالت : كل العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر، حتى الخبز والزيت [2].

لا تقر سكينة، إن صح ذلك عنها، على رأيها، فالشاعر يتحدث عن عاطفة صادقة نحو أخيه هو، فهو يبدي حزنه لموت هذا الأخ العزيز، ثم لا يجد العيش حلوا بعده.

وأدرك النقاد أن الشعراء أحسوا بالمشاركة الوجدانية بين المرثي وما كان يتصل به، واستخلصوا من ذلك ما ينبغي أن يقال، وما لا يصح أن يقوله الشاعر، (فإنه ليس من إصابة المعنى أن يقال في كل شيء تركه الميت بأنه يبكي عليه، لأن من ذلك ما إن قيل : إنه بكى عليه لكان سيئة وعيبا لاحقين له، فمن ذلك مثلا : إن قال قائل في ميت : بكتك الخيل ؛ إذ لم تجد لها فارسا مثلك، كان مخطئا ؛ لأن من شأن ما كان يوصف في حياته بكره إياه، أن يذكر اغتباطه بموته، وما كان في حياته يوصف بالإحسان إليه أن يذكر اغتمامه ومن ذلك إحسان الخنساء في مرثيتها صخرا، وإصابتها المعنى، حيث قالت تذكر اغتباط حذفة فرس صخر بموته :

فقد فقدتك حذفة فاستراحت فليت الخيل فارسها يراها

---

[1] من رجال الخوارج توفى سنة 58هـ
[2] الأصفهاني أبو الفرج: الأغاني : ج7ص 62 - 63

وقد روي هذا البيت في ديوان الخنساء [1] :

ولقد فقدتك طلقة فاستراحت فليت الخيل فارسها يراها

ولو قالت فقدتك حذفة، فبكت، لأخطأت . وبكاء من يجب أن يبكي على الميت، وإنما هو من كان يوصف إذا وصف في حياته بإغاثته، والإحسان إليه، كما قال كعب بن سعد الغنوي [2] في مرثية أخيه:

ليبك شيخ لم يجد من يعينه وطاوي الحشا نائي المزار غريب [3]

طاوي الحشا : جائع .

والشعراء في طرقهم هذا الباب يعقدون صلة بين من كان يتصل به، وما كان يعيش حوله، ويحس بعظم الفراق الذي خلفه الشاعر موته، والنقاد عندما تنبهوا لذلك فتحوا للشعراء بابا ينفذون منه إلى الحديث عن كل جانب من جوانب المرثي، والإشادة بما كان له في هذه الحياة من آثار، ولما كان قدامة يرى أنه لا فصل بين المديح والتأبين إلا في اللفظ دون المعنى، وكان الرثاء القوي عنده هو هذا الذي يثني على الميت بالفضائل النفسية .

ومن هذه المراثي ما يجمع الفضائل الأربع مجملا حينا ومفصلا حينا آخر، ومنها ما يشيد ببعض هذه الفضائل . وقد استخلص قدامة هذا الحكم من المراثي القوية التي أثّرت على الأقدمين كهذه التي أوردناها سابقا وفيها يقول :

لعمري، لئن كانت أصابت منية أخي، والمنايا للرجال شعوب

لـقد كـان أمـا حـلمه فمروح علـينا وأمـا جهـله فغريب

أخي ما أخي ؟! لا فاحش عند بيته ولا ورع عند اللقاء هيوب

شعوب : مفرقة – روّح على فلان حقه : رده عليه – غريب : بعيد نائي .

الورع : الجبان الضعيف .

دلّ الشاعر في البيت الأول على أن الشعر مرثية لهالك، ووصفه في البيت الثاني بالحلم والعقل، وفي البيت الثالث بالعفة والشجاعة، ثم زاد على ذلك تصوير الفضائل وأوقات ظهور هذه الفضائل فيه، فهو:

حليم إذا ما سورة الجهل أطلقت حيا الشيب للنفس اللجوج غلوب

السورة : الحدة والجهل – الغضب واللجوج : كثير العناد .

يصف في هذا البيت شدة حلم أخيه، إذ هو لا يفارقه الحلم، حتى عندما تدفع شدة الغضب إلى أن يخرج من جلله الشيب عن وقاره وتلج نفسه في أن يظهر الغضب فيقهرها، ويرغمها على أن تتبع جادة الحلم.

كعالية الرمح الرديني لم يكن إذا ابتدر القوم العلاء يخيب

عالية الرمح : أعلاه – الرديني : نسب إلى ردينة وهي امرأة شهرت بتقويم الرماح .

لقد عاش أخوه مرفوع الرأس، لم يحن هامته، ولم يتخلف عن نيل المجد، إذا جدّ قومه في الوصول إليه، وإن مثل هذا الفتى جدير أن يبكى عليه، وأن يصدق من يمدحه ويطريه .

---

[1] الخنساء : ديوانها – المكتبة العصرية بيروت لبنان : ص :105

[2] شاعر جاهلي توفى نحو سنة 10ق م : أشهر شعره هذه القصية التي رثى بها أخاه الذي قتل في يوم ذي قار

[3] قدامة بن جعفر : نقد الشعر : ص 33

فإني لباكيه وإني لصادق عليه وبعض القائلين كذوب

ولن يكون هو وحده الذي يبكيه، فإن الذين كانوا يجدون العون عنده سيشاركونه في البكاء عليه، كهذا الشيخ الضعيف لا يجد من يعينه على صعاب الحياة، وهذا الجائع البعيد عن وطنه وأسرته :

ليبك شيخ لم يجد من يعينه وطاوي الحشا نائي المزار غريب

ولم لا يبكيه أولئك جميعا ؟ أليس هو الفتى الذي جمع خلال الخير، فلم يترك منها واحدة ! أوليس هو الذي لا يبالي بما يعود على جسمه من ضنى إذا كان ذلك في سبيل المجد وحسن الأحدوثة ! أوليس هو الحليم طالما كان الحلم زينا لصاحبه، من غير أن يطمع هذا الحلم عدوه فيه ؛ لأنه مهيب في عين أعدائه، بل هو مهيب في أعين الناس جميعا، يحتشمون إذا رأوه، ويحترسون في كلامهم إذا نطقوا وكان قريبا منهم . فلا يسمحون لأنفسهم أن ينطقوا بغير مهذب الكلام :

جموع خلال الخير من كل جانب إذا جاء جيّاء بهن ذهوب
فتى لا يبالي أن يكون بجسمه إذا نال خلات الكريم شحوب
حليم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب
إذا ما تراءاه الرجال تحفظوا فلم ينطقوا العوراء وهو قريب

وهكذا استطاع الشاعر أن يصور لنا أخاه رجلا حليما على أهله، لا تملكه سورة الغضب، بل يكظم غيظه، ويغلب غضبه، طالما كان الحلم زينا له، رجلا عاقلا سباقا إلى المجد، لا يتأخر عن نيله، ولا يقصر باعه عنه، ولذا مرفوع الرأس، علي الجبين، رجلا عفا شجاعا، يتقدم في ميدان القتال، لا يخشى لقاء عدو ولا يهابه، رجلا كريما يسدي معروفه وعونه للشيخ الضعيف، والجائع الغريب، فقد كانا يجدان عند العون والعطاء، رجلا مهيبا في عين أعدائه وعيون الناس جميعا .

ومما اختاره قدامة[1] أيضا في الرثاء قول أوس بن حجر [2] يرثي فضالة بن كلدة الأسدي:

أيتها النفس، أجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا
إن الذي جمع السماحة والنجدة والبأس والندى جمعا
الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا [3]

ولم يتعرض قدامة بن جعفر لغير رثاء كبار الرجال، مطبقا في الرثاء مذهبه في المديح، مع أن الرثاء لا يقتصر على كبار الرجال، فهناك رثاء الأهل، ورثاء البنين، ورثاء الأصدقاء، ورثاء الأحباب، وغير ذلك ممن يتصل بهم الشاعر، وتعرض غيره لرثاء كبار الرجال، كما فعل ابن رشيق، وعرض بعض ما رآه في الرثاء للشعراء كالقصيدة التي رثي بها معن بن وائدة [4]. وفيها أشاد الشاعر بأقوى ما يتصف به المرثي، وهو الجود الذي شهر به، فقال :

---

[1] قدامة بن جعفر : نقد الشعر : ص 34

[2] شاعر من تميم في الجاهلية ، عمّر طويلا ولم يدرك الإسلام ، مات نحو سنة 2 ق م

[3] قدامة بن جعفر : نقد الشعر : ص 35 ، والقصيدة كلها من ذيل الأمالي والنوادر ص 34 - 35

[4] من أشهر أجواد العرب ، وأحد الشجعان الفصحاء ، ولي في العصر العباسي ولاية سجستان ، اغتيل سنة 151هـ

فيا قبر معن كنت أول حفرة من الأرض خطت للسماحة موضعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البحر والبر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيّا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا[1]

كما أشاد بقصيدة أبي تمام التي قالها في القائد الشجاع محمد بن حميد الطوسي، وأورد في (عمدته) الأبيات التي تسجل هذه الشجاعة، وهي[2] :

ألا في سبيل الله من عطلت له فجاج سبيل الله وانثغر الثغر
فتى كلما فاضت عيون قبيلة دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر
وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
فتى مات بين الضرب والطعن ميتة تقوم مقام النصر إذ فاته النصر
وقد كان فوت الموت سهلا فرده إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تخاف العار حتى كأنما هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها : من تحت أخمصك الحشر

فالشاعر وهو يرثي معنا، رآه كأنما صيغ من الجود وحده، ورأى كل صفة أخرى قد انمحت، فلا عجب إذ رأى قبره أول حفرة خطت لتواري فيها السماحة، ثم عجب أن يستطيع القبر مواراة جوده الذي ملأ فجاج البر والبحر، ولكن عجبه قد إنجاب عنه ؛ لأنه قد رأى القبر قد احتوى معنا بعد موته، ولو أنه كان حيّا ضاق عنه وتصدع بنيانه، ثم صور جوده باقيا في الناس بعد موته إذ عطاؤه باق لهم يمرحون فيه، وينعمون به، وهو في ذلك يشبه الغيث، ينحسر عن وجه الأرض ولكنه يترك زرعا ناضرا وثمرا بهيجا .

وأبو تمام في رثائه القائد الشجاع يبرز كذلك صفة الشجاعة فيه، ويشهد بها ويصورها صورا رائعة شتى، في أبيات القصيدة، كما ترى، وتلك إشارة صحيحة ؛ لأن المهم في الرثاء هو إبراز أهم ما كان يتسم به المرثي في الحياة وإذا كنا نرى الرثاء المصيب هو الذي يتلمس الفضائل الإنسانية التي كان يتصف بها من يؤبنه الشعر، فلسنا نتفق مع قدامة في أن الرثاء ينبغي أن يشمل الفضائل الأربع مجتمعة، لأن مثل ذلك الإلزام يجعل الرثاء أمرا أقرب ما يكون للسرد، لا إلى تصوير الحقيقة . وربما كان قدامة بهذا المذهب يرمي إلى أن الذي يستحق الرثاء هو من يجمع هذه الفضائل، ومن نقص عنها لم يكن جديرا بشرف الرثاء، ونحن إذا كنا نسلم بن الإنسان المثالي الجدير بالرثاء هو من يجمع تلك الفضائل، فإنا لا نجعل الرثاء قصرا على هذا الإنسان المثالي، ولا نلزم الشاعر بأن يأتي في شعره بما يصور هذه الفضائل بل عليه أن يصور الناحية التي برز فيها المرثي بروزا واضحا، لأن تلك الصفة هي التي تملك على الشاعر قلبه، فيرثي إذا رثى عن عاطفة وإيمان، ويكون

---

[1] ابن رشيق : العمدة ج2ص118.
[2]) أبو تمام ديوانه : دار الكتاب العربي – قدم له ووضع هوامشه : راجي الأسمر – ج2ص218

لذلك أثره في حيوية الشعر وقوة تأثيره، وربما كان ابن رشيق على هذا الرأي، عندما اقتصر من قصائد الرثاء على ما أبرز الصفة الأساسية في المرثي، وعدّ من عيوب الرثاء التقصير في رسم صفات المرثي ؛ حتى لا تصور ما كان له من مكانة ومجد . وعلى هذا الأساس عيّب الكميت في رثائه الرسول الكريم (ص) بقوله :

وبورك قبر أنت فيه وبوركت بـه ولـه أهل بذلك، يثرب
لقد غيّبوا بـرا وحـرفا ونـائلا عشية واراه الضريح المنصّب

فقد رأوا البيت الثاني معيبا، لا يصور مجد الرسول (ص)، ولا مكانته بين المسلمين وقومه،وقيل إن من العجب أن يقول عبدة بن أبي الطبيب [1].فقال في تأبين قيس بن عاصم [2] :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحـمته مـا شاء أن يترحما
تحـية مـن ألبسته منك نعمة إذا زار عن شحط بلادك سلما
فمـا كان قيس هلكه هلك واحد ولكنـه بـنيان قـوم تهدمـا

فقد جعل الشاعر قيسا عماد قومه، وتنبني حياتهم على جوده، فإذا هلك تهدم بناؤهم وانفرط عقد نظامهم، وكان الرسول جديرا أن يوصف بذلك وبما هو أقوى منه، لمكانته الرفيعة، ولهذا الدين الجديد الذي جاء به، ورأوا أن رثاء النبي (ص) ينبغي أن يكون بما هو أقوى من رثاء الكميت، وعدّ من عيوب الرثاء للعظماء، أن تكون عبارة الشاعر غير مبينة عمّا في نفسه من ألم، وعمّا شعر به من عظم الملمة، ويضربون المثل لذلك بقول أبي العتاهية : مات الخليفة أيها الثقلان

قيل إن الناس رفعوا رؤوسهم، وفتحوا عيونهم، وقالوا نعاه إلى الجن والإنس ؛ ثم أدركه اللين والفترة، وقال :..... فكأنني أفطرت في رمضان . يريد أني بمجاهرتي بهذا القول كأنما جاهرت بالإفطار في رمضان نهارا، وكل واحد ينكر ذلك عليّ، ويستعظمه من فعلي، وهذا معنى جيّد غريب، في لفظ رديء غير معرب عمّا في النفس [3] .

وكان من عادة القدماء إذا رثوا كبار الرجال في الهيئة الاجتماعية أن يضربوا الأمثال بالملوك الأعزة، والأمم السالفة، والوعول الممتنعة في رؤوس الجبال، والأسود الخادرة في الغياض وبحمر الوحوش المتصرفة بين القفار و النسور، والعقبان، والحيات لبأسها، وطول أعمارها . وذلك في أشعارهم كثير موجود، لا يكاد يخلو منه شعر [4].

---

[1] من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، شاعر فحل توفى سنة 25هـ

[2] أحد أمراء العرب ، وعقلاؤهم والموصوفون بالحلم والشجاعة ، وفد على النبي (ص) وفي وفد تميم فأسلم توفى سنة 20هـ

[3] ابن رشيق : العمدة : ص 118

[4] نفس المرجع السابق : ج2ص120

والقدماء عندما ينهجون هذا النهج في الرثاء متأثرون ببيئتهم التي يعيشون فيها، والتي يلتمسون العزاء من مخلوقاتها التي يدركها الموت، وإن آلت إلى شعاب الجبال ورؤوسها، ولكن نقاد العرب لم يلزموا المحدثين من الشعراء بأن يقتفوا أثر هؤلاء الأقدمين، بل على العكس من ذلك أثنوا على منهج المحدثين الذي يعمدون إلى التأبين، والحديث عن الميت، وتسجيل سماته وأخلاقه ومكانته، من غير التجاء ضرب الأمثال [1] .

وفرق الشعراء بين المدح والرثاء من ناحية المقدمة الغزلية، فليس من عادتهم أن يقدموا قبل الرثاء نسيبا، كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء، ويقول ابن رشيق : إن المتعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب في الجاهلية مرثية أولها تشبب إلا قصيدة دريد بن الصمّة [2] :

أرثّ جديد الحبل من أم معبد بعاقبة، وأخلقت كل موعد [3]

ويعلق على ذلك ابن رشيق، فيقول : (وأنا أقول : إنه من الواجب في الجاهلية والإسلام وإلى وقتنا هذا، ومن بعده، لأن الآخذ في الرثاء يجب أن يكون عن التشبيب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة . وإنما تغزل دريد بعد مقتل أخيه بسنة، وحين أخذ ثأره، وأدرك طلبه، وربما قال الشاعر في مقدمة الرثاء : تركت كذا، أو كبرت عن كذا، وشغلت عن كذا، وهو في ذلك كله يتغزل، ويصف أحوال النساء، وكان الكميت ركّابا لهذه الطريقة في أكثر شعره [4])

علق ابن رشيق على بدء قصيدة دريد بالغزل، وعلق ذلك بأن الشاعر قد أدرك ثأر أخيه الذي مضى على قتله سنة، ومعنى ذلك أن المصيبة قد خفت حدتها، وربما كان الشاعر مبتهجا بأخذ الثأر لأخيه، مما سمح له بهذا الغزل ؛ وإن كان ابن رشيق لا يستحسن البدء بالغزل في الرثاء، أما طريقة الكميت فلم يعلق عليها ابن رشيق، ورأينا أنها طريقة لا تتفق ما للرثاء من عاطفة حزينة باكية.

ولم أقرأ قصيدة رثاء مبدوءة إلا تلك التي رثى بها القاضي الفاضل بني رزيك الذين كان منهم الوزير المصري الشاعر : طلائع بن رزيك، فمن غزل هذه القصيدة الراثية :

استودع الله في إظعانكم قمرا إليه لو ضلت الأقمار يحتكم
عندي سهاد وعند الهاجرين كرى فالليل مشترك بيني وبينهم

وكما لا يحسن الغزل في مفتتح الرثاء، لا يستساغ أن يختم به الرثاء،للسبب نفسه الذي ذكره ابن رشيق، وهو سبب صحيح، ومن أجل عاب صاحب العمدة على

---

[1] نفسه : ج2ص 121
[2] من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية ، لم يسلم ومات سنة 8ه
[3] ابن رشيق : العمدة ج2ص121 - 122
[4] نفس المرجع السابق : ج2ص 122

الشاعر الذي رثى عثمان بن عفان، ثم ختم قصيدته بالغزل، ونسب ذلك إلى جفوة الأعراب، ورأي أن النسيب في أول القصيدة على مذهب دريد خير مما ختم به هذا الجلف قصيدته، إلا أن يكون هناك تغيير في رواية البيت :

ولم تنسني قتلي قريش ظعائنا تحملن حتى كادت الشمس تغرب

وإنما كان ختم القصيدة بالنسيب أردأ من بدئها به، لأن الشاعر يريد أن يكون الأثر الأخير لقصيدته حزنا عميقا في نفس قارئه وسامعه، مما لا يتفق بحال من الأحوال مع هذا الغزل الذي قد يذهب بأثر الرثاء من نفس السامعين . أما إذا بدء الرثاء بالغزل فمع أنه غير ملائم له، ففيما يأتي بعد الغزل من شعر الرثاء حتى تختم القصيدة بما يمحو الأثر الأول، إذا يكون آخر ما يسمع من الشاعر البكاء الحزين، وهكذا يكون الأفضل في الرثاء إلا يتصل فيه غزل في أوله أو آخره ، ورأي النقاد أن مجال القول يتسع أمام الشاعر عندما يرثي كبار الرجال في الهيئة الاجتماعية، لأن في أفعالهم وصفاتهم ما يستطيع الشاعر أن يسجله في شعره، ويشيد به، وكانوا يعدون الرثاء كالمدح يراد تخليد ذكر الممدوح والمرثي [1]، ولذلك عدّوا من أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلا أو امرأة ؛ لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات . وربما كان ذلك سببا في إخفاق الشاعر .

الفصل الثالث (الكناية عن صفة)

المبحث الأول : تعريف الكناية عن صفة
مع نماذج لكناية الصفة في العصرين الجاهلي والإسلامي

الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ كقولك: فلان طويل النجاد، أي طويل القامة، وفلانة نؤوم الضحى. أي مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات، وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه في تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد والنوم في الضحى من غير تأويل فالفرق بينهما وبين المجاز من هذا الوجه أي من جهة
إرادة المعنى مع إرادة لازمة.
المرقّش الأكبر [2]:

---

[1] أبو بكر محمد بن يحيي الصولي : أخبار أبي تمام – حققه وعلق عليه محمد عبده عزّام – منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت سنة 1980 : ص 125

[2]) الأصفهاني أبو الفرج الأغاني :ج6 ص96

نواعم لا تعالج بؤس عيش أوانس لا تروح ولا ترود
ورب أسيلة الخدين بكر منعمة لها فرع وجيد

نواعم : ناعمات، ملس الأجسام (لصغر سنهن) لا يعالجن بؤس عيش : غنيّات ولا يقمن بخدمة أنفسهن، بل يخدمهن خدمهن، أوانس جمع آنسة وهي التي يأنس الرجل بها في الغزل من (غير المباشرة معنى جاهلي) .
لا تروح : لا يجع الراعي بها في المساء إلى المبيت (كالغنم) كناية عن أنهن لا يعملن في كسب العيش، ترود : تطلب المرعى والماء، أسيلة الخدين : طويلة الوجه ناعمة (الجمال المحبوب عند العرب) نعومتها ، لها فرع : شعر غزير، جيد : عنق طويل .

بشر بن أبي خازم [1]:

نبيلة موضع الحجلين، خود وفي الكشحين، والبطن، اضطمار

يقول إنها فتاة عالية الشأن، وجميل موضع الحجلين كناية عن عظمته والسمنة التي فيه، كناية عن نسبة، والخود : الفتاة الحسنة التامة، في بطنها وخاصرتها هزال وهذا مستحب عند العرب .

علقمة بن عبدة (علقمة الفحل)[2] :

منعمة ما يستطاع كلامها على بابها من أن تزار رقيب

فتاة ناعمة غنية مخدومة، عفيفة في نفسها ولسانها، وكل من يراقبها لم يسمع عنها ما يسيء .

جبر المعاوي [3]:

رَبيبَةُ خِدرٍ لَم تُكَشَّف سُجوفُهُ وَفارَةُ مِسكٍ آخِرَ اللَيلِ مارَجُ

ينسب جبر لفتاته العفة في أنها تربت في بيت عفيف لم تكشف أستاره، بل في بيتها إناء مسك يشتعل ويضوع عطرا يمتزج بسواد الليل كناية عن طيبها، وترفها، صفة .

حاجز الأزدي [4]:

منازِلُ عَذبَةِ الأَنيابِ خَودٍ فَما إِن مِثلُها في الناس نيمُ

يصف شاعرنا فتاته بأنها عذبة الأسنان كناية عن بياض أسنانها وعذوبتها فهي شابة حديثة السن، فما من مثلها من الناس تام النعمة مكتمل صفة .

بشرُ بنُ أَبي خازِم [5]:

---

[1] نفس المرجع السابق : ج6 ص : 93

[2] عبده عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي – دار أسامة للنشر والتوزيع – عمان الأردن ص 270
هو علقمة الفحل، قيل إنه قديم عاصر امرأ القيس، وخلفه على زوجه، وقد جعله بن سلام في الطبعة الرابعة من فحول شعراء الجاهلية، وذكر أن له ثلاث قصائد جيادا، روائع، لا يفوقهن شعر، إحداهن هذه البائية . وله ديوان مطبوع،، انظر كتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات ص : 47 - ت د. فخر الدين قباوة دار الفكر دمشق سوريا – دار الفكر المعاصر لبنان بيروت

[3] جبر بن الأسود المعاوي بن الحارث بن كعب : شاعر من المغمورين، له شعر في قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب في أشعار العرب.

[4] حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخشم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج الأزدي.
شاعر جاهلي مقل من شعراء اللصوص المغيرين العدائين من أغربة العرب سرى إليه السواد من أمه.
له قصيدتان من غرر الشعر الجاهلي وعيونه، وهما وثيقتان من وثائق شعر الصعاليك شعر البطولة والفروسية أناشيد الصحراء وقد اشتهر بشدة عدوه وسرعة جريه وهو دأب الصعاليك وقد رويت عنه أعاجيب.

[5] ? - 22 ق. هـ / ? - 601 م
بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل.
شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمة.

وَهُم وَرَدوا الجِفارَ عَلى تَميمٍ بِكُلِّ سَمَيدَعٍ بَطَلٍ نَجيبِ
الحافِظُ الحَيَّ الجَميعَ إِذا شَتَوا وَالواهِبُ القَينَاتِ شِبهُ الرَبرَبِ

إن أفراد قبيلتي والقائل هو بشر إنهم وردوا أبارا لقبيلة تميم، وكان فيهم البطل القائد القوي النجيب ، الذي يحفظ قاطني الحي جميعهم كناية عن كرمه الفيّاض في فصل الشتاء تحديدا، والواهب : المعطي موصوف، أي الذي يعطي الأمات اللائي يشبهن البقر الوحشي، فنجد أن كرمه غير مقصور على ما يشرب ويؤكل فقط بل يتعدى ذلك إلى ما أشرت إليه .

الكناية عن صفة :

وهي التي تطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة ليس النعت المعروف في علم النحو، بل الصفة المعنوية كالجود والشجاعة والطول والجمال، وغير ذلك، ويظهر الناتج الدلالي عبر ثلاث قنوات تحويلية :

1- حضور الموصوف :

الحارث بن حلزة اليشكري :

أيـها الـناطق المرقش عنا عند عمرو وهل لذاك بقاء
فبـقينا على الشناءة تنمينا حـصون وعـزة قعسـاء

المرقش : المزوق الكاذب، عمرو : عمرو بن هند، بقاء ثبات، صحة، ولقد بقينا على رغم بغض الناس لنا، يرتفع شأننا وتحمينا حصوننا وشجاعتنا .

خفاف بن عمير بن الحارث [1]:

(ابن عم صخر ومعاوية حسب رواية الأصفهاني ج 18ص53)

في فتية بيض الوجوه كأنهم أسـد عليّ ببيشـة طـلّع
لا ينـكلون إذا أعداءهـم إن الحمام هو الطريق المهيع

هم فتية كريم أصلهم، ذوو شرف وسؤدد كأنهم أسود ضارية عندما تنقض على فرائسها الملحمة، لا يتباطون ويجنبون عند لقاء العدو شجاعة فيهم لأن طريق الموت واسع واضح .

العباس بن مرداس [2]: (أمه الخنساء)

وقوم هم الرأس المقوّم في الوغى وأهل الحجا فينا وأهل الدسائع
سيوفهم عز الذليل وخيلهم سهام الأعـادي فـي الأمور الفظائع

أي أن القوم هم أهل إقدام في الحرب وأهل عقل في قبيلتهم جزلة تغر السيوف ذليلهم وتدفع خيولهم سهام أعداءهم في الملمات واللقاءات المفزعة .

سعد بن مالك البكري [3]:

كان من خبره أنه هجا أوس بن حارثة الطائي بخمس قصائد، ثم غزا طيئاً فجرح وأسره بنو نبهان الطائيون فبذل لهم أوس مائتي بعير وأخذه منهم، فكساه حلته وحمله على راحلته وأمر له بمائة ناقة وأطلقه، فانطلق لسان بشر بمدحه فقال فيه خمس قصائد محا بها الخمس السالفة.

توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية، رماه فتى من بني واثلة بسهم أصاب ثندوته.

[1] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني : ج18ص53 - 62

[2] فارس شاعر مخضرم، من بني سليم بم منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان . كنيته أبو الهيثم، وأبو الفضل، وأبو العبّاس وزعم أبو عبيدة أن أمه الخنساء . انظر كتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات ص : 733- ت د. فخر الدين قباوة دار الفكر دمشق سوريا – دار الفكر المعاصر لبنان بيروت

[3] ? - 95 ق. هـ / ? - 530 م

بِها قَيسٌ وَشَيبانٌ جَميعاً ذَوي الأَلبابِ وَالأَيدي الطِوالِ

يقول : إن قبيلتي بها بطون من مثل قيس وشيبان والذين يصفهم بأصحاب العقول الراجحات ، والأيدي الطوال كناية عن صفة الكرم .

عامر العَدواني[1] :

أُناسٌ إذا ما الدَهرُ أَظلَمَ وَجهُهُ فَأَيديهِمُ بيضٌ وَأَوجُهُهم زُهرُ

يَصونونَ أَحساباً وَمَجداً مُؤثَلاً بِبَذلِ أكفٍّ دونَها المُزنُ وَالبَحرُ

يقول : حينما يظلم وجه الدهر كناية عن كثرة المحن الإحن، تجدنا وأيدينا البيض، ووجوهنا البيض أيضا كناية عن شرفنا وكثرة عطاءنا ، فنحن بهذه المزايا نصون أشرفنا وأحسابنا والمجد الراسخ الثابت، لأن ما تبذله أكفنا من عطاء وجود وإغداق يفوق المطر والبحر كناية عن صفة الكثرة في الكرم والعطاء .

2- نسبة الصفة للموصوف :

حاتم الطائي[2] :

بعيني عن جارات قومي غفلة وفي السمع مني عن حديثهن وقر

يقول : تغفل عينه عن جارات قومه عفة منه، وأسمع حديثهن وقارا.

أعشى باهلة [3]:

أخو حروب ومكساب إذا عدموا وفي المحافل منه الجد والحذر

كثيرا ما يشارك في الحروب، شجاعة فيه ومعطاء ساعة العدم وجاد وحذر في المجامع القومية .

أبو العَيال الهذلي [4]:

فَتىً ما غادَرَ الأَجنا دُ لا نِكسٌ وَلا جَنَبُ

وَلا زُمَّيلَةٌ رِعدي دَةٌ رَعِشٌ إِذا رَكِبوا

وَلا بِكَهامَةٍ بَرَمٍ إِذا ما اِشتَدَّتِ الحِقَبُ

وَلا حَصِرٌ بِخُطبَتِهِ إِذا ما عَزَّتِ الخُطَبُ

يقول : إن هذا الفتى لم يغادر البلاد، وهو ليس بجبان ولا بالمعتزل من الرجال أي غير المختلط بغيره .

سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبه البكري الوائلي. من سراة بني بكر وفرسانها المعدودين، في الجاهلية.
قال البغدادي: له أشعار جياد في كتاب بني قيس بن ثعلبة. قتل في حرب البسوس وهو صاحب القصيدة الحائية التي أولا:
يا بؤسَ لِلحَربِ الَّتي وَضَعَت أَراهِطَ فَاستَراحوا وقال التبريزي هو جد طرفة بن العبد.

[1] ? - 100 ق. هـ / ? - 525 م
عامر بن الظَّرِب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان ابن عمرو بن قيس بن عيلان.
شاعر جاهلي قديم، إمام العرب وحكمهم في سوق عكاظ، قاد معداً كلها إلى اليمن يوم البيداء (وهي وقعة بين تهامة واليمن وقيل بين حمير وكلب) فكان واحداً من ثلاثة اجتمعت عليهم معدّ في الجاهلية.
تزوج بـ (ماويّة بنت عوف بنت فهر) و(شقيقة بنت معن بن مالك بن باهلة) وهي إحدى أمهات الرسول.
وأبرز مآثره لعامر بن الظَّرِب هي الحكم والقضاء فقد كان إمام العرب في مواسمهم وقاضيهم في سوق عكاظ وثمة أحكام له وافقها الإسلام ومنها خلعه لابنته (فعمة) من زوجها عامر بن الحارث.
وكان أول خلع في العرب وأول من قضى بأول دية مقدارها مائة ألف من الإبل! وكذلك حكمه في الخنثى.
وهو أحد الذين حرّموا الخمر والأزلام في الجاهلية.

[2] عبد عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي : ص:76

[3] نفس المصدر السابق : ص : 30

[4] ? - 41 هـ / ? - 661 م
أبو العيال الهذلي بن أبي عنترة بن خفاجة بن سعد بن هذيل، وقيل ابن أبي عنثرة.
شاعر فصيح مقدم من شعراء هذيل، وهو مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام.
أسلم فيمن أسلم من هذيل، وعمّر إلى خلافة معاوية، وله شعر مطبوع في ديوان الهذليين.

وهو ليس بالضعيف الجبان كثير الارتجاف من شدة الخرف إذا ركبوا كناية صفة الاشتراك في الحرب.
وهو ليس بالخامل الكسول إذا ما اشتعلت الحرب وشمّر خائضوها .
وليس بالمحتبس الضيق في الخطاب عندما يكون الخطابة سلاح قوي .

أبو بكر الصديق [1]:

مُحَمَدٌ اِلمُختارُ أَكرَمُ مُرسَلٍ وَأَصدَقُ مَبعوثٍ لِأَكرَمِ باعِثِ

يصف أبوبكر الصديق رضي الله عنه محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) ويقول : إن محمدا أكرم من أرسل للخلق، وأصدق من بعث، لأكرم باعث وهو الخالق جل وعلا شأنه سبحانه وتعالى .

3- العدول إلى لازم الصفة :

عوف بن الأحوص [2]:

ومستنبح يبغي المبيت ودونه من الليل بابا ظلمة وستورها
رفعت له ناري فلما اهتدى لها زجرت كلابي أن يهرّ عقورها

أي ربّ ضيف ليل أراد المبيت في ظلمة حالكة الستار سوادها، فقد رفعت ناري التي أضرمتها حتى يهتدي بها لأن كلابي نبحت فعرفت أن ضيف ليل قادم وبقدومه أمرت كلابي أن يهدأ نباحها .

امرؤ القيس بن حجر الكندي [3]:

يزلّ الغلام الخف عن صهواته ويلوي بأثواب العنيف المثقل

سرعة هذا الحصان تجعل الخفيف ينزلق عن ظهره فيقع، أما الرجل القوي الثقيل فيثبت على ظهره، ولكن أطراف ثوبه ترتفع في الهواء – كناية عن صفة السرعة لفرس امرئ القيس .

طفيل الغنوي [4]:

وبيت تهب الريح في حجراته بأرض فضاء بابه لم يحجب

الحجرات جمع حجرة (بفتح الحاء) :الناحية، البيت واسع إلى درجة أن الريح تهب فيه كما تهب في الأمكنة المكشوفة)، أرض فضاء : أرض واسعة لا بناء فيها، بابه لم يحجب، لم يوضع عليه حجاب، حاجب، أو يقفل كناية عن الكرم.

---

[1] 51 ق. هـ - 13 هـ / 573 - 634 م
عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي.
أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال، وأحد أعاظم العرب.
ولد بمكة، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش.
وحرم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها، وكانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ، فحارب المرتدين، والممتنعين من دفع الزكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير في العراق.
وكان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة، خطيباً لسناً، وشجاعاً بطلاً مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، وتوفي في المدينة.
له في كتب الحديث 142 حديثاً، كان يلقب بالصديق في الجاهلية.

[2] عبد عون الروضان – موسوعة شعراء العصر الجاهلي : ص 251

[3] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني : ج9ص93 تحقيق د. إحسان عبّاس، د. إبراهيم السعافين، أ. بكر عبّاس – دار صادر بيروت – لبنان

[4] طفيل بن عوف الغنوي : شاعر جاهلي، من أنعت الشعراء للخيل، ولذلك سمي طفيل الخيل، لقب المحبّر لتحسينه شعره، وليس في قيس فحل أقدم منه، وكنيته أبو قرّان، روى شعره زهير بن أبي سلمى وتأثر به وله ديوان شعر مطبوع، انظر كتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات ص 1 ت د. فخر الدين قباوة – دار الفكر دمشق سوريا – دار الفكر المعاصر لبنان بيروت

الحصين بن الحمام المريّ [1]:

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

يقول لما تأخرت طمعا في العدوّ، وتصور فيّ الجبن، فاجترأ عليّ والقتل إلى الجبان أسرع، فتقدمت فكان التقدم أنجى لي، ويقول لسنا بدامية الكلوم على الأعقاب، أي نحن لا نولي فنجرح في ظهورنا فتقطر دماؤنا على أعقابنا ولكن نستقبل السيوف بوجوهنا، فإن أصابنا جراح قطرت دماؤنا على أقدامنا.

أبو خراش الهذلي [2]:

حِسانُ الوُجوهِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهُم كَريمٌ نَثاهُم غَيرُ لُفٍّ مَعازِلِ

يقول : إنهم بيض وجوههم، فيهم من العفة صفات، كريم مخبرهم عن غيرهم ، وهم رجال خُلّص مختلطين بغيرهم غير مبعدين .

طَويلُ نِجادِ البَزِّ لَيسَ بِجَيدَرٍ إِذا اِهتَزَّ وَاِستَرخَت عَلَيهِ الحَمائِلُ

يقول : إنهم طوال في ملابسهم، وليس بقصير القامة كناية عن الرفعة، وهو ممن لا تسترخي عليهم الحمائل .

إِلى بَيتِهِ يَأوي الغَريبُ إِذا شَتا وَمُهتَلِكٌ بالي الدَريسَينِ عائِلُ

وهو الذي يأوي إلى بيته الغريب طالبا قراه وكرمه في فصل الشتاء وهو أصعب الفصول جدبا وقحطا، والذي يأتيه تحصنا من الهلاك، ووصف هذا المنتاب الذي يأتيه طالبا كرمه مهترئ الثوبين وله عيالٌ كثر كناية عن شدة الحاجة . ويقول :

بِفَقدِ اِمرىءٍ لا يَجتَوي الجارُ قُربَهُ وَلَم يَكُ يُشكى بِالقَطيعَةِ وَالظُلمِ

وفي بيت هذا يقول : الفقد لهذا الرجل الذي لا يكره الجار قربه، نسبة، وضيفه لا يشتكي ظلما وقطيعة كناية عن حسن جوار الممدوح . ويقول :

يَعودُ عَلى ذي الجَهلِ بِالحِلمِ وَالنُهى وَلَم يَكُ فَحّاشاً عَلى الجارِ ذا عَدَمِ

وكل جاهل مذموم يعود عليه بالحلم والعقل سماحة منه وحسن معاملة، حتى أنه لم يكن صاحب فحش ونابئ قول على جاره عفة فيه .

لونان لكناية الصفة :

الكناية القريبة الواضحة :

الثانية المطلوب بها صفة وهي ضربان قريبة وبعيدة، القريبة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة وهي إما واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل نجاده وطويل النجاد والفرق بينهما أن الأول كناية ساذجة والثاني كناية مشتملة على تصريح ما لتضمن الصفة فيه ضمير الموصوف بخلاف الأول. ومنها قول الحماسي:

أبت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا

---

[1] نفس المرجع : ج1ص102

[2] ? - 15 هـ / ? - 636 م
أبو خراش الهذلي خويلد بن مرة الهذلي المضري.
شاعر مخضرم، وفارس فاتك مشهور، أدرك بالعدو، فكان يسبق الخيل.
أسلم وهو شيخ كبير، وعاش إلى زمن عمر، وله معه أخبار، نهشته أفعى فقتلته.له شعر مطبوع في ديوان الهذليين.

وأما خفية كقولهم كناية عن الأبله عريض القفا فإن عرض القفا وعظم الرأس إذا أفرط
فيما يقال دليل الغباوة ألا ترى قول طرفة بن العبد ([1]):

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد

والبعيدة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة كقولهم كناية عن الأبله عريض الوسادة فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا ومنه إلى المقصود، وقد جعله السكاكي من القرينة على أنه كناية عن عرض القفا وفيه نظر، وكقولهم كثير الرماد كناية عن المضياف فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومنها إلى كثرة الطبائخ، ومنها إلكثرة الآكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان، ومنها المقصود إلى كقوله[2]:

وما يك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل[3]

فإنه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لأن يعس دونها مع كون الهرير في وجه من لا يعرفه طبيعياً له إلى استمرار تأديبه لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ومن ذلك إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه، ومن ذلك إلى كونه مقصد أدان وأقاص، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف، وكذلك ينتقل من هزل الفصيل إلى فقد الأم ومنه إلى قوة الداعي إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لا سيما المتليات، ومنها إلى صرفها إلى الطبائخ، ومنها إلى أنه مضياف .

عبد يغوث الحارثي[4] :

وقد كنت نحّار الجزور ومعمل المطيّ وأمضي حيث لا حييّ ماضيا
وأنحر للشرب الكرام مطيّتي وأصدع بين القينتين ردائيا

أذبح الإبل، وأبعد الأسفار، وأصل إلى حيث لا يستطيع أحد أن يصل، الشرب : الذين يشربون الخمر معه " أصدع بين القينتين ردائيا" وأعطي لكل قينة نصف من شدة الطرب " .

دريد بن الصمة [5]:

فقلت لهم : ظنوا بألفي مدجج سراتهمو في الفارسي المسرد

السراة: الوجهاء، سادة القوم، الفارسي المسرد: الدروع المنسوجة – نسجا جيدا – أن أعداءكم ألفا رجل، كاملو العدة، أكثر منكم سلاحا وعددا .

قليل التشكي للمصيبات حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

صابر في الملمات، حافظ للأحاديث ليوم غد من اليوم .

أعشى باهلة [6]:

فظلت مرتفقا للنجم أرقبه حرّان مكتئبا لو ينفع الحذر

---

[1]) طرفة بن العبد : ديوانه شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ط1سنة 1987م ص : 27
[2] القزويني جلال الدين ، الإيضاح في علوم البلاغة : ص 488
[3] نفس المرجع السابق : ص 489
[4] عبد عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي : ص : 190
[5] فخر الدين قباوة : تحقيق : كتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات ص : 404
[6] عبد عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص : 30

ظل يراقب النجم الذي يجعل من مرثيه نظيرا له في العلو والرفعة، وهو حزين حذر .

أخو حروب ومكساب إذا عدموا وفي المحافل منه الجد والحذر

كثيرا ما يشارك في الحروب، شجاعة فيه ومعطاء ساعة العدم وجاد وحذر في المجامع القومية .

أبو مِحجن الثقفي[1] :

وأمنعُ جارَ البيتِ مما ينوبُهُ وأكرِمُ أضيافاً قِراها طُروقُها

فإنني أمنع جار البيت مما يصيبه أي أن بيتَه صحن للجار، ويكرم الأضياف الطارقين أي الحاضرين ليلا وصفة الكرم .

الأعمى العاملي [2]:

للجارِ وَالضَيفِ وَباغي النَدى حينَ يُباري خُلُقي أَخيَلي

يونِسُ مَعروفي نَزيلي وَقَد أُخرِجُ ضَبَّ الخَصِمِ الأَجدَلِ

يفتخر الشاعر بنفسه ويقول : إن كرمه للجار والضيف، ومن يريد نوالا وكرما وذلك حين تضاهي أخلاقي من يريد التمثّل بي . صفات ، وفي قوله إن معروفي يؤنس ضيفي النازل لديّ، وأنا الذي يظهر الحقد الخفيّ من خصم قويّ مفتول الساعتين .

- الكناية البعيدة :

فهي التي يتم فيها الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المطلوب (الصفة) – بواسطة أو بعدد من الوسائط . بحسب قلة الوسائط وكثرتها تختلف الدلالة على المقصود وضوحاً وخفاءً . وذلك في مثل قولهم (فلان كثير الرماد) كناية عن أن هذا الرجل " مضياف " يتم عبر عدد من الوسائط .

ذلك لأن زهن المتلقي عند تلقيه هذه الصورة – ينتقل من (كثرة الرماد) إلى (كثرة إحراق الحطب) ومن كثرة الإحراق إلى (كثرة الطبائخ) .

الأَفوَهِ الأَودِيّ [3]:

مَن كان يَشتو وَالأَرامِلُ حَولَهُ يُروي بِآنِيَةِ الصَريفِ وَيُشبِع

---

[1] ? - 30 هـ / ? - 650 م

عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف.

أحد الأبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية والإسلام، أسلم سنة 9هـ، وروى عدة أحاديث.

وكان منهمكاً في شرب النبيذ، فحده عمر مراراً، ثم نفاه إلى جزيرة بالبحر. فهرب، ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يحارب الفرس، فكتب إليه عمر أن يحبسه، فحبسه سعد عنده. واشتد القتال في أحد أيام القادسية، فالتمس أبو محجن من امرأة سعد (سلمى) أن تحل قيده، وعاهدها أن يعود إلى القيد إن سلم، وأنشد أبياتاً في ذلك، فخلت سبيله، فقاتل قتالا عجيباً، ورجع بعد المعركة إلى قيده وسجنه. فحدثت سلمى سعداً بخبره، فأطلقه وقال له: لن أحدك أبداً. فترك النبيذ وقال: كنت آنف أن أتركه من أجل الحد! وتوفي بأذربيجان أو بجرجان.وبعض شعره مجموع في (ديوان- ط) صغير.

[2] عدي بن وداع الأعمى العاملي : من العفاة من الأزد، يلقب بالأعمى وفي شعره إشارات إلى أنه كان صحيح البصر ناصع العين في شبابه.

فلما ولى عهد الشباب صار ينعي بصره ويضجر بعماه. وهو أحد المعمرين الذين ذكرهم أبو حاتم السجستاني في كتابه المعمرين وقد بالغ في طول حياته فزعم أنه عاش ثلاث مائة سنة فأدرك الإسلام وأسلم وغزا.وقد ذكر أبو حاتم نسبه فقال: عدي بن وداع بن الحارث بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عبد الله من الأزد. وللشاعر قصيدتان الأولى لامية في خمس وستين بيتاً له بيت إسلامي يقول فيه:

لا عيش إن الجنة المخضرة من يدخل النار يلاق ضره

[3] ? - 54 ق. هـ / ? - 570 م

صَلاءة بن عمرو بن مالك، أبو ربيعة، من بني أود، من مذحج : شاعر يماني جاهلي، لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان.

كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره.

فينا لِثَعلَبَةَ بنِ عَوفٍ جَفنَةٌ يَأوي إِلَيها في الشِتاءِ الجُوَّع

من غير ثعلبة بن عوف وسيما في فصل الشتاء عندما تكون الرياح شمالية والجدب عامّ، فهو يروي حاضروه بآنية الفضة ويشبعهم من الجوع، نرى أن إكرامه لقاصديه كرما عاليا .

أَبو طالِب [1]:

وَأَنَّكَ فَيضٌ ذو سِجالٍ غَزيرَةٍ يَنالُ الأَعادي نَفعَها وَالأَقارِبُ

وصف أبو طالب رضي الله عنه ممدوحه بأنه فيض لكثرة كرمه وهباته، وتساجلت سوانح كرمه وصلاته بوفرتها نسبة، وهذه العطايا ينال منها الأعادي والأقارب .

طَويلُ النِجادِ خارِجٌ نِصفُ ساقِهِ عَلى وَجهِهِ يُسقى الغَمامُ وَيُسعَدُ

وبيته الثاني يقول فيه : إنه طويل القامة حتى يخرج نصف ساقه صفة، ومن شدة بياض وجهه يجلب للناس السعادة والسرور فهو رجل مستبشر به قومه .

عَظيمُ الرَمادِ سَيِّدٌ وَابنُ سَيِّدٍ يَحُضُّ عَلى مَقرى الضُيوفِ وَيَحشُدُ

عظمة الرماد كثرته كناية عن كثرة الطعام صفة، والسيادة أصل فيهم نسبة، وكثيرا ما يحث على إطعام الضيوف ويحشد لذلك الكرم صفة .

النجاشي الحارثي [2]:

طَويلَ عَمُود الْمجَدِ رَحْباً فِنَاؤُه خَصِيباً إِذا مَا رَائِدُ الْحَيّ أَجْدَبَا

عَظِيمَ رَمَادِ النارِ لَمْ يَكُ فَاحِشاً وَلاَ فَشِلاً يَوْمَ الْقِتَالِ مُغَلَّبَا

يقول الشاعر واصفا طول عمود المجد لديهم نسبة، وكذلك النسبة في الفناء الرحب العامر الخصيب وقت أن يجدب ويعدم رائد الحي، كثير رماد نيرانه كناية عن كثرة كرمه، والعفة في عدم فحشه وفشله في الحرب الغالبة صفات .

معن بن أوس المزني [3]:

أَخو شَتَواتٍ لا تَزالُ قُدورُهُ يُحَلُّ عَلى أَرجائِها ثُمَّ يُرحَلُ

---

[1] 85 - 3 ق. هـ / 540 - 619 م

عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش، أبو طالب.

والد الإمام علي كرم الله وجهه، وعم النبي صلى الله عليه وسلم وكافله ومربيه ومناصره.

كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الأباة.

وله تجارة كسائر قريش. نشأ النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه. ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام همّ أقرباؤه (بنو قريش) بقتله فحماه أبو طالب وصدهم عنه.

وفي الحديث: ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب.

مولده ووفاته بمكة.

[2] ? - 49 هـ / ? - 669 م

قيس بن عمرو بن مالك بن الحارث بن كعب بن كهلان.

شاعر هجاء مخضرم اشتهر في الجاهلية والإسلام وأصله من نجران باليمن انتقل إلى الحجاز واستقر في الكوفة وهجا أهلها. وهدده عمر بن الخطاب بقطع لسانه وضربه علي على السكر في رمضان.

من شعره في مدح معاوية: إني امرؤٌ قلما أثني على أحد حتى أرى بعض ما يأتي وما يذر

قال البكري: النجاشي من أشراف العرب إلا أنه كان فاسقاً وكانت أمه من الحبشة فنسب إليها.

[3] ? - 64 هـ / ? - 683 م

معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني.

شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، له مدائح في جماعة من الصحابة، رحل إلى الشام والبصرة، وكف بصره في أواخر أيامه، وكان يتردد إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب فيبالغان في إكرامه.

له أخبار مع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكان معاوية يفضله ويقول: أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس.

وهو صاحب لامية العجم التي أولها: لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينا تعدو المنية أول

مات في المدينة.

يقول : معن ممدوحه دائما ما يفزع الناس إليه لشدة كرمه وكثرة جوده، وقدوره لا تزال قدوره مستمرة بما فيها من إطعام للكل النازل ضيفا، الراحل أصاب نوالا .

ذو الأصبع العدواني [1]:

إني لعمري ما بابي بذي غلق عن الصديق ولا خير بممنون
فإن علمتم سبيل الرشد فانطلقوا وإن جهلتم سبيل الرشد فأتوني

يفتخر الشاعر بنفسه، بأن بابه ليس مغلقا أمام أصدقائه، ويمن أي يذكر أنه قد أكرم وأجاد، فأنا الخبير المجرب الراشد إن جهلتم سبيل الرشد .

والشواهد على بنية كناية الصفة :

- ليلى نؤوم الضحى . (الترف) .

مالك بن حريم الهمداني[2] :

منعمة لم تلق في العيش ترحة ولم تلق بؤسا عند ذاك فتجدعا

هي امرأة مخدومة كريمة الأصل، رغدة العيش، وليست فقيرة حزينة بائسة، قليل طعامها وغذاؤها .

ومنا رئيس يستضاء بنوره سناء وحلما فيه فاجتمعا معا

أي من قبيلتنا رئيس القوم الذي نستضيء بنوره إشراقا في وجهه وحلما وحكمة قد اجتمعا في سيدنا .

سبيع بن الخطيم [3] :

ومجالس بيض الوجوه أعزة حمر اللثات كلامهم معروف

ومجالس قومي لا يجلس فيها إلاّ أصحاب الوجوه البيضاء عزة وكرم أصل ووصف لثاتهم بأنها حمر، ووصف كلامهم بأنه معروف غير مستور .

بشامة بن عمرو[4] :

مداخلة الخلق مضبورة إذا أخذ الحاقفات المقيلا

مداخلة الخلق : محكمة البنية، قد أخذ بعضها بعضا . المضبورة: المجموع بعض خلقها إلى بعض، الحاقفات: الظباء تكون في الأحقاف، والحقف: ما اعوج من الرمل، ومقيلهن: حيث يقلن أنصاف النهار من شدة الحر، وهو وقت إعياء الإبل . يقول: إنها وقت كلال الإبل وإعيائهن نشيطة لم يكسرها السير .

خالد كثير الرماد . (الكرم) .

عدي بن ودّاع [5]:

للجار والضيف وباغي الندى حين يباري خلقي أخيلي
أروع وشواش قليل الخنا صلب مشاشي صنع مقولي

---

[1] عبد عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي : ص 115

[2] فخر الدين قباوة : كتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات ص:230

[3] نفس المرجع السابق : ص 222 - 223

[4] المفضل بن محمد بن يعلي الضبي : الأصمعيات : تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون ط6 بيروت – لبنان ص:55 - 56

[5] شاعر من الأزد أعمى، أو يلقب بالأعمى، وفي شعره إشارات إلى أنه كان صحيح البصر ناصح العين في شبابه – انظر قصائد جاهلية نادرة ص : 57- د. يحيي الجبوري – مؤسسة الرسالة .

أي أن ممدوح الشاعر مدّخر للجار والضيف ومن يبتغي الكرم وحين يبارى فهو ذو خيلاء وكبر .
الأورع من الرجال : الذي يعجبك حسنه، وشواش : خفيف غير متثاقل، مشاشي : من المشاش، يقال فلان طيب المشاش أي كريم النفس، صنع : حاذق : مقولي جيد القول لسن فصيح .

دجاجة بن زهري[1] :

يجد الندى والعز حول بيوتنا والخافقات وكل طرف مرجم
وعفيف متكرم وعلى الغني ضمان حق المعدم

من يأتيهم يجد الكرم وعزة النفس، وقد توثقت بمنازلهم وحتى فقيرهم العفيف صاحب الخلق الفاضل مضمون حقه عند غنيهم تكافلا وتضامنا فيهم .

بشر بن عمرو[2] :

في أخوة جمعوا ندى وسماحة هضم إذا أزم الشتاء تزعبا
وترى جياد ثيابهم مخلولة والمشرفية قد كسوها المذهبا

أي لها أخوة وصفوا بالكرم والمعاشرة الطيبة والسماحة وهم ينفقون أموالهم تكافلا في انتقاص حقوق آخرين منهم، وذلك في وقت يتسع فيه الشتاء ويقل فيه الطعام .
وإذا نظرت إلى صدور ثيابهم وجدها مهترئة ممزقة مثقبة وهم لا يهتمون بملبس أو مطعم بل اهتمامهم بأدوات الحرب وإصلاح أدواتها .

حسّان بن ثابت[3] :

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

أي أن الضيف السائر ليلا يغشاهم، فتصمت كلابهم عن الصياح ولا يسألون عن الضيف بل يكرموه وهم جاهلون أمره، وهم أصحاب الوجوه البيضاء، وقد كرمت أحسابهم وأنسابهم ولهم كبرياء فريد ومتقدم على كل صاحب أنفة وكبرياء .

- أحمد حطّ عصا الترحال . (الاستقرار) .

عامر بن ثعلبة الأزدي [4] :

منا بأَرضِ عمانٍ سادةٌ رُجحٌ عند اللقاءِ وحيٌّ دارهم هَجَرُ

يقول : من قبيلتنا في أرض عمان سادة راجحة عقولهم نسبة، وذلك يتضح في مجامع الحرب . ومن ترك المنازل من الأحياء الذين يرغبون في منازلة الأعداء صفة الشجاعة .

أبو مخزوم من بني نهشل بن دارم [5]:

إن تبتدر يوما لمكرمة تلق السوابق منّا والمصلينا
وليس يهلك منّا سيد أبدا إلاّ افتلينا غلاما سيّدا فينا

---

[1] عبد عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي : ص 112
[2] المفضل بن محمد بن يعلى الضبي : المفضليات -تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون ص 275 - 276
[3] حسان بن ثابت : ديوانه المركز الثقافي اللبناني بيروت ط1ص : 67
[4] عامر بن ثعلبة الأزدي.
شاعر الأزد وقت انتشارهم في عُمان والبحرين أو بعد ذلك بقليل، وله في ذلك مقطوعة رواها العوتبي.
[5] عبد عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي : ص : 167

إذا دعي الناس للمكارم فإنك تجد في عشيرتنا السابقين ومن يليهم، ونفي الشاعر قائلا : حتى إذا فقد السيّد الكريم فيهم فيظهر غلام سيّد آخر في قومه وعشيرته .

تميم بن أبي [1]:

ولاَ أَطْرُقُ الجَارَاتِ باللَّيْلِ قَابِعاً قُبُوعَ القَرْنْبَى أَخْطَأَتْهُ مَحَافِرُهْ

العفة من الصفات التي يلتزمها العربي قديما وتظهر لدى تميم بن أبي حينما يقول : لا أطرق بابا للجارات، بل أظل في منزلي مدخلا رأسي في جسدي كما تفعل دويبة طويلة الرجلين تشبه الخنفساء، ويقول :

هُمُ الخَضَارِمُ والأَيْسَارُ إِنْ نُدِبُوا فَلاَ تُجِيلُ قِدَاحاً رَاحَتا بَشِرِ

وفي بيته الآخر يقول : هم السادة الذين يحملون عظائم الأمور، والكرماء المعطائين حين يندبون لمفزعة، فمن عزته وكرم شأنه لا تحرك راحتيه قداح طعام لسيادته . ويقول :

جَمِّ المَخَارِجِ أَخْلاَقُ الكِرَامِ لَهُ صَلْتِ الجَبِينِ كَرِيمِ الخالِ مِغْوَارِ

عطاياه كثيرة ووافرة، أخلاقه أخلاق الكرام من الرجال، وجبينه واضح مستوٍ بارز، وهو شجاع، كريم خاله. ويقول :

قُمَاقِمِ بَارِعٍ خَضَّامَةٍ أُنُفٍ جَمِّ المَوَاهِبِ بَذْءٍ غَيْرِ عُوَّارِ

كثير وحسُن متفوق كثير العطاء، مترفع متنزّه عن الفواحش والآثام، ، كثير وظاهر العطايا لا عيب فيه، صفات . ويقول

هُمُ جَبَلٌ يَلُوذُ النَّاسُ فِيهِ وفَرْعٌ نَابِتٌ فَرْعَ الفُرُوعِ

يصف الشاعر أفراد القبيلة ويقول أنهم جبل كناية عن السمو و الرفعة صفات، وهم ملاذ الناس موصوف، إذ يمثلون فرع أصيل ثابت مستقر . ويقول :

مَكَارِيمُ لِلْجِيرَانِ بَادٍ هَوَانُنَا ذَوَاتَ الذُّرَى مِنْهَا سَمِينٌ وأَعْجَفُ

موصوف بكثرة الكرم في المبالغة بمفاعيل، ويظهرون تواضعا، ويكرمون أضيافهم من ذوات الأسنام سمينها و ضعيفها من الذبائح . ويقول :

لَهُمْ سَلَفٌ شُمٌّ طِوَالٌ رِمَاحُهُمْ يَسِيرُونَ لاَ مِيلَ الرُّكُوبِ ولاَ عُزْلاَ

لهم أسلاف عالٍ شأنهم، نسبة ، أصحاب رماح طويلة صفة الطول لهم، يسيرون للحرب دون خوف أو فزع، ليسوا بعزل، أي تأمّين عدتهم عتادهم . ويقول

مَصَالِيتُ فَكَّاكُونَ لِلسَّبْيِ بَعْدَمَا تَعَضُّ عَلَى أَيْدِي السَّبِيِّ سَلاَسِلُهْ

يفتخر شاعرنا بقومه إذ يقول إنهم شجعان أقوياء يمضون في حوائج غيرهم، ويفكّون النساء السبايا اللائي عضضن على سلاسل سبيهن كناية عن ندمهن صفة .

- ليث شقّ عصا الطاعة . (العصيان) .

الحارث المَذْحِجي [2] :

بَنِيَّ اِحفَظوا لِلجارِ واجِبَ حَقِّهِ وَلا تَسلِموا في النائِباتِ المَوالِيا

---

[1] 70 ق. هـ - 37 هـ / 554 - 657 م

تميم بن أبيّ بن مقبل من بني العجلان من عامر بن صعصعة أبو كعب.

شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم فكان يبكي أهل الجاهلية !! عاش نيفاً ومئة سنة وعدَّ في المخضرمين وكان يهاجي النجاشي الشاعر له (ديوان شعر -ط) ورد فيهِ ذكر وقعة صفين سنة 37هـ.

[2] الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلة، من مذحج، من كهلان.

جد جاهلي من نسله بنو الديان (رؤساء نجران) وشريح ابن هانئ (من أصحاب علي) ومطرف بن طريف وآخرون، كلهم حارثيون كهلانيون، من قحطان.

وَشُبّوا عَلى فَرعِ اليَفاعَةِ نارَكُم لِيَأتيها الضَيفُ الَّذي باتَ ساريا

يوصي الحارث أبناءه بأن يحفظوا للجار حقوقه وذلك واجبهم نحو الجار، ولا تواضعوا في المصائب حتى تسلموا مواليكم، وأشعلوا النيران على رأس جبل عالِ حتى يراها من يبيت ساريا ليلا من الضيوف. صفات.

آمنة بنت عتيبة[1] :

وكان أبو عتيبة سمهريّا ولا تلقاه يدخر النصيبا

ضروبا باليدين إذا اشمعلت عوان الحرب لا ورعا هيوبا

تقول إن أباه عتيبة رجل ماض في الأمور والحوائج، والسمهريّ : الرمح الصليب العود فهو كريم جوّاد لا يدخر شيئا ، ضروب : مبالغة من الضرب، إذا تفرقت وانتشرت الحرب، والعوان : هي حرب بعد أخرى، وهو ليس بجبان، أو ضعيفا في رأيه وعقله وبدنه .

جزء بن ضرار (أخو الشّمّاخ)[2] :

فقيرهم مبدي الغنى وغنيهم لـه ورق للسائلين رطيب

ذلولهم صعب القياد وصعبهم ذلول بحق الراغبين ركوب

يضرب الشاعر المثل للندى والكرم، وأصله هنا لورق الشجر إذا أورق، وهنا لكثرة منافعم للناس، ويقول من كان منهم سهل الجانب متعسرا إذا سيم الضيم، والأبيّ منهم معترف بحق الراغبين يركب به فلا يمتنع .

- سعاد طاهرة الذيل . (العفة) .

النابغة الذبياني [3]:

رقاق النعال طيّب حجزاتهم يحيّون بالريحان يوم السباسب

رقاق النعال : كناية عن الغنى والنعمة، لا يجعلون نعالهم صفيقة بل رقيقة، حجزاتهم : ما يحجز عن بيوتهم، كناية عن العفاف . السباسب : عيد الشعانين قوله :

تحيتهم بيض الولائد بينهم وأكسية الأضريح فوق المشاجب

الولائد : جمع وليدة، الأضريح : الحرير الأحمر، الأرجوان، المشجب : ما تعلق عليه الثياب – يعني أنهم يوم عيدهم ينشرون أثواب الحرير (يزينون بها بيوتهم) وتقف الجواري لتحيتهم عند مرورهم .

حين يكون عني وقوله :

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما فيّ إلا تلك من شيمة العبد

ويقول إنه يخدم الضيف طالما مكث معي، وهو ضيف مخدوم، وعبد كريم مضياف وتلك الشيمة وإن كانت من صفات العبيد فأنا أولى بها جودا وكرما لا غير .

الأسود بن يعفر النهشلي[4] :

ينطقن معروفا وهن نواعم بيض الوجوه رقيقة الأكباد

ينطقن مخفوض الحديث تهامساً فبلغن ما حاولن غير تنادي

---

[1] النقائض ج1ص313، شاعرة جاهلية مقلة، وهي ابنة عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي، وهو فارس بني تميم، وكان يسمى صياد الفوارس، حتى ضرب به المثل في الشجاعة والفروسية فقيل : أفرس من سم الفرسان .

[2] أبو زكريا يحيي بن علي التبريزي الشهير بالخطيب ، شرح ديوان حماسة أبي تمام : ج1ص180

[3] االنابغة الذبياني ديوانه – شرح وتعليق حنا ناصر الحتّي دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط 2سنة 1996 : ص 35

[4] فخر الدين قباوة :كتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات ص : 558

يظهر الشاعر عفتهن بنطقهن المعروف، وهن مترفات لهن حسن العيش والغذاء، ويخفضن أصواتهن حتى لا يشققن على أنفسهن ويبلغن ما يردن بيسر وسهولة .

بَشِيرُ بن النِّكْث [1]:

عن الفحشاء كلِّهمُ غبيٌّ وبالمعروفِ كلهمُ بَصيرُ
خلائِقُ بعضُهَمْ فيها كَبعْضٍ يَؤمُّ كبيرَهمْ فيها الصغيرُ

ينفي الشاعر الفحشاء عن قومه ويقول يصيبهم الغباء في فعل الفحشاء، ولكنهم في نفس الوقت أنهم أهل بصيرة في المعروف موصوف، وكلهم متساوون في الخلق الحميد، فيتقدم كبيرهم صغيرهم وهنا كناية عن احترامهم الكبير , صفة .

- محمد يشار إليه بالبنان . (الشهرة) .

سبيعة بنت عبد شمس[2] :

(أميمة بنت عبد شمس حسبما أوردها الأصفهاني في الأغاني)

وكم من ناطق فيهم خطيب مصقع معرب
وكم من خضرم فيهم نجيب ماجد منجب

وتصف أفراد قبيلتها بأنهم الناطقون أصحاب لسان بليغ (وهنا أطلقت الجزء وأردت الكلّ)، وخطباء مصاقع فصحاء، مزاربة ألسنتهم، وهم سادة خضارمة نجباء أماجد سادة مجوادون .

ليلى الأخيلية [3]:

فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى لقدر عيالا دون جارا مجاور
فتى كان للمولى سناء ورفعة وللطارق الساري قرى غير باسر

الأخيلية تصف ممدوحها بأنه كريم كثير جوده حتى يفيض كرمه على رفاقه، حتى قدره لا يرى له رواد إلا أن يكون جارهم المجاور ينوبه شيء من محتوى هذا القدر الذي يفيض بكثرته .

ودّاك بن ثميل المارني[4] :

تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم على ما جنت فيهم يد الحدثان
مقاديم وصّالون في الروع خطوهم بأكل رقايق الشأفرتين يمان
إذا استنأجدوا لم يسألوا من دعاهم لأي حرب أم بأي مكان

أي هم كثيرو الإقدام في الحرب والروع، وأصله الفزع، وسميت روعا لما فيها من الفزع ويستخدمون السيوف اليمانية رقيقة الحدين لقطعها، وينصرون من يستنجد بهم وذلك لحرصهم على الحرب، أي إذا استنصرهم صارخ ودعاهم لم يطلبوا عله يتأخرون بها .

- زياد يسير على بيض . (البطء) .

الأعشى ميمون بن قيس [1]:

---

[1] بشير بن النّكث الكلبي :شاعر إسلامي يعود نسبه إلى بني كلب بن وبرة، وتنتسب قبيلة (كلب) إلى كلب بن وبرة بن تغلب من بني قضاعة بن معدّ بن عدنان. وهي إحدى جماجم العرب (والجماجم هي القبائل التي تجمع البطون وينسب إليها دونه).

[2] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني : ج13ص 20، وأيام العرب قبل الإسلام ص 519

[3] جمعة عبد الرحمن عبد الله بن درهم : نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار ص : 823– منشورات المكتب الإسلامي – دمشق، سوريا

[4] الخطيب : أبو زكريا يحيي بن علي التبريزي - شرح ديوان حماسة أبي تمام، : ج1ص102

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

غراء : بيضاء، فرعاء : وافرة الشعر، عوارض : ج عارض : جانب الوجه .
مصقول : أملس : كناية عن الشباب، الوجي : الحافي (التعب من المشي) الوحل : الساقط في الوحل.

بشامة بن عمرو[2] :

مداخلة الخلق مضبورة إذا أخذ الحاقفات المقيلا

مداخلة الخلق : محكمة البنية، قد أخذ بعضها بعضا . المضبورة: المجموع بعض خلقها إلى بعض، الحاقفات: الظباء تكون في الأحقاف، والحقف: ما اعوج من الرمل، ومقيلهن: حيث يقلن أنصاف النهار من شدة الحر، وهو وقت إعياء الإبل . يقول: إنها وقت كلال الإبل وإعيائهن نشيطة لم يكسرها السير .

زينب بنت فروة التميمية [3]:

وكل قطوف المشي رود شبابها إذا ما مشت مرتجة المتأزر

كانت هذه الفتاة تقطف مشيها قطفا وهي متمهلة صفة، وهذا يدل على حسنها وامتلاء جسدها وعظم شأنها لأن مئزرها يرتجف من شحمها .

- زاهد ركب جناحي نعامة . (السرعة) .

امرؤ القيس بن حجر الكندي [4]:

يزلّ الغلام الخف عن صهواته ويلوي بأثواب العنيف المثقل

سرعة هذا الحصان تجعل الخفيف ينزلق عن ظهره فيقع، أما الرجل القوي الثقيل فيثبت على ظهره، ولكن أطراف ثوبه ترتفع في الهواء – كناية عن صفة السرعة لفرس امرئ القيس .

عبدة بن الطيب [5] :

قرواء مقذوفة بالنحض يشعفها فرط المراح إذا كلّ المراسيل

قرواء : طويلة القرا، بفتح القاف، وهو الظهر . النحض : اللحم . مقذوفة به : مرمية به من كل جانب. يشعفها : ينزع فؤادها ويستخفها . المراح : النشاط . وفرطه : ما تقدم منه . المراسيل : السراع السهلات في السير، جمع رسلة على غير قياس، أو جمع مرسال، صفة .

أبو دواد الأيادي [6] :

ملخط مزيل مكر مفر منفح مطرح سبوح خروج
سلهب شرجب كأن رماحا حملته وفي السراة دموج

الملخط المزيل : الكيس اللطيف . المنفح : الذي ينفح بقوامه في العدو ويدفع . المطروح السريع . الخروج : الذي يسبق السيل، السلهب الشرجب : الطويل، السراة : الظهر . الدموج : الأحكام والملاسة.

---

[1] عبد عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص : 26
[2] المفضل بن محمد بن يعلي الضبي ، المفضليات تحقيق : أحمد محمد شاكر عبد السلام محمد هارون ط6 بيروت – لبنان ص:55 - 56
[3] زينب بنت فروة التميمية.: شاعرة جاهلية. كانت أمها أعجمية، وكانت معتدة بذلك، فقالت في ذلك أبياتاً من الشعر.
[4] الأصفهاني أبو الفرج: الأغاني : ج9ص93 تحقيق د. إحسان عبّاس، د. إبراهيم السعافين، أ. بكر عبّاس – دار صادر بيروت – لبنان
[5] نفس المرجع السابق : ص : 135 - 136
[6] هو كعب بن مامه بن عمرو بن ثعلبة الأيادي : أبو دواد : كريم : جاهلي، يضرب به المثل في حسن الجوار – الأغاني ج16ص406

يصف الشاعر فرسه بالكياسة واللطافة فهو ينفح بقوامه في العدو ويدفع كناية عن سرعته التي بها يسبق السيل ، فهو طويل، ولسرعته كأنه محمول على رماح مسرعة، محكم الظهر أملسه، وهنا يحضرني قول أمرِيء القيس :

مكر مفر مقبل معا كجلمود صخر حطّه السيل من علٍ

- الحارث رابط الجأش . (الصمود) [1].

بشر بن عوانة العبدي[2] :

خطا وخطوت من أسدين راما مراما كان إذ طلباه وعرا

تقدم الأسد وتقدمت أنا أسدين، هنا يفتخر بنفسه، قصدا مقصدا صعب المنال .

فلا تجزع فقد لا قيت حرا يحاذر أن يعاب فمتّ حرا

فلا تهاب فقد لاقيت بطلا شجاعا حرا، يحذر العيب والنقص شجاعة وشدة مراس .

ليل بنت لكيز[3]:

فذكر براق مولى الحي من أسد أنسى حياتي بلا شك وأصحاني
فتـى ربيعـة طـوّاف أماكنها وفـارس الخيل في روع وميدان

تقول الشاعرة راثية ابن عمها وزوجها فيما بعد، إنّ ذكرى براق سيد الحي من قبيلة أسد بعطائه وجود كرمه أنستها حياتها ، فهو فتى قبيلة ربيعة الذي يوصف بالشجاعة والقوة في تطوافه الأماكن دفاعا عن القبيلة، وهو فارس خيلها في كل مفزعة من المعارك والميادين .

أسماء بنت ربيعة التغلبية [4]:

طَودَ عِزٍّ وَهُماماً في الوَغى يَمنَعُ الأَقرانَ وَسطَ القَسطَلِ

الطود الجبل الثابت الراسخ ولكنه لعزّ، وهنا اسندت العزة له، كما أنه شجاع همام في وسط الملمات .

وبعبارة أخرى ، الكناية عن الصفة، هي التي نصرح فيها بالموصوف، وبالنسبة إليه، ولكن لا نصرح بالصفة المكنى عنها، بل بصفة أو بصفات أخرى تستلزمها .

ومن أمثلة ذلك قول الخنساء في أخيها صخر :

طويل النجاد، رفيع العماد كثير الرماد إذا ما شتا

تصف الخنساء أخاها بثلاث صفات :

طويل النجاد، ورفيع العماد، وكثير الرماد، فطول النجاد، وهي حمائل السيف يستلزم طول القامة، فأخوها طويل، وتلك هي الصفة الأولى، أما الصفة الثانية فرفعة العماد، وهذه تستلزم كثرة الطبخ، وكثرة الطبخ تستلزم[5] كثرة الآكلين، وكثرة الآكلين تستلزم كثرة الضيوف، وكثرة الضيوف تستلزم الكرم، فصخر إذن كريم، زعيم، طويل القامة .

---

[1] عبد القادر عبد الجليل : الأسلوبية وثلاثية الدوائر دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان الأردن 2002 : ص 502

[2] عبد عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي : ص : 55

[3] شعراء النصرانية ص 148، وتاريخ آداب اللغة، جرجي زيدان 167، وموسوعة الشعر العربي 507/3

[4] أسماء بنت ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم التغلبية أخت كليب بن ربيعة.
شاعرة من تغلب شاركت مع قومها في حروبها لها شعر في رثاء أخيها كليب وينسب لها شعر تخاطب فيه جليلة زوجة كليب وأخت جساس.

[5] محمد ربيع، علوم البلاغة العربية : ص 106

أمية بن أبي الصلت[1] :

تباري الريح مكرمة ومجدا إذا ما الكلب أحجره الشتاء

ينافس الريح سرعة في المكارم والعطاء.

حتى في وقت الشتاء والأرض محل مجدبة، وقد أصيب النائح في صوته .

شمط وشبّان بها ليل مغاوير وحاوح

أقوياء وأصحاب فتوة وسادة، مغاوير: المغوار: الشديد الهجمة على العدو، الوحواح: الحديد النفس القوي .

أم ناشب الحارثية [2]:

نظرت وثوبي قالص دون ركبتي إلى علم صعب المرام طويل

نظرت أم ناشب إلى ابنها وكانت ترتدي ثوبا يقصر وذلك يدل على طول الممدوح الذي بالنظر إليه تقصر الثياب، فهو المعروف ودلت بذلت بقوله (إلى علم) وصعب الوصول إليه .

أميمة بنت أمية[3] :

فَكَم مِن قائلٍ مِنهم إذا ما قالَ لا يَكذب

وَكَم مِن ناطقٍ فيهم خَطيبٍ مصقع مُعرِب

مدح الشاعرة هنا يتضح لقومها الذين وصفته بالصدق ونفت عنهم الكذب، وكذلك قالت إنهم خطباء أصحاب ألسنة فاصلة، ومصقع الرجل الذي مفوه في الكلام، ولا يرتج عليه في كلامه، فهو مصيب القول نحويّ اللسان .

ومن الكنايات عن صفات :

- ❖ الطلاب يتثاءبون، كناية عن الكسل .
- ❖ السامعون يديمون النظر إلى ساعاتهم، كناية عن الملل .
- ❖ الناس كأن على رؤسهم الطير، كناية عن الهدوء وعمق الإصغاء .
- ❖ حسين لا يدخل من هذا الباب، كناية عن ضخامته .
- ❖ صارت نهلة عروسا، كناية عن أنها كبرت [4].
- ❖ ومن ذلك قوله تعالى : (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) كناية عن عنادهم وكفرهم[5].
- ❖ وقوله تعالى : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان)([6])،

ففي تعبير "يد الله مغلولة " كناية عن البخل، وفي تعبير " يداه مبسوطتان " كناية عن الكرم [1].

---

[1] عبد عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص 42- 46

[2] أم ناشب الحارثية. شاعرة إسلامية، قال أبو زيد عمر بن شبة: قالت أم ناشب للحارثية وقد زوجت شيخاً منهم كبيراً فهربت وقالت:

لحا الله قوماً جشموا أم ناشب سرى الليل تغشاه بغير دليل

[3] أميمة بنت أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

شاعرة جاهلية. قتل أخوها ومعه جمع من قومها في حرب الفجار في اليوم الرابع المسمى يوم عكاظ، فأنشدت ترثيهم بأبيات.

[4] محمد ربيع ، علوم البلاغة العربية : ص 107

[5] محمد ربيع ، علوم البلاغة العربية : ص 107

[6]) المصحف : سورة المائدة الآية : 64

فإن المجاز ينافي ذلك فلا يصح في نحو قولك: في الحمام أسد، أن تريد معنى الأسد من غير تأول لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة كما عرفت وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء[2].

وفرق السكاكي وغيره بينهما بوجه آخر أيضاً وهو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم وفيه نظر، لأن اللازم ما لم يكن ملزوماً يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم إلى اللازم، ولو قيل اللزوم من الطرفين من خواص الكناية دون المجاز أو شرط لها دونه اندفع هذا الاعتراض لكن اتجه منع الاختصاص والاشتراط، وجعل السكاكي الأولى قريبة والثانية بعيدة وفيه نظر.

فبابك أسهل أبوابهم ودارك مأهولة عامرة
وكلبك آنس بالزائرين من الأم بالابنة الزائرة

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما يذكر أن الزائرين معارف عنده، ومن ذلك إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلاً ونهاراً، ومنه إلى لزومهم سدته، ومنه إلى تسني مباغيهم لديه من غير انقطاع، ومنه إلى وفور إحسانه إلا الخاص والعام وهو المقصود، ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر:

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلاً يكلمه من حبه وهو أعجم

ومنه قوله:

لا أمتع المعوذ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل[3]

فإنه ينتقل من عدم أمتعها إلى أنه لا يبقى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر إليها، ومن ذلك إلى نحرها، أو لا يبقى العوذ إبقاء على فصالها وكذا قرب الأجل ينتقل منه إلى نحرها ومن نحرها إلى أنه مضياف ومن لطيف هذا القسم قوله تعالى " ولما سقط في أيديهم " أي ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غماً فتصير يده مسقوطاً فيها لأن فاه قد وقع فيها .

ومثل ذلك أيضا ولكن كناية عن صفة البخل قول الشاعر :

بيض المطابخ لا تشكو إماؤهم طبخ القدور ولا غسل المناديل

فالمتحدث عنهم لا يطبخون ولا يغسلون القدور، بل يكتفون بالخبز اليابس.
ومثله قول النابغة[4] :

رقاق النعال، طيّب حجزاتهم يحيّون بالريحان يوم السباسب

---

[1] محمد ربيع ، علوم البلاغة ص 107
[2] القزويني جلال الدين - الإيضاح في علوم البلاغة الصفحات من 488- 495
[3] القزويني، الإيضاح ، ج5ص 168
[4]) النابغة الذبياني : المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 12

السباسب : قيل هو يوم الشعانين من أعياد المسحيين – الحجزة : مجمع شد الإزار والسراويل على الجسم، ففي البيت كناية عن الترف في قوله : رقاق النعال، فنعالهم رقيقة لأنهم مترفون لا يمشون على أرجلهم، وفي قوله طيب حجزاتهم كناية عن عفتهم، والشطر الثاني كناية عن حب الناس لهم وحسن تقديرهم لهم وتكريمهم لأنهم يحيونهم بالريحان .
وقال آخر :

أبيني أفي يمنى يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني شمالك

فاليمين كناية عن صفة الرضا عنه، وبالشمال كناية عن صفة السخط عليه، ويقال في الكنايات عن الصفات المختلفة مثل : نقي الثوب، أي طاهر، لا عيب فيه " طاهر الجيب " أي ليس بغادر، طيب الحجزة " أي عفيف، دنس الثوب أي فاجر، غمر الرداء أي كثير المعروف، طرب العنان، أي فرس مسرع، ومغلول اليدين أي بخيل، ويقال كبا زنده وأفل نجمه وذهب ريحه، وطفئت جمرته وأخلف نوّه، وانكسرت شوكته، وكلّ حده، وفلّ غربه، و تضعضع ركنه، وفتّ عضده ولانت عريكته[1] .

مهلهل بن ربيعة [2]:

يا حار لا تجهل على أشياخنا إنّا ذوو السورات والأحلام
ومنا إذا بلغ الصبيّ فطامه ساس الأمور وحارب الأقوام

يا حارث، حارث بن عبّاد : نداء ترخيم، لا تجهل أشياخنا فهم أصحاب رفعة وشرف ومنزلة – وأصحاب حدة وسطوة واعتداء، وفطيمنا ولكونه صغيرا يسوس الأمور، حذاقة في عقول صغارنا ويحارب الأقوام شكيمة وشجاعة .

عتيق بن قيس [3] :

برغم العلا والمجد والجود والندى طواك الردى يا خير حاف وناعل
لقد غاب صرف الدهر عنك مرزأ نهوضا بأعباء الأمور الأثاقل

يمتدح عمرو بن حممة الدوسي بالسموّ والمجد والفضل والكرم، ولكن توفي الممدوح برغم هذه المزايا فأنت خير من انتعل وحفي .
فبك زالت مصائب الدهر ونكباته لأنك قد نهضت وحملت الثقل والعبء من جلائل .

عقيل بن العرندس [4] :

هيّنون ليّنون أيسار بنو يسر سوّاس مكرمة أبناء أيسار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

يفتخر الشاعر بنفسه وقومه، وهو صعلوك قتال، لص، إن العطاء والكرم عندهم هيّن ويسير ومكارمهم بسياسة وحنكة أنهم أبناء أغنياء، أيّما تلتقي منهم تحسبه سيد

---

[1] عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، ص 207، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط2000
[2] ا أبوسعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك لأصمعيات : اختيار الأصمعي : / تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر، و عبد السلام محمد هارون ص 154- 156.
[3] عبد عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي: ص 195
[4] عبد عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص : 206

قومه، لأن الشرف وكرم الأصل لعامتهم وخاصتهم سواسية، رفيعو المستوى علوّا كأنهم نجوم .

عبد الرحمن بن مسافع بن دارة [1] :

وإن شفاء النفس لو تسعف المنى ذوات الثنايا الغر والحدق النجل
أولئك أن يمنعن فالمنع شيمة لهن وإن يعطين يحمدن بالبذل

يقول الشاعر: تشفى نفسه إن تحقق مناه من صاحبات الأسنان البيض والأعين النجل الواسعة، ولكن عفتهن تمنعهن عن ذلك ولكني أحب أن يعطينني بذلا محمودا منهن .

الحادرة قطبة بن محصن[2] :

وبمقلتي حوراء تحسب طرفها وسنان حرّة مستهل الأدمع
وإذا تنازعك الحديث رأيتها حسنا تبسمها لذيذ المكرع

يقول الشاعر : إنها شديدة بياض عينها وسوادها، فيه نعاس وذلك موصوف في النساء، أن يكون في نظرها فتور، حرة صفة الحوراء وهي حرة الوجه كريمة الأصل، وإن جاذبتك أطراف الحديث تجد أن ريقها لذيذ يرتشف وتحسن الابتسام عفة فيها .

المرار بن منقذ [3]:

فهي هيفاء هضيم كشحها فخمة حيث يشد المؤتزر
صلته الخد طويل جيدها ناهد الثدي ولمّا ينكسر

إن خدها صافي أملس وطويل عنقها، ولها نهد كعوب، لم يكن لين منكسر، وهي ضامرة البطن والخصر، ممتلئة وامتلاؤها يشد مئزرها .

أخت عمرو ذي الكلب [4]:

ما زال يحسد بطن أرضك ظهرها إذا تم أمرك واستوى القدر
حتى حللت ببطنها فتقدست فاليوم يحسد بطنها الظهر

تقول إنه دفن في بطن الأرض، حسد ظهر الأرض، لأنه مدفون فيها عندما جاءك الأجل وأصابك القدر ، وحين ووريت مثواك الأخير فيها، أصبحت هذه الأرض مقدسة بك وحسد بطنها على ظهرها. وقد استفادت الشاعرة من إمكانياتها البلاغية، ومزجت بين الكناية وحسن التعليل في قولها (حللت ببطنها فتقدست) .

جمعة بنت الخس [5]:

وخير خلال المرء صدق لسانه وللصدق فضل يستبين ويبرز
وكم من أصيل الرأي طلق لسانه بصير بحسن القول حين يميز

تقول إن خير صفات المرء صدق لسانه، أي الرجل الصادق غير الكذوب، لأن للصدق فضل بائن وبارز وواضح ، وطلاقة لسان المرء صدقا فهي أصل رأيه، فهو الذي يميز القول بحسن وبصيرة نافذة وعقل راجح .

---

[1] الأصفهاني أبو الفرج: الأغاني : ج21ص164-165تحقيق د. إحسان عبّاس، د. إبراهيم السعافين، أ. بكر عبّاس – دار صادر بيروت – لبنان

[2] المفضل بن محمد بن يعلى الضبي - المفضليات : تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون : ص 43 – 44

[3] نفس المرجع السابق : ص 82 - 90

[4] الحماسة البصرية : ج1ص225

[5] سرح العيون في شرح رسالة بن زيدون 406

السفاح بن بكير اليربوعي[1] :

قوّال معروف وفعّاله عقّار مثنى أمهات الرباع

الرباع : ما نتج في أول النتاج، واحدها ربع، بضم وفتح، وخص أمهات الرباع لنفاستها، وهو يقول المعروف ، وكذلك يذبح لأضيافه أول النتاج كرما منه، صفة .

حاجب بن حبيب الأسدي[2] :

يرعين غبّا وإن يقصرن ظاهرة يعطف كرام على ما أحدث الجاني

والمعطيان ابتغاء الحمد مالهما والحمد لا يشترى إلاّ بأثمان

الغب : أن تشرب الإبل يوما وتظمأ يوما . الظاهرة : أن يشرب كل يوم نصف النهار . والضمير في يرعين للإبل الواردة : وإنما يصف حسن أخلاقهم مع شركائهم في الماء فلا يضايقونهم ولا يماتنونهم، وإن اتفق من واحد منهم جناية على مشاربه يعطفهم الكرم عليه حتى يرضى " صفة .

خالدة بنت هاشم بن عبد مناف[3] :

صادقِ البأسِ في المواطنِ شهمِ ماجد الجدّ غير نكسٍ ذميم

موصوف بالصدق في الحرب، صفة الشجاعة ترتبط ارتباطا وثيقاً، الشهامة في كل المواطن صفة، وأصيل وعظيم وشريف جده، وصفة أخرى وإن تقدمها نفي وهو غير جبان ومذموم في تلك المواطن.

سويد بن أبي كاهل اليشكري[4] :

ومساميح بما ضنّ به حاسرو الأنفس عن سوء الطمع

حسنو الأوجه بيض سادة ومراجيح إذا جدّ الفزع

هم أجواد بما يضن البخيل بعطائه وكاشفو أنفسهم ومبعدوها عن الطمع، في وجوههم حسن وجمال وكرم أصل وشرف، راجحو القلوب، ثابتون لا يستخفهم الجزع، أي ليسو جبناء .

بشرُ بنُ أبي خازِم [5]:

وَهُم وَرَدوا الجِفارَ عَلى تَميمٍ بِكُلِّ سَمَيدَعٍ بَطَلٍ نَجيبِ

الحافِظُ الحَيَّ الجَميعَ إِذا شَتَوا وَالواهِبُ القَينَاتِ شِبهُ الرَبرَبِ

إن أفراد قبيلتي والقائل هو بشر إنهم وردوا أبارا لقبيلة تميم، وكان فيهم البطل القائد القوي النجيب ، الذي يحفظ قاطني الحي جميعهم كناية عن كرمه الفيّاض في فصل الشتاء تحديدا، والواهب : المعطي موصوف، أي الذي يعطي الأمات اللائي يشبهن

---

[1] المفضل بن محمد بن يعلى الضبي - المفضليات ص : 221 - 222

[2] نفس المرجع : ص : 371

[3] خالدة بنت هاشم بن عبد مناف، من قريش :شاعرة من الحكيمات في الجاهلية. كانت تسمى (قبة الديباج) لها رثاء في أبيها، وأبيات في شأن آخر.

[4] سويد اليشكري ? - 60 هـ / ? - 679 م : سويد بن أبي كاهل (غطيف أو شبيب) بن حارثة بن حسل الذبياني الكناني اليشكري.
شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام عدّه ابن سلام في طبقة عنترة.
كان يسكن بادية العراق. وسجن بالكوفة لمهاجاته أحد بني يشكر فعمل بنو عبس وذبيان على إخراجه لمديحه لهم، فأطلق بعد أن حلف على أن لا يعود إلى المهاجاة.

[5] ? - 22 ق. هـ / ? - 601 مبشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل.
شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمة.
كان من خبره أنه هجا أوس بن حارثة الطائي بخمس قصائد، ثم غزا طيئاً فجرح وأسره بنو نبهان الطائيون فبذل لهم أوس مائتي بعير وأخذه منهم، فكساه حلته وحمله على راحلته وأمر له بمائة ناقة وأطلقه، فانطلق لسان بشر بمدحه فقال فيه خمس قصائد محا بها الخمس السالفة.
توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية، رماه فتى من بني واثلة بسهم أصاب ثندوته.

البقر الوحشي، فنجد أن كرمه غير مقصور على ما يشرب ويؤكل فقط بل يتعدى ذلك إلى ما أشرت إليه .

في حين أن الكناية لا تمنع من الانصراف عن المعنى الحقيقي، أي أنها استعمال حقيقي، أي أنها استعمال حقيقي للفظ، إذ نظر إليه بحد ذاته، واستعمال مجازي له إذا نظر إليه من جهة ما يكنى عنه. وهذا ما مفهمه من تعريفها عند علماء البلاغة المتأخرين حين قالوا أنها : (اللفظ الدال على معنيين مختلفين : حقيقة ومجاز) [1] وإلى جانب هذا الاختلاف بينهما فإن اختلافا آخر يتضح في طريقة الانتقال من اللفظ المذكور إلى المعنى المراد عند استعمالها للمجاز أو الكناية . فإن الذهن المترجم للصورة اللفظية ينتقل في المجاز من الملزوم إلى اللازم، أي من الأسد إلى الشجاعة في قولك (قد جاء الأسد) مثلا . لكنه – أعني الذهن – ينتقل في الكناية من اللازم إلى الملزوم، أي من الاقتصاد إلى البخل في قولك مثلا : (فلان يقتصد في عيشته) ويمكننا أن نبيّن ذلك على الشكل التالي : الاستعمال : أسد = ملزوم – مقتصد = لازم
المعنى المراد : الشجاعة = لازم – البخل = ملزوم

سعدى بنت الشمردل[2] :

متحلب الكفين أميث بارع أنف طوال الساعدين سميدع
سمح إذا ما الشول حارد رسلها واستروح المرق النساء الخوّع

تقصد الشاعرة أن أخاها تسيل كفّاه بالعطاء وهو لين سهل، أي سمح العطاء، وهو أنف كبير النفس لا يضام، وطول ساعديه مجازا لكثرة كرمهما وهو السيد الكريم، وسمح العطاء إذا ارتفعت ألبان الإبل وقلت وقد تشمم، أي أنه كريم جواد حين الجدب والأزمة في الشتاء .

عمرة الخثعمية [3]:

هما أخوا في الحرب من لا أخا له إذا خاف يوما نبوة فدعاهما
هما يلبسان المجد أحسن لبسة شحيحان ما استطاعا عليه كلاهما

تؤكد الشاعرة في رثاء ابنيها، أنهما أخوا حرب لمن يستنجد بهما في محنته وبليته، وهما يرتديان ثوب المجد أحسن ما يرتدى وهما بذلك وصفا بالشح وعد استطاعتهما عليه، فهذه ذروة سنام المجد الذي نسبته لابنيها .

فارعة المرية ترثي أخاها مسعود بن شداد[4] :

قوّال محكمة نقّاض مبرمة فرّاج مبهمة حبّاس أوراد
حلاّل ممرعة حمّال مضلعة قرّاع مفظعة طلاّع أنجاد

أي أنها تصفه بحكمة القول، ونقض المبرمات من العهود الخائرة الضعيفة، شجاعة فيه، ويفرج ويحمل كل ما هو ثقيل مصاب مبهم، لا حلّ له، وهو الحابس الجماعة

---

[1] العلوي – الطراز – ج1ص 373
[2] الأصمعي : أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك اختيار الأصمعيات :/ تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر، و عبد السلام محمد هارون
[3] حماسة الطائي، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج3ص82، والتبريزي ج3ص99، والحماسة البصرية ج1ص226
[4] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني ج12/114 وزهر الآداب ص81

الواردين الماء، وهو يحل بأرض معشبة، ويحمل ثقيلة الأضلاع، ويقرع الأمور فظائعها وشوائكها، وأثبات لفروسيته طلوعه وهبوطه الأنجاد صباح مساء.

سلمة بن الخرشب [1]:

رفيق بداء الحرب طبّ بصعبها إذا شئت رأي القوم فهو جميع

عطوف على المولى ثقيل على العدا أصم عن العوراء وهو سميع

أظنه أراد أن يقول : إن ممدوحي هذا رفيق خبير حاذق ماهر بعمله بأمر الحرب يعالج صعوبتها، حتى هو الصائب الرأي صاحب المشورة وسديد رأيه ، عطوف على المولى : أسير الحرب ولكنه على العدوّ ثقيل، فيصم عن ذكر الفاحش عفة فيه ولكنه سميع صاحب نجدة ومروءة .

أم بسطام بن قيس الشيباني [2]:

عَزيزٌ مكرٌّ لا يُهدّ جناحهُ وَلَيثٌ إذا الفتيان زلّت نِعالها

موصوف بالعزة، أنه كثير الكر في الحرب كناية عن صفة الشجاعة، وأثبتت ذلك بقولها ليث، إذا الفتيان ورعوا وجبنوا صفة زلة النعال من شدة الخوف .

الخِرنِقِ بِنتِ بَدر [3]:

وَالخالِطون لُجَينَهُم بِنُضارِهِم وَذَوي الغِنى مِنُهم بِذي الفَقرِ

وهم الذين يخلطون الفضة والذهب وهنا تتضح كناية الصفة كرما منهم على السواء الأغنياء والفقراء .

الدعجاء بنت وهب [4]:

لا يهتك الستر عن أنثى يطالعها ولا يشد إلى جاراته النظر

صفة العفة واضحة هنا في أن الممدوح عفيف لأنه غير هاتك ستر أنثى كي يطلع عليها وعلة محاسنها، ويزيد على ذلك أنه لا ينظر إلى جاراته عفة فيه .

سليمى بنت حريث النضرية [5]:

وكان غيثاً لأيتام وأرملة وعصمة الناس في الأقتار واليسر

فقد كان هذا الرجل المفقود بموته غيثا للأيتام والأرامل بكرمه وكثرة جوده، وكان عصمة للناس في القلة والكثرة على السواء .

صفية الباهلية[6] :

---

[1] هو سلمة بن عمرو (الخرشب) بن نصر الأنماري : شاعر جاهلي مقل، من بني الأنمار من بغيض، من غطفان، كان معاصرا لعروة بن الورد، له قصيدتان في المفضليات (الأعلام ج3ص113)

[2] ليلى بنت الأحوص بن عمرو بن ثعلبة الكلبي، أم بسطام بن قيس الشيباني.

- تكرّر ذكرها في بعض أخبار بسطام، أسره عتيبة بن الحارث اليربوعي، يوم (صحراء فلج) من أيام الجاهلية، ففدته ليلى بثلاث مائة بعير، وكانت صاحبة رأي، قال لها بسطام يوماً: إني أخدمتك (أي جعلت في خدمتك) أمة من كلّ حي، ولست منتهياً حتى أخدمك أمة من بني (ضبة) فقالت له: لا تفعل، فإن بني ضبّة حي لا يسلم ولا يغنم منهم من غزاهم ولم يطعها فغزاهم فقتلوه.

[3] الخِرنِقِ بِنتِ بَدر : ? - 50 ق. هـ / ? - 574 م

الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك من بني ضبيعة، البكرية العدنانية. شاعرة من الشهيرات في الجاهلية، وهي أخت طرفة ابن العبد لأمه.

وفي المؤرخين من يسميها الخرنق بنت هفان بن مالك بإسقاط بدر، تزوجها بشر بن عمرو بن مَرْثَد سيد بني أسد وقتلهُ بنو أسد يوم قلاب (من أيام الجاهلية)، فكان أكثر شعرها في رثائه ورثاء من قتل معه من قومها ورثاء أخيها طرفة.

[4] الدعجاء بنت وهب : الدعجاء بنت وهب بن سلمة الباهلية، من قيس عيلان.

شاعرة بليغة من أهل العصر الجاهلي، اشتهر من شعرها رثاؤها لأخيها المنتشر، وكان يغير على بني الحارث بن كعب، يقتل ويأسر، فرصدوه حتى أخذوه وقطعوه إرباً إرباً، بثأر من قتل منهم.

[5] سلمى بنت حريث بن الحارث بن عروة النضرية: شاعرة، أورد لها ابن طيفور أبياتاً في رثاء زفر تقول:

أصبحت نهباً لريب الدهر صابرة للذل أكثر تحناناً إلى زفر

[6] صفية الباهلية. : شاعرة جاهلية، لها شعر في رثاء أخيها.

وَما رَأيتك في قومٍ أسرّ بِهم إلّا وَأَنت الّذي في القوم تشتهرُ

هنا يتضح أن الممدوح مصدر سرور الشاعرة، لأنها تقول كل ما تراه في قوم تسر بهؤلاء القوم، ونعته كذلك بالشهرة صفة في قومه، وذلك تأكيد لجليل فعاله فيهم .

صفية بنت ثعلبة الشيبانية [1]:

وَالعزّ فيهم قديماً غير مقترفٍ وَالجار فَاِعلم عزيزاً داره بهِم

نسبة العز إليهم أي قومها، قديمة وتليدة، أي غير مكتسبة، والجار عزيز بهم في داره، فهم يشرفوه كثيرا. صفة .

وستر المعنى الذي أشرنا إليه قبل قليل هو ما جعل الجاحظ يذكر هذا النوع من الكنايات التي يشير بها المتكلم إلى معنى تأبي نفسه أن تعبّر عنه بشكل مباشر، لخسته في ذاته، أو لاعتقاد اجتماعي معين، كالتطير من الغراب الذي جعلهم يكنون عنه بالأعور، وحقيقته إنه حاد البصر، أو كنايتهم عن الأعمى بأبي بصير [2] ، ولاشك أن هذه الأمثلة المذكورة الآن، تشهد باستعمال الجاحظ لمصطلح الكناية حسب معناه اللغوي، لكنها في الوقت نفسه مرتبطة بمعناه البلاغي ومندرجة تحت المفهوم العام لهذه الوسيلة التعبيرية، لأنها – أعني الأمثلة :

1/ ستر للمعنى المراد.

2/ استعمال لألفاظ يريد بها المتكلم معنى معناها، لا معناها الذاتي المباشر .

3/ تحتمل أن تكون حقيقة من جهة لأنها استعمال حقيقي للفظ، ومجازا من حيث تعبيرها عن معنى آخر قريب من هذا اللفظ وذي دلالية به .

لكنها – بالرغم من كل ما ذكر – لا ترتقي إلى الكناية بمفهومها الأسلوبي، إذ المقصود بها التخيل الفني للمبدع، والتعبير عن هذا التخيل بلغة متجانسة معه، يقوم المخاطب – كي يفهم المراد منها – بعمليات ذهنية ينتقل بواسطتها من الدال إلى المدلول غير المباشر، ماراً بمعاني متعددة، أولها ترتيبا المدلول الحقيقي للفظ . وكلما كانت الكناية أبعد في التخيل والتعبير عنه، كانت أقرب من هذا المعنى الأسلوبي الذي أشار إليه جلّ علماء البلاغة القدماء، حين قسموها إلى قريبة وبعيدة :

فالقريبة " أن تنتقل إلى مطلوبك من أقرب لوازمه إليه "[3] , " والبعيدة أن تنتقل إلى مطلوبك من لازم بعيد بواسطة بواسطة لوازم متسلسلة " [4]، ويصح اعتبار أمثلة الجاحظ السابقة الذكر من النوع الأول، إذ لا يقتضي منها عملية ذهنية بعيدة التدرج من اللازم إلى الملزوم، في حين أن قولنا :" فلان كثير الرماد " يستدعي إلى ذهننا جملة أشياء هي أن :

كثرة الرماد = كثرة النار .

وكثرة النار = كثرة الطبخ .

وكثرة الطبخ = كثرة الآكلين .

---

[1] صفية بنت ثعلبة الشيبانية. شاعرة جاهلية، كانت تلقب بالحجيجة.

استجارت بها هند بنت النعمان فأجارتها ضد كسرى وجيوشه. ثم أعلنت ذلك لقومها شعراً، فهبوا وحاربوا جنود العجم وغنموا منهم الكثير : فكانت معتزة بشجاعة قومها وخصوصاً أخيها عمرو.

[2] الجاحظ : الحيوان : ج2ص 315

[3] السكاكي أبو يعقوب: مفتاح العلوم ضبطه وشرحه : نعيم زرزور دار الكتب العلمية – بيروت 1968: ص 170

[4] نفس المرجع السابق : ص 171

وكثرة الآكلين = كثرة الضيفان .
وكثرة الضيفان = الكرم .

مالك بن زرعة الباهلي [1]:

وفيهن بيضاء العوارض طفلة كهمك لو جادت بما يضيرها

طفلة جارية ناعمة، همك : الهمة والهمة (بفتح وكسر الهاء) : الهوى، يقال : رجل همّك من رجل أي حسبك، ولعله يريد : وحسبك لو جادت بما لا يضيرها .
وصف العوارض بأنها بيض لجارية ناعمة صفة .

ويقول أيضا :

بِكُلِّ رُدَيـنيٍّ أَصـمَّ مُذَرَّبٍ وَبالمَشرَفيّاتِ البطيءِ حُسورُها
وَفيهن بَيضاءُ العَوارِضِ طَفلَةٌ كَهَمِّكَ لَو جادَت بِما لا يَضيرُها

بكل سيف رديني نسبة إلى ردينة صانعة السيوف، وهذا السيف الأصم كناية عن حدته، وحدود قواطعه، المشرفيات : كناية عن موصوف هي السيوف، وبيضاء العوارض : الأسنان البيضاء والطفلة : هي اللينة الرخصة .

ابن عمرو السكوني [2]:

وَلَيلى أَناةٌ كالمَهاةِ غَريرَةٌ منعَّمَـةٌ تُصبـي الحَليـمَ وَتخلبُ
كأَنَّ ثَنـاياها تَعلَّلنَ موهِناً غَبيقاً مِن الصَهباءِ بَل هيَ أَعذَبُ

يصف ابن عمرو السكوني فتاة تسمى ليل بأنها صاحب لين وحسن وطرواة، فهي منعمة صفة، يجن ويكلف بها كل حليم صاحب عقل متزن .

أوس بن حَجَر [3]:

إِذ تَستَبيكَ بِمَصقولٍ عَوارِضُهُ حَمشِ اللِثاتِ عِذابٍ غَيرِ مِملاحِ

يقول : إن هذه الفتاة تخلب عقلك وتسبيه بعوارض مصقولة أي بيضاء، دقيقة لثاتها، عذبة مذاق ريقها غير مالح .

غُرٌّ غَرائِرُ أَبكارٌ نَشَأنَ مَعاً حُسنُ الخَلائِقِ عَمّا يُتَّقى نورُ

ويقول : في بيته الثاني واصفا فتيات بأنهن شريفات لكرم أصلهن صفات، نشأن معا وحسن خلقهن وبياضهن يضيء صفات .

مَطاعينُ في الهَيجا مَطاعيمُ لِلقِرى إِذا اِصفَرَّ آفاقُ السَماءِ مِنَ القَرسِ

كثير الطعن في الحرب، كثيرو إطعام الضيف عندما يصفر جوء السماء من شدة البرد وهنا فصل الشتاء أكثر الفصول تأثرا لا ضرع ولا زرع .

نَواعِمُ ما يَضحَكنَ إِلّا تَبَسُّماً إِلى اللَهوِ قَد مالَت بِهِنَّ السَوالِفُ

---

[1] ابن زرعة الباهلي :مالك بن زرعة الباهلي :شاعر جاهلي وهو من المجاهيل لا يعرف غير اسمه وله قصيدة تقع في واحد وعشرين بيتاً وهي نشيد جاهلي من أناشيد الحرب والبطولة والفروسية.
وهذه القصيدة قالها في بني الحارث بن كعب ونهد وجرم في يوم كان بينهم.

[2] امرؤ القيس بن عمرو بن الحارث بن معاوية الأمير بن ثور بن مرتع الكندي.
شاعر جاهلي هو القائل في حرب كانت بين معاوية وبني تميم هزمت فيها بنو تميم وقتلوا قتلاً ذريعاً في قصيدة أولها:
طربت وعناك الهوى والتطرب وغادتك أحزان تشوق وتنصب
وقد أورد الآمدي في كتابه المؤتلف والمختلف قصيدته.

[3] 95 - 2 ق. هـ / 530 - 620 م
أوس بن حجر بن مالك التميمي أبو شريح : شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها، أبوه حجر هو زوج أم زهير بن أبي سلمى، كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة. عمّر طويلاً ولم يدرك الإسلام.في شعره حكمة ورقة، وكانت تميم تقدمه على سائر الشعراء العرب. وكان غزلاً مغرماً بالنساء.

أي أنهن منعمات مخدومات لا يكون ضحكهن إلا تبسما كناية عن عفتهن في لهو ما إلا عند الأنس مع بعضهن البعض .

عَرْفَجَةُ بن جُنَادة [1]:

رقاقُ الثنايا والوجوهِ كأنما ظباءُ الفلا في لحظِهنَّ فتورُ

رقاق أسنانهن، والوجوه مشبة بالظباء في الساحات الخلوية، وفتور في عيونهن .

ونلمح كناية الصفة في قول امرئ القيس [2]:

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنطق عن تفضل

قال قدامة وإنما اراد امرؤ القيس أن يذكر ترفة هذه المرأة وأن لها من يكفيها فقال نؤوم الضحى، وأن فتيت المسك يبقى إلى الضحى فوق فراشها، وكذلك سائر البيت، أي هي لا تنتطق لتخدم، ولكنها في بيتها متفضلة [3]، وكأن قدامة في هذا يحدد هذه الطريقة من غير أن يلتمس جانب التأثير والبلاغة فيها . فهو لم يبين لنا لماذا يعدل الشاعر عن وصفها بالترف والثروة هكذا من غير واسطة إلى جانب هذا الأسلوب الذي ترى فيه المعنى المقصود مختبئا وراء المعنى الملفوظ، وكل ما قاله قدامة في هذه الناحية المهمة هو تعليقه على بيت امرئ القيس [4]:

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

فقد نظر إلى قوله قيد الأوابد من ناحية كونها رادفا وتابعا، لأن سرعة إحضار الفرس يتبعها أن تكون الأوابد وهي الوحوش كالمقيدة لها وعلى هذا يمكن أن تكون من باب الكناية، ثم قال والناس يستجيدون لامرئ القيس هذه اللفظة، فيقولون هو أول من قيد الأوابد، وإنما غزا بها الدلالة على جودة الفرس، وسرعة حضره، فلو قال ذلك بلفظه لم يكن الناس من الاستجادة لقوله مثله عند اتيانه بالرادف، وفي هذا برهان على أن وصفنا الإرداف من أوصاف الشعر ونعوته وقع بالصواب [5] " .

وهكذا يدرك البلاغيون خصوبة العبارة التي لم تدل على المعنى دلالة مباشرة وإنما تلوح، وتومئ وتشير، وتترك تحديد المراد، والنص عليه للقوى والملكات البيانية تشقق فيما وراء الحجب صنوفا من المعاني، وضروبا من الإشارات، ومن الإهدار لصور الكناية أن تتجاوز الدلالة المباشرة لهذه الصور تجاوزا تاما لأنها في كثير من الحالات تعطي المعنى مذاقا خاصا، فحين يذكرون دقّ العنق، وقطع الرقبة، كناية عن القتل ولو كان بغير ذلك فإنهم يقصدون إلى التشنيع، و إبراز عنصر القسوة والعنف والإيجاع و الاقتدار، والتمكن، وشدة الغيظ وما شابه ذلك مما تراه يعلق بصورة دق العنق، أو حزّ الرأس، وكذلك حين يذكرون البخل بمثل غل اليد، وقصير اليد ن يابس اليمين، وما شاكل ذلك فإنك ترى هذه الصور توحي ببخل كريه مصاب عاجز فيه بشاعة النقص، ونفرة العدم، وهكذا تجد في قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وقد سئل عن الفرع بفتحتين : أعني أول ما تنتج

---

[1] عرفجة بن جنادة بن أُبي بن النعمان بن زهير بن جناب.
وهو في نسب معد واليمن (عرفجة بن سلامه بن أبي النعمان بن زهير بن جناب) شاعر جاهلي ينتسب إلى قبيلة كلب بن وبرة.

[2]) امرؤ القيس بن حجر الكندي ديوانه دار المعارف بمصر ط3 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : ص 17

[3] قدامة بن جعفر، نقد الشعر – تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي – مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة : 1979 ص 179

[4]) امرؤ القيس بن حجر الكندي ديوانه : ص 19

[5] قدامة بن جعفر : نقد الشعر، ص 180

الناقة، وكانوا يذبحونه لله عزّ وجلّ، قال عليه السلام : حق وأن تتركه حتى يكون ابن مخاض أو ابن لبون، فيصير للحمه طعم، وقال هو خير من أن تكفئ إناءك) قال أبو هلال : فهذه من الإرداف أراد أنك إذا ذبحته حين تضعه أمه بقيت الأم بلا ولد ترضعه، فانقطع لبنها فردف ذلك أن يخلو إناؤك من اللبن فكأنك قد كفأته ..) [1] .

الفصل الثالث(الكناية عن صفة)

المبحث الثاني : كناية عن صفة في شعر الخنساء

أجد أن الرثاء ضرب من ضروب الشعر العربي و الذي تصادق عليه العاطفة الوجدانية التي تملأ التجربة الشعرية لدى الشاعر حتى يتسنى له أن يعكس كل ما يراه في المقصود بالشعر إن كان أبا أو أما أو أخا أو زوجا لما لهؤلاء وشائج رحم ومشاركة وجدانية .

والرثاء يتضمن أقساما يتحسها القارئ من خلال مدارسته لهذا الضرب من ضروب الشعر وأذكر منها : (الحديث عن بطولة الشاعر ، وصف العدو وعظمته ، الشجاعة ، استهانة الممدوح بالموت ، الحماية والزود عن القبيلة) وغير ذلك كثير ...

حينما يربط الرثاء بالمرأة كون موضوع الدراسة هي الخنساء فذلك يجعل العاطفة أكثر اشتعالا وحرقة بشدة حزن تتضح من التفجع علي الفقيد ، ووصف المرثي بالبطولة والقيادة والسيادة والكريم والحكمة إلخ ...

ومن الصفات التي أوردتها الشاعرة وارتبطت بممدوحيها صخر ثم معاوية من خلال المدارسة والتقصي :

أولاً : الكرم :

فأبكي أخاك لخيل كالقطا عصبا فقد لما ثوى سيبا وأنهابا [2]

والسيب : العطاء أي كان يعطي ماله إذ يجعله عرضة للسائلين، وأبكي أخاك حين تغير فرسان بعدد القطا مجتمعة، وقد ذهب من كان يغزو بها فيرجع غانما كاسبا وهنا تتضح كناية الصفة لكرمه وجوده والظفر والكسب .

فلئن هلكت فقد غنيت سميذعا محض الضريبة طيّب الأثواب[1]

---

[1] العسكري أبو هلال : الصناعتين، ص 350

[2] الخنساء ديوانها : - المكتبة الثقافية - بيروت – لبنان ص 19

فإن كنت قد أصابك الموت ، فلقد عشت سيدا شريفا كريما ، صفات (سميذع) محمود الطباع، عفيفا طيب الذكر ، وحسن السمعة ، كلها كنايات نسبة .
فإن كنت قد أصابك الموت ، فلقد عشت شريفا ، محمد الطباع ، عفيفا ، طيب الذكر

فكه على جنب الغذاء إذا غدت شهباء تقطع بالي الأطناب[2]

إنك كريم سمح، تطعم طعامك عن رضى وطيب خاطر، تشيع المرح حولك، في الأوقات العصيبة، حيث الرياح الهوج تتناوشك من كل ناحية وتاك تقطع حبال بيتك، صفات .

ضخم الدسيعة بالندى متدفقا مأوى اليتيم وغاية المنتاب [3]

الدسيعة : المائدة الكبيرة، العطاء الجزيل صفات، القوة والخلق، الندى : الكرم، المنتاب: المتردد عليه، كنت تجزل العطاء كريم، تجود بالعطايا والهبات، ويلجأ إليك من فقد معليه، ويقصدك المحتاجون مرة تلو الأخرى .

كم من ضرائك هلاّك وأرملة حلّوا لديك فزالت عنهم الكرب[4]

الضرائك : جمع ضريك : الفقير السيء الحال، والشديد عصب الخلق، والكرب جمع كربة وهي الشدة والضيق، وهنا تشير الشاعرة إلى أن صخرا كان يفرّج هم المهموم : صفة، ويسد خلّة المعوز المحتاج: صفة .

أغر أزهر مثل البدر صورته صاف عتيق فما في وجهه ندب [5]

أغر : في وجهه غرة ، وهي البياض في الوجه أو الجبين صفات في وجهه صخر ، نسبة ، وأكدتها بأزهر وهي البياض ، كأنه البدر المضيء . وذلك لكرم أصله صفات ، والعتيق الكريم: صفة ، والخالص من كل شيء كناية عن شرفه وطيب محتده وجماله .

نعم الفتى كان للأضياف إذ نزلوا وسائل حلّ بعد النوم محروب[6]

تقول الخنساء : إنها تذكرت صخرا فهو مسخّر للأضياف الذين ينزلون ليلا، أي بعد أن يهجع الناس في النوم، والسائل المحروب : هو مسلوب المال .
لقد كان صخر من خير الرجال لأضيافه صفة، أو لطالب معروف، جاء لقضاء حاجة، وقد الم به مصاب، وفقد ماله .

أخو الفضل لا باغ عليه لفضله ولا هو خرق في الوجوه قطوب [7]

الخرق : من الخرق وهو الحمق، وسوء التصرف وضعف الرأي . والقطوب : العبوس .
تقول الخنساء : إن صخرا هو أخو العطاء الوافر والكريم الغداق، وحتى ولو أتاه سائل يبتغي نوالا منه، تجده باشا في وجه سائله .

يندبن فقد أخي الندى والخير والشيم الصوالح [8]

---

[1] نفس المصدر السابق : ص 21
[2] نفسه : ص 21
[3] نفسه : ص 21
[4] الخنساء ديوانها : - المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان : ص 22
[5] نفس المصدر السابق : ص22
[6] نفسه : ص 23
[7] نفسه : ص 23
[8] نفسه : ص 29

يبكين فقد صخر أخي الندى والخير نسبة وصاحب الخلق والطباع والعادات الحسنة، نسبة. تبكي نسوتنا لموت الكريم صخر، صفة، صاحب الفعال الحميدة .

بتغمد منه وحلم م حين يبغى الحلم راجح [1]

إنه يعطي عطاياه سرا، وهو صبور، حليم عندما يحتاج الأمر إلى الحلم وسعة الصدر .

ولهفي على صخر لقد كان عصمة لمولاه إن نعل بملاه زلّت [2]

واحزني على صخر فلقد كان مأوى لابن العم ، إذا زلّت به القدم .

وكنت إذا كفٌ أتتك عديمة ترجي نوالا من نوالك بلّت [3]

وكان قاصدوك من الفقراء المؤملين عطاءك، يرجعون وقد فازوا بما يرغبون : صفة .

ومختنق راخي ابن عمرو خناقه وغمّته عن وجهه فتجلّت [4]

وكم من متضايق فك صخر ضيقه، ففرح قلبه وانجلى الكدر عن وجهه [5]وذلك لما وجدته من كرمك وعطائك : صفة

وكنت لنا عيشا وظل ربابة إذا نحن شئنا بالنوال استهلّت [6]

لقد كنت لنا كالمطر الذي تحمله سحابة، تمطرنا عندما نشاء : صفة كثرة العطاء والكرم المتفق .

الواهب المائة الهجا ن من الخناذيذ السوابح [7]

الواهب ، الذي يهب المائة من الخير غير المعتق، أو الذي ولدته برزونة من حصان عربي والخناذيذ جمع خنذيذ وهو الطويل الصلب، والشجاع السخي صفة، وموصوف وهنا صفة للخيل الطويلة القوية، ومثلها السوابح من الخيل المسرعة .

الخناذيذ : الفحول من الخيل .

صخر الذي يمنح الإبل الكرام، وفحول الخيول .

وعطايا يهزها بسماح وطماح لمن أراد طماحا [8]

لقد كان كريما : صفة، يمنح العطايا والهبات بأريحية وطيب نفس : صفة وكان جريئا شجاعا إذا كان الموقف موقف قتال وحرب،أي هو للضيف وللسيف، صفات .

قد كنت حصنا للعشيرة كلها وخطيبها عند الهمام الأصيد [9]

تقول : كأن صخر ملجأ لكل العشيرة، وفي ذلك توضيح لكرمه وكرم أصله وشرفه، وكنت الشجاع السيد السخي، وقد شبهته بالأسد في قولها (الهمام) ومثله الأصيد، الذي في عنقه صيد أي ميل واعوجاج . فإن صخرا الرجل المتصرف الحاذق في خطب الأمر، الخطيب المفوّه، صفات .

---

[1] نفسه : ص 28
[2] نفسه : ص 26
[3] نفسه : ص 26
[4] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 26
[5] نفس المصدر السابق : ص 26
[6] نفسه : ص 26
[7] نفسه : ص 28
[8] نفسه : ص 31
[9] نفسه : ص 39

ضخم الدسيعة ماجدا أعراقه كالبدر أو طلعة كالأسعد [1]

الدسيعة : هي الجفنة الكبيرة كناية عن جوده وكرمه، والمجد متعلق بأجداده وكرمهم، وقدومه لمستقبليه بالسعادة ، وهو مشبه بالأسعد وهو من النجوم .

حين الرياح بلائل نكبُ هوائجها صوارد[2]

والرياح الهائجة التي تبل (بليلة) (بلائل) القلب والفؤاد وتنعشه إشارة لوقت الشتاء وريح الشتاء التي تهب شمالا(إذا نشتو لنحّار) فيستبين كرمه في وقت المحل والحدب والعدم.

فيفك كربة من تمخّخ نقية الدول الجهائد[3]

تمخخ العظم: اخرج المخ. والنقية والنقى: مخ العظم وشحم العين تظهر صفاته في مساعدة الضعفاء والمروءة، وهذه إشارة مضيئة لتوضيح كرم صخر في أنه يعين المكروب ويفك كربته ويجير عظمه وهنا تمتزج الكناية بالمجاز، فإن من يكون في حوجة ماسة للمال فان صخراً يكرم الجاهدين المجهودين الذين تعبوا وضعفوا إلى أن وضح ذلك عليهم وضوح المخ من العظم المكسور والكسر مجازاً.

ألا إن يوم ابن الشريد ورهطه أباد جفانا والقدور الرواكدا[4]

ابن الشريد وهو معاوية، أخاها، ورهط الرجل : أعوانه والجفان: الصحان يوضع فيها الطعام، إن اليوم الذي قتل فيه أخي ومن معه قد خرّب القدور الواسعات التي كانت معدة دائما لإكرام الضيوف صفة الكرم القدور الواسعات .

ونداك محتضر ونو رك في دجى الظلماء واقد[5]

الكريم الذي كرمه يصادف أهل الحاجة من المعتسرين الضعفاء، واتقاء نور صخر ليلاً كناية عن كرمه وشرفه وتستبين الصورة الفنية في (واقد) أي اتقاء ناره ليست مقيدة بل مطلقة ومستمرة غير خابئة حتى يهتدي بها الضيف السائر ليلاً (وكلبهم باسط ذراعيه بالوسيط ـ إلى آخر الآية) [6].

لو ترسل الابل الظماء يسمن ليس لهن قائد[7]

لتيممتك يدّلـــها جدواك والسبل الموارد

وتشير هنا إلى أن الظمأ الذي يصيب الابل وتقتاد إلى صخر دون قائد فتلحق به

وتتخذه إماما وقائداً لها وذلك لما تجده من فائدة عنده ارتواء من مورده وسبيل

ماءه وهنا تصوير لشمولية الكرم عند صخر.

---

[1] نفسه : ص39

[2] نفسه : ص36

[3] الخنساء ديوانها ـ المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان : ص 37

[4] نفس المصدر السابق : ص 35

[5] نفسه : ص 37

[6] المصحف : سورة الكهف الآية : 18

[7] الخنساء ديوانها : ص 37

والناس سابلة إليك م فصادر بغنى ووارد [1]

السابلة: ج سوابل: أي الطريق المسلوك، وتقصد الخنساء أن الطريق واضح وبيّن ومسلوك إلى صخر فالكل نال نوالاً وعطاءً وافرا الذي وصل نال والذي سيصل سينال من كرمه وغناه.

هم يملأون لليتيم إناءه وهم ينجزون للخليل المواعدا [2]

كرماء بملئهم إناء اليتيم أوفياء بإنجازهم المواعيد التي توثقت لأخلائهم، صفات.

يكبون العشار لمن أتاهم إذا لم تحسب المائة الوليدا [3]

العشار : النوق التي ينتج بعضها وينتظر نتاج بعضها الآخر .

إنهم ينحرون النوق التي ينتظر نتاجها لضيوفهم في أعوام الجدب يوم لا تسد المائة من الإبل الحلوب طفل رضيع من الحليب، وهذا أعظم الكرم والجود، صفة.

فان تك قد أتتك فلا تنادي فقد أودت بفيّاض مجيد [4]

لا تنادي: للمروءة وطلب النجدة لو أتتك المنية فقد سبق أن توفي وهلك الكريم الذي يفيض جوده وكرمه فيّاض مجيد كناية عن صفة.

والمشبع القوم إن هبّت مصرصرة نكباء مغبرة هبّت بصرّاد[5]

المشبع: اسم الفاعل من يشبع، صفة، نرى إسنادها واضحاً وسيما الكرم أجود ما يكون في الشتاء والريح تصدر صريرها وتتعب القوم وتغبرهم كناية عن شدتها والارض جدب ومحل والسماء غائمة بغير ماء.

الريح النكباء : التي تهب من موضع يقع بين جهتين رئيسيتين، كالجنوب الشرقي.

وهو يطعم الجماعة من الناس، في أيام الشتاء التي تهب في الرياح الشديدة، في السنوات المجدبة ، صفة الكرم .

يشبع القوم من الشحم إذا ألوت الريح بأغصان الشجر[6]

وكرم صخر صفة راسخة وتتضح هنا بإشباع القوم من اللحم والشحم عندما تهب الريح الشمالية في فصل الشتاء زمن القحط والحدب فنجد الريح تلوي أغصان الأشجار كناية عن قوتها وشدتها.

وكان يطعم الجماعة من الشحم ولو كان الشتاء، قد جعل اللحم غالي الثمن ، صفة الكرم .

مأوى الضريك ومأوى كل أرملة عند المحول إذا ما هبّت القرر[7]

الضريك: الأحمق والضرير والفقير السيئ الحال.

أرملة: امرأة توفي عنها زوجها.

المحول: ج محل وهو الجدب والقحط.

القرر: جمع قرة وهي البرد.

---

[1] نفس المصدر السابق : ص 37

[2] نفسه : ص 35

[3] نفسه : ص 34

[4] الخنساء ديوانها : - المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان : ص38

[5] نفس المصدر السابق : ص36

[6] نفسه : ص 54

[7] نفسه : ص 55

تقول لشدة كرمه وجوده أصبح مأوى لكل محتاج فقير سيء أو أرملة معتسرة ويظهر ذلك جلياً في وقت قحطت الأرض وجفّ زرعها ونزل البرد القارص الذي يصيب القوم بالجوع وغيره.

ولو ناديته لأتاك يسعى حثيث الركض أو لأتاك يجري[1]

والبيت في معاوية الذي لم يدع بل دعي قبله في بيت يسبق هذا (عامر).

ولكنكم لو دعوتهم معاوية بن عمرو لأتاكم يسعى وكان سعيه سريعاً هنا كناية مركبة وصفت سعي معاوية بالسرعة والسعي، كناية عن صفة النجدة والمروءة والشهامة.

ليبك عليه من سليم جماعة فقد كان بسّاماً ومحتضر القدر[2]

فليبك على صخر جماعة من قبيلة سليم أي قوم الخنساء وهنا كناية عن عزة الفقد لصخر بين قومه. وقد كان صخر موصوف بالبشاشة وكريم في قولها محتضر القدر ليكرم ضيوفه، صفات .

على صخر وأي فتى كصخر لعانٍ عائل غلق بوتر[3]

على صخر عديم النظير والشبيه في كرمه إعانة للعائل الذي له من الأبناء ما لا يستطيع إعالتهم، أو أسير مغضوب لأنه سيم ضيما وظلماً.

ابكي يا عيني على صخر، ومن مثل صخر جديرا بالبكاء ؟ من مثله لأسير كثير العيال قليل المال، يطالب بثأر لا يستطيع نيله ولا يستطيع ترك المطالبة فيه .

وللأضياف إذ طرقوا هدوءاً وللكلّ المكلّ السفر[4]

ومن مثل صخر لضيوف يأتون ليلا، بعدما هدأت العيون، من مثله للجار الذي لا يقدر على كسب معاشه، وللمسافرين الذين طال سفرهم ونفذت مؤونتهم، صفات .

هناك يكون غيث حياً تلاقى نداه في جناب غير وعر[5]

إشارة صخر الذي تمثل عطاءه بالغيث المنهمر في طريق سهل غير صعب المسلك وكناية الصفة الكرم بكثرة وسهولة المسلك إليه، معاوية. في تلك السنة المجدبة، وفي وقت المجاعة، كان صخر كريما يقوم بجوده مقام الالغيث، فينالك كرمه، وتحل في جواره في رخاء ويسر عيش، حيث يتلاحق عطاوه دون انقطاع . وفي جناب غير وعر نسبة

تُفرّج بالندى الأبواب عنه ولا يكتنّ دونهم بستر[6]

أي أن أبواب صخر مفتوحة دوماً في وجه القاصدين (صفة الكرم) في صخر – ولا يكتن لا يلبس برقعاً أو قفازاً حتى يتستر دون قاصديه – كرم وشجاعة ولا جبن وبخل.

وهو يفتح أبواب الفرج في وجه من يقصده، ويفتح أبواب منزله ولا يتستر من أضيافه هربا من إكرامهم وقضاء حاجاتهم .

وكائن قريت الحقّ من ثوب صفوة ومن سابح طرف ومن كاعب بكر [1]

---

[1] نفسه : ص59

[2] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص63

[3] نفس المصدر السابق : ص41

[4] نفسه : ص41

[5] نفسه : ص41

[6] نفسه : ص42

وكائن : كم من مرة . الحق : السائل، الضيف .
ثوب الصفوة : الرداء الحسن الفاخر . السابح الطرف الفرس الأصيل . الكاعب : الفتاة التي نهد صدرها .
وكم من مرة أكرمت ضيفك فخلفت عليه الثياب الفاخرة، ووهبته الفرس الأصيل، والجارية الحسناء .

كأن لم يقل أهلاً لطالب حاجة وكان بليج الوجه منشرح الصدر[2]

بليج: لغة في أبلج: وضّاء
فهو صاحب الوجه الوضاء الأبيض وكل هذه الصفات اقترنت بوجه صخر وانشراح صدر صخر وصفة في أن إثبات انشراح الصدر وهو متعلق بممدوح وصفة في بشاشته وكرمه ولقاء ضيفه بصدر رحب، نسبة .
لقد أصابه الموت، وكأنه جهل أمره، ولم يكن يعلم مدى ترحيبه بطالب حاجة منه، وكيف كان يلقاه باشا، منشرح الصدر مرحبا به .

لقد كان في كل الأمور مهذباً جليل الأيادي لا ينهنه بالزجر[3]

كان صخر مهذب وهنا كناية عن حسن الخلق وجليل الأيادي كناية نسبة طالما أن أياديه جليلة صفة الكرم ولا يزجر فعلاً أو قولاً.

يغشون منك غطامطاً جاشت بوابله الرواعد[4]

الغطامط: صفة للبحر، وتعني الكثير الأمواج، وجاشت اضطربت
الوابل: المطر الشديد، الرواعد: السحاب مصحوباً بالرعود، وهنا كثرة أيضا.
والنيل من صخر كالنيل من بحر متلاطم الأمواج فما يوم ماطر كثيف وسحاب راعدٍ مضطرب. وألمح هنا كنايتين ظاهرة وهي الخوف من البحر والرعد والمطر وهي صفات أثبتها لصخر. وأخرى غير ظاهرة والمعنية ارتباط بسابقة من الأبيات البحر كثير الأمواج صخر، والرعد المضطرب بمطر وابل صخر وفيها توضيح للموصوف الذي ألبسته الشاعر هذه الصفات الحميدة.

كنت المفرّج ما ينوب فقد أصبحت لا تحلي ولا تمري [5]

المفرّج : اسم فاعل من فرّج موصوف،تصف الخنساء صخراً بأن حياته كانت حافلة بالعطاء ومن ذلك حل عقد ومصائب الناس التي تصيبهم فهو سديد الرأي واسع المشورة والصدر كريم معطاء ولكنه الآن مفقود في الجانبين حلواً أو مرّاً.

الحي يعلم أن جفنته تغدو غداة الريح أو تسري[6]
فإذا أضاء وجاش مرجله فلنعم رب النار والقدر.

الحي بعامته يعلم أن جفنة صخر واسعة وقدره كبير كناية عن جودة وكرمه فإن المرجل الذي يوضع فيه القدر أضاء وفاض بما عليه فتقول : إنه نعم الرجل كرماً وجوداً هو صخر.

---

[1] نفسه: ص 47
[2] نفسه : ص 47
[3] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 47
[4] نفس المصدر السابق : ص 37
[5] نفسه : ص 59
[6] نفسه : ص50

لقد كان إذا أظلم الليل أوقد ليهتدي بها الساري ليلا وإذا طلع الصباح أوقد النار لطبخ الطعام في القدور الكبيرة وهو في الحالين نعم السيد، الذي يقري الأضياف ويؤويهم .

قد كان مأوى كل أرملة ومقيل عثرة كـل ذا عذر[1]

تلـقى عيـالهم نوافل فتصيب ذا الميسور والعسر

الأرملة : التي فقدت زوجها . : إن فقينا كان ملجأ لكل محتاج، تلجا إليه المرأة التي لا معيل لها . والفقير المعسر صغيرا كان أم كبيرا، وسواء أكان يعرفه أم لا يعرفه .

إن عطايا وخيرات أخيها كانت تصل إلى مجاوريه جميعا سواء من كان منهم ذا سعة من العيش أو كان فقيرا محتاجا.

أسدان محمرا المخالب نجده بحران في الزمن الغضوب الأغر[2]

في معاوية وصخر صفة مشتركة وهي الشجاعة في قولها أسدان – وقولها محمرا المخالب نجدة – أي تتلطخ بالدماء كناية عن خوضهما غمار الحرب نجدة للمفزوع صفة أخرى – وقولها بحران كناية صفة العطاء وبينما بكثرة في زمن غضوب غاضب- نجد صيغة المبالغة في غضوب فعول والأغر تأكيد لهذه الصفة التي وصفت بها الزمن وهذه دلالة على عسر وصعوبة الزمن الذي يكون فيه صخر ومعاوية بحران .

ولا تراه وما في البيت يأكله لكنه بارز بالصحن مهمار[3]

مهمار شديد الانصباب والانهمار : كناية عن صفة الجود، وألمح استخدام : بارز : اسم فاعل للإطلاق والاستمرارية في بروز صحن صخر عن كرم غير منقطع .

ولم تكن تجد بيته خاليا من الطعام أبدا، بل هو دوما خارجا لأضيافه، وبيده الجفنة الكبيرة، لإطعامهم الطعام الوفير.

ومطعم القوم شحما عن مسغبهم وفي الجدوب كريم الجد ميسار[4]

وهو يطعم الناس الشحم واللحم وقت الجوع، وفي سنوات القحط، كريم يعطي بسخاء كبير، صفة .

لا يمنع القوم إن سألوه خلعته ولا يجاوزه بالليل مرّار[5]

فصخر غير مانع من يسأله وإن كانت المقصودة خلعته التي يرتديها، وفي رواية أخرى : عطيته الكرم والعطاء الفيض لديه، وكذلك أي ضيف ليلٍ لا يمر به إلا وقد وجد حسن الضيافة وقرى صخر.

وهو جواد، لا يرد طالب معروف، ولو طلب ثوبه، أو خيار ماله لأعطاه ن ولا يمكن أن يمرّ به ضيف، ولو كان ليلا، إلا وقدّم له الطعام، وأكرمه .

أعني الذين إليهم كان منزله هل تعلمون ذمام الضيف والجار

---

[1] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص50

[2] نفس المصدر السابق : ص63

[3] نفسه : ص 45

[4] نفسه : ص45

[5] نفسه: ص46

إن كلامي يقصد به أولئك الذين كان صخر نازلا في جوارهم، فهل تعلمون يا من خذلتموه، أنه كان ينبغي أن تحاموا عنه ؟ وما أحسبكم تعرفون حقوق الضيف وتراعونها

ربيع هلاّك ومأوى ندى حين يخاف الناس قحط القطار[1]

يكون صخر بمثابة الخير المعمم لمن اهلك اعتسارا وحوجة ويأوي بيته الندي كناية نسبه ... حين يخاف الناس من فصل تقل فيه ماء السماء ولا تمطر بكثافة .... فيكون صخر سحاب هتون بما يجود عليهم ... صفة.

وأبكي أخاك ولا تنسي فضائله وابكي أخاك شجاعاً غير خوّار[2]

وابكـي أخـاك لأيتام وأرملة وأبكي أخاك لحق الضيف والجار

البكاء على رباعية صخر في البيتين أولاها المناقب والصفات الحسنة، وثانيها الشجاعة لا الضعف واللين وثالثها من يكرم الأيتام والأرامل ورابعها كرمه لضيفه وجيرانه.

جم فضائله تندى أنامله كالبدر يجلو ولا يخفى على الساري[3]

كثيرة مكارم صخر وأنامل صخر تقطر ندى وكرماً صفة، فهو في رفعة وشموخ بدراً يُظهر ويظهر للذين يسيرون ليلاً من الضيوف وعابري الطريق فهو بدر هداية واضح جلي... صفات.

نحّار راغية ملجأ لطاغية فكّاك عانية للعظم جبّار[4]

ينحر الناقة التي ترغو، الرغو: صوت الناقة ودليل على اكتمالها – ويفك الأسر الفقيرة – ويجبر العظم كناية إيجاد الحلول لكل مصائب وحوجات قومه فهو المتصرف الراجح، والمشورة الصائب الرأي.

ولليتامى وللاضياف إن طرقوا أبياتنا لفعال منك مخبور[5]

ومن بعد صخر يكرم اليتامى والنازلين ليلاً ضيوفاً لأبياتنا وأنت الرجل المخبور المجرب المعروف بهذه الصفات الحميدة ... صفة.

ومن لكربة عان في الوثاق ومن يعطي الجزيل على عسر وميسور[6]

ومن يعين الأسير من قيد أسره ومن يكون كثير العطاء وافرة على حالتيه إن قل مالديه أو كثر ... صفة.

وكانوا سراة بني مالك وزين العشيرة بذلاً وغزا [7]

تفتخر الخنساء بقبيلتها افتخاراً جدّ واضح وتقول إنهم كانوا رؤوس وسادة أشراف وكناية صفة) وهذا ما يدل على علو شأنهم ورفعتهم وفي العشيرة أحسنهم بذلاً وعطاءً وخصوصيته فيهم وتستبين سموهم وكرم أصلهم كناية صفة.

---

[1] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص57
[2] نفس المصدر السابق : ص 60
[3] نفسه : ص61
[4] نفسه : ص 61
[5] نفسه : ص 55
[6] نفسه : ص 55
[7] نفسه : ص 65

فان كان صخر الجود أصبح ثاوياً فقد كان في الدنيا بغير وينفع[1]

صخر الجود مضاف ومضاف إليه – إسناد الجود لصخر كناية عن نسبة وثاوياً مدفوناً – فان صخر دنياه تمثل الضرر لمن يعاديه ويلاقيه خسراناً وتنكيلاً وموتاً – والنفع لعامة الناس جوداً وكرماً وعطاءً غير مجزوء وسيما الشاعرة نفسها انتفعت بماله مشاطرا ليس مرة.

ولكن صبرا جميلا، فلئن كان صخر قد مات وصار في القبر، فلقد كان في حياته قادرا على النفع والضر.

أخ لي لا يشتكيه الرفيق ولا الركب في الحاجة الجوّع[2]

أخ لي: وهو صخر غير المشتكي من رفاق دربه كناية عن العفة وحفظ اللسان والأمانة وكتم الأسرار وكذلك الركب المحتاج جوعاً فلا يجد من صخر إلا الكرم والجود كناية عن صفة.

وجلس أمون تسديتها ليطعمها نفر جّوع[3]

ورب ناقة وثيقة سمينة ذبحتها ليطعن بها جوّع الليل كرماً وجوداً منك كناية عن صفة.

كعهدهم إذا أنت حي وإذ هم لديك منالات وريّ ومشبع[4]

كما عهدناكم في حياتك وهم في جوارك ينعمون بما ينالون منك من عطايا وفيرة جزيلة ويرويهم شرابك ويشبعهم طعامك كناية عن صفة الكرم والجود.

كما كانت عادتهم في حياتك ن حيث يجدون ما يطلبون، ويجدون المطعم والمشرب .

ومن لمهم حلّ بالجار فادح وأمر وهي من صاحب ليس يرقع[5]

ومن يرتجي غير صخر لمصاب جلل ألمّ ، وآخر أحدث شق غير مرتوق بصاحبه ولكليهما صخر بعونه ومروءته وجودته الجزيلة كناية صفة. من للمصاب الجلل، الذي يثقل الجار، من لمعالجة الفساد الذي لا يصلح ؟.

دعوت لها صخر الندى فوجدته لها يسرا يجلي بها الشر أجمع[6]

عند الشدة كنت أدعو صخر الكريم، حليف الندى : موصوف، فيفرّج كربي ويبعد الأذى عني .

ومنزل الضيف إن هبت مجلجلة ترمي بصم سريع الخسف رساف [7]

ومنزل صخر منزل للضيف كناية عن صفة الكرم، وذلك عندما تهب الريح الشمالية العاتية التي تجلجل بصوتها وتلقي بحجارتها التي سريعاً ما تجعل المهزول ضعيفاً مقيداً بحبال ذله وهوانه ولكن لدى صخر ما ينفي ذلك بكرمه وجوده على ضيوفه. الذي كان يؤوي الضيوف، في ليالي الزمهرير ن أثناء القحط الشديد .

---

[1] نفسه : ص75

[2] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان: ص74

[3] نفس المصدر السابق : ص 73

[4] نفسه : ص72

[5] نفسه : ص72

[6] نفسه : ص72

[7] نفسه : ص 76

وغياثاً وربيعاً للعجوز الخرفة[1]
وإذا هبت شمال أو جنوب عصفة
نحر الكوم الصفايا والبكار الخلفه
يملأ الجفنة شحماً فتراها سدفه

انه كان غوثاً للملهوف المحتاج وربيعاً بعطائه الجزيل لكل، أصبحت مسنة وذلك يكون في فصل جدب تهب فيه عواتي الرياح عواصفاً من الشمال والجنوب، وينحر الإبل العظيمة والإبل البكرة ويملأ بلحومه وشحومه الجفنة الإناء الواسع حتى يصبح ممتلئ بما فيه، كناية صفة في كلّ.

عطاؤه جزل وصولاته صولات قرم لقروم صؤول [2]

عطاء صخر وفير وكثير لوصفها العطاء المتعلق بصخر الممدوح بالوفرة والكثرة وصولات صخر وجولاته فيها جرأة سيد القوم كناية عن خبرته ودربته في المهالك وطرقها.

وهو إلى ذلك صائب الرأي، ينطق بالحكم والعظات التي تناسب المقام، وتفي بالحاجة، فتكون مستطابة من المستمعين . كما يكون الدواء شافيا للمريض المجتهد .

ألا يا صخر إن أبكيت عيني لقد أضحكتني دهراً طويلاً[3]

أبكيت عيني كناية عن عظيم الفقد وجلله الفادح على الخنساء

أضحكتني كناية عن كثرة عطاءك وجودك الفياض مدة طويلة ونؤكد ذلك لمشاطرته الخنساء أمواله مرات ومرات.

وأبكيه للطارق المنتاب نائله وفي الحقيقة والإعطاء للمال[4]

وأبكي صخراً لمن يطرق بيته ليلاً راجياً نواله وحماه وحصنه و اللائذ بصخر عند الحوجة وعطاء المال كناية صفة.

ويلي عليك إذا تهب م الريح باردة شمالاَ [5]
والحيدر الصراد لم يك غيمها إلاّ طلالا
ليروع القوم الذين نعدهم فينا عيالا
خير البرية في قرى صخر وأكرمهم فعالا
وهو المؤمل والذي يرجى وأفضلها نوالا

الويل لنفسي عليك عندما تهب ريح الشمال الباردة وتجود السماء بغيم رقيق لا ماء فيه فقط يكون المطر طلاّ والخوف من هذا على قوم في عداد العيال لدينا لحوجتهم لنوالك، فأنت من البرية أي الخلق أخيرهم وأحسنهم عطاءً وأكرمهم فعالاً لأنه الأمل والمرتجى بفضل نوالك عير المجزور بغزارته كنايات صفة.

وعدت عليهم بعد بؤسي بأنعم فكلهم تعنى به وتواصله[6]

وقد شمل مرداس المحتاجين بعطاء كرمه الفيّاض حتى تحول بؤسهم نعيما، ووقد وصلتهم جميعا بصلاتك وعطاياك كناية عن صفة .

---

[1] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص77
[2] نفس المصدر السابق : ص87
[3] نفسه : ص90
[4] نفسه : ص85
[5] نفسه : ص89
[6] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 95

لقد شملت السبايا بعطفك ورعايتك، ففككت أسرهن، وحسّنت حالهن، فغدت ألسنة القوم جميعا تثني عليك وتمتدح فعالك .

كأن بغاة الخير عندك أصبحوا على نهج من طافح البحر خضرم [1]

كأن الذين يبتغون نوال خير صخر أصبحوا على سنة أو شرعة أو طريقة من بحر طفح وكثر ماؤه، وهنا إشارة إلى كثرة عطاء صخر كناية صفة الأولى للكرم والثانية لوصف كرمه بالكثرة .

تلقى الجزيل عطاؤه عند الحقائق غير نادم [2]

تلقى عطاء معاوية جزيلا أي وافرا كثيرا، لوصفها ما هو متعلق بالممدوح عند كل ما من شأنه أن يؤمن حياة ويقيل عثرة أو يرتق وهيا اجتماعيا أو .. فهو في ذلك غير نادم بمعنى زوال الدنيا محتوم لا جدال فيه .

يعطيك ما لا تكاد النفس تسلمه من التلاد وهوب غير منّان [3]

وعطاء صخر لا محدود مطلق حتى لا يصدق المقصود بهذا العطاء نفسه، وعطاء صخر من قديم ماله وهوب وهب فعول، وليس شيمة أن يمنّ على أحد بعطائه الأولى: صفة العطاء وكثرته نسبة، وغير منّان نفي صفة عن الممدوح نسبة أخرى .

سمح إذا يسر الأقوام أقدحهم طلق اليدين وهوب غير منّان [4]

سمح كناية صفة : إذا خرج القوم بقداحهم إقراء للضيوف، وقولها طلق اليدين لكثرة العطاء ووصف يدي صخر بطلاقتهما عطاء نسبة، وهوب كثير جود صخر صفة، ولا يمن بعطائه على من نال نواله.

حلاحل ماجد محض ضريبته جذامة لهواه غير مبطان[5]

تقول شاعرتي : إن صخرا سيد شرف، محمود الأخلاق، وخالص السجية، وقاطع فيصل في شوائك الأمور ليس بعظيم البطن خامل، كنايات صفة .

فتى الفتيان مابلغوا مداه ولا يكدي إذا بلغت كداها[6]

إنه الأعظم بين الرجال: صفة، فلا احد يدرك منزلته، انه يعطي ويجود دوماً: صفة، في وقت يبخل فيه الآخرون .

ترى الشمّ الجحاجح من سليم يبل ندى مدامعها لحاها [7]

ترى سادة النبل والشرف وكرم الأصل من سليم قبيلة الراثية والمرثي كناية عن صفة، أن مدامع رجال سليم بلّ وخضّل لحاهم كناية عن كثرة بكاءهم عليه .

لقد ألم الحزن بالجميع فترى، سادة بني سليم يبكون، حتى تبل مدامعهم لحاهم .

ليبك الخير صخراً من معد ذوو أحلامها وذوو نهاها[8]

فليبك على صخر الكريم، كل أبناء معدّ،العقال منهم والحكماء ، صفات .

---

[1] نفس المصدر السابق : ص100

[2] نفسه : ص100

[3] نفسه: ص102

[4] نفسه : ص102

[5] نفسه : ص102

[6] نفسه : ص 104

[7] نفسه : ص104

[8] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص104

فمن للضيف ان هبت شمال مزعزعة تناوحها صباها[1]

فمن يقوم مقامه في إكرام الضيف،نفرده:صفة، وإيوائه في ليالي البرد والجوع .

ثانياً : الشجاعة :

خطّاب محفلة فرّاج مظلمة إن هاب معضلة سنّى لها بابا [2]

أي : هو خطيب فصل في قول الحق كناية صفة، وكل أمر صعب مظلم غلب الناس، تعني أنه خطيب مفوّه يفصل بفصاحته الأمور الغامضة ويزيل المظالم عن المظلومين، فإذا خشي الوقوع في أمر شديد دبّر له مخرجا ومهّد له طريقا .

حمّال ألوية قطّاع أودية شهّاد أنجية للوتر طلاّبا [3]

قالت : إنه قائد في يده اللواء كناية صفة، ويحضر مجالس الشورى لقومه، وهو لا يغير على جيرانه

(أمين) بل يروع الأباعد من الخصوم ولا ينام عن ضيم (شريف المحتد) أو يسكت عن ثأر .

سم العداة وفكاك العناة إذا لاقى الوغى لم يكن للموت هيّابا [4]

سم العداة : كناية عن قوة شكيمته، في دفاع الأعداء . و العناة، جمع عان، وهو الأسير . الوغى : الحرب، لما فيها من صوت وجلبة . أي هو لا يهاب لقاء الأقران في الحرب ، وهو الذي يقهر الأعداء ويفك الأسرى والعناة .

أسدا تناذره الرفاق ضبارما شثن البراثن لاحق الأقراب [5]

تناذره الرفاق : خوف بعضهم بعضا منه . الضبارم : الشديد التام الخلق صفة ، شثن : خشن وغليظ صفة، البراثن من الوحش كالأصابع للإنسان . اللاحق : الضامر الأقراب : الخواصر .

تراك أسدا يخافه الناس جميعا، شديد البأس، حاد الأنياب، ضامرا من الجوع، صفة، وتلك الحال التي يكون فيها الأسد أشد فتكا .

حامي الحقيقة تخاله عند الوغى أسدا ببيشة كاشر الأنياب [6]

حامي الحقيق : يذود عن حماه وأهله ومن في جواره . بيشة : اسم موضع مشهور بكثرة السباع فيه ، تذود عن الحمى، وتحامي عن حريمك وأولادك، حتى ليظنك من يراك في ساحة الحرب، أسدا كاسرا مكشرا عن أنيابه .

قد كان حصنا شديد الركن ممتنعا ليثا إذا نزل الفتيان أو ركبوا [7]

أي : أن صخرا كان الحصن الشديد القوة الممتنع لغيره أن يفتك به ، وذلك إظهارا لشجاعته، وبسالته حين تخرج من كناية إلى أخرى بقولها : (ليث) صفة، وكان شجاعا في السلم كرما، وفي الحرب مقداما صفتان .

كم من منادٍ دعا والليل مكتنع نفست عنه حبال الموت مكروب [8]

---

[1] نفس المصدر السابق : ص105
[2] نفسه : ص20
[3] نفسه: ص20
[4] نفسه: ص20
[5] نفسه : ص21
[6] نفسه : ص 21
[7] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 22
[8] نفس المصدر السابق : ص 23

فكم من مستنجد دعاك في ظلمة الليل، فسارعت لنجدته، ففرجت عنه، وأنقذته مما أصابه، ولو كان في قبضة الموت، لأنجيته .

شددت عصاب الحرب إذ هي مانعت فألقت برحليها مريّا ودرّت [1]

كنت تدير الحرب وفق مشيئتك وتنال فيها مآربك . فكأنها ناقة تمنع درها فتعصبها حتى تلين وتنقاد وتعطي درها : صفة القوة والشجاعة والإقدام .

وكان أبو حسان صخر أصابها فأرغثها بالرمح حتى أقرت [2]

أبو حسان كنية لصخر، وأرغثها طعنها مرة بعد مرة، وأقرّت استقرّت وهدأت .
أبو حسان : موصوف : صخر، وكان صخر انبرى لها وتولى أمرها حتى استقرت وهدأت فنال ما أراد، الظفر والنصر صفات .

أخو الحزم في الهيجاء والعزم في التي لوقعتها يسوّد بيض المسايح [3]

أخو الحزم : كناية نسبة الحزم له، فهو حازم في الحرب الهيجاء صفة التي إن دارت جعلت البياض سوادا، شدة اشتعالها واتقادها صفة .

الحامل الثقل المهم م من الملمات الفوادح [4]

ذلك الذي يحمل أعباء الأمور العظيمة عن قومه ويقف معهم في بلائهم، صفة .

إنني قد علمت وجدك بالحمد م وإطلاقك العناة سماحا [5]

تخاطب الخنساء صخرا فتقول : وإنني لعارفة، بحبك الثناء واكتساب المفاخر،وبتفضلك بإطلاق الأسرى الذين تمكنت منهم وباتوا طوع يديك .

وبحلم إذا الهجول اعتراه يردع الجهل بعد ما قد أشاحا [6]

وهو حليم صفة، واسع الصدر : نسبة، إذ نازعه سفيه بالغ الجهل، استطاع أن يرد ذلك الجاهل عن حماقته، ولو كان الجهل متمكنا منه .

كم طريد قد سكّن الجأش منه كان يدعو بصفهن صراحا [7]

وكم من فارسٍ فارٍ استطاع صخر أن يعد إليه ثقته بنفسه صفة، أو لبى نداءه فأسرع لنجدته : صفة، في حومة القتال .

فارس الحرب والمعمم منّا مدره الحرب حين تلقى البطاحا [8]

ذلك صخر الذي كان فارسا صفة، وقت القتال، وهو المسوّد على قومه، والخطيب المفوّه صفة، والقائد حين يتفاقم أمر القتال ويحتدم .

فلا يقربن الأرض إلا مسارق يخاف خميساً مطلع الشمس حارداً [9]

مسارق: متلصص يختلس النظر خوفاً وذعراً، خميس: هو الجيش الكثير العدد
حارد: الرجل الذي ينتحي عن قومه وينزل منعزلا، وكذلك البخيل اللئيم. تقول أرض فيها قومها وأخواها صخر ومعاوية لا يستطيع الاقتراب منها إلا متلصص هيوب خوف لقائهم أو بخيل لئيم اعتزل قومه وانفصل عنهم، صفات .

---

[1] نفسه : ص 25
[2] نفسه : ص 25
[3] نفسه : ص 32
[4] نفسه: ص 28
[5] نفسه : ص 31
[6] نفسه : ص 31
[7] نفسه : ص 31
[8] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 31
[9] نفس المصدر السابق : ص 35

ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفتى السيّدا[1]

الجراءة شجاعة صفة الجريء، وهو صخر والجمال جمال النفس وعزة فيها وشرف وسؤدد وكرم أصيل ولذلك مهدت الخنساء للسيادة والشرف بقولها الجريء الجميل.

ألا تذرفان الدمع على من كان شجاعا مقداما، ألا تبكيان لفقد الزعيم الشاب ؟

فكم من فارس لك أم عمرو يحوط سنانه الأنس المريدا [2]

وكم هنا تفيد الكثرة لأنها خبرية، ولكن بإفادتها تستنكر الخنساء بها، قليلون هم من مثل صخر ومعاوية الذين يدافعون عن قبيلتهم ويحمون كل من كان يألفهم ويألفونه ويسكن قلبه لوجودهم معه . تقول الخنساء لنفسها : وكم لك من قريب اشتهر ببطولته حتى أنه ليحمي برمحه ضعاف القوم المنفردين، فيقوم بفعلته مقام المئة من الرجال، صفة .

لقد كان صخرا شريفا ذا مكانة مرموقة في قومه، وكان طويل القامة، تمكن من استلام زعامة القبيلة وهو لا يزال صغير السن لم ينبت شعر لحيته .

أبو حسان كان ثمال قومي فأصبح ثاوياً بين اللحود[3]

أبو حسان: كنية صخر

تقول إن صخراً كان غوث قومه الذي يقوم بأمرهم كناية عن الكرم والشجاعة والرأي السديد والعقل الراجح، والآن هو ترى بين القبور ولكن صفاته تتناقل شعراً وحزناً منها.

سمح الخليقة لا نكِس ولا غمرُ بل باسل مثل ليث الغابة العادي[4]

النكس: من السهام: سهم ينكسر فوقه، فيجعل أعلاه أسفله.

والنكس: من الرجال الدني الضعيف الذي لا خير فيه، والغمر من الرجال: كثير اللحم والشحم.

إن صخرا لصفوح بطبعه، مع حزم ورجاحة عقل، وشجاعة وجرأة كأنه الأسد الهائج. صفات

من أُسد بيشة يحمي الخلّ ذي لبدٍ من أهله الحاضر الأدنين والبادي[5]

بيشة: موضع يشتهر بآسادة فتقول الخنساء إن صخراً أسد إظهارا لصفة الشجاعة ويحمى خليله من العشيرة، وقد وصفت أنه أسد كثير شعر كتفيه، وحماية الخل مقلقة حضوراً والذاهب في البادية وليس حصرا. إنه كأسد كاسر من بيشة، إذا تعرض صديقه، وهو يحمي عشيرته، سواء القريب منهم، او البعيد .

وربّ ثغر مهول خضت غمرته بالمقربات عليها الفتية الصّيد[6]

المقربات : الخيول التي تقرّب مرابضها لتكون في متناول من يريد ركوبها أو لتكون بمأمن لمكانتها من أصحابها .

---

[1] نفسه : ص 33

[2] نفسه : ص 34

[3] نفسه : ص 38

[4] نفسه : ص 36

[5] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 36

[6] نفس المصدر السابق : ص39

وكم من فرجة كان الخطر يمكن أن يأتي منها، تعرّضت لسدها، شجاعة منك صفة، ومعك جماعة من الفرسان الأشراف ، على الخيول الأصيلة، صفات

دارت بنا الأرض أو عادت تدور بنا يا لهف نفسي فقد لاقيت صنديدا[1]

دار: تدور كناية عن صفة الاستمرارية لنكبات الخنساء بفقدها المزدوج ونفسها تتلهف شوقاً لأخويها (صخر ومعاوية) وسيما الاول التي أوردت في وصفه صفة الشجاعة والجراءة – والصنديد الشجاع الجريء من الرجال.

وصخرا ومن ذا مثل صخر إذا غدا بساحته الآطال قرم يقودها[2]

وصخر النادر الشبيه الذي ولج ساحة حرب بها ما بها كان هو السيد المقدام والشجاع الذي يدافع عن قومه وعشيرته، صفات .

وأبكي صخرا، ومن مثله، صفة التفرد، وهو يغدو في الصباح، ممتطيا ناقة ضامرة الخواصر، وهو في سبيله لحاجة من حاجاته .

ما بارز القرن عند معركة إلاّ له يوم تسمو الكرة الظفر[3]

كناية صفة الشجاعة تتضح عندما يبارز صخر سيد القوم وقائدهم كناية صفة في معركة ما فيه إلا ولصخر النصر حليف له وهذه إظهار لخبرة وتجربة ودربة صخر، صفات .

إذا لاقى المنايا لا يبالي أفي يسر أتاه أم يعسر[4]

تقول في أخيها معاوية إنه شجاع مقدام في ساحة الحرب لا يهاب ولا يفزع في كل أحواله وأموال عدوه فهو كالطور ثابت راسخ لا يجبن ولا يجوز كناية صفة.

كمثل الليث مفترش يديه جريء الصدر رئبال سبطر [5]

جريء الصدر: مقدام: أي يلتقي العدو بصدره لا بظهره.

رئبال سيطر: صفتان للأسد الجسور

فمعاوية مثل الأسد كناية بالاستعارة امتزاج واضح في بلاغة الخنساء كناية صفة الشجاعة والإقدام والجسارة في الملمات.

وأحيا من مخبأة كعابٍ وأشجع من أبى شبل هزبر[6]

المخبأة: صفة للمرأة المخدرة التي في خدرها.

الكعاب: من كعب نهدها وكبرت

الهزبر: الأسد

حياة صخر حياة كرم وشجاعة وليست حياة ركون وهدوء فهو موصوف بالشجاعة التي شملته بها الخنساء مدحاً وجعلته أشجع من الأسد.

وصخر مع ما تجد فيه من صفات . أكثر حياء من فتاة حيية من عفته، ولكنه في الحرب أربط جأشا، وأشد قلبا، من الأسد القوي، صفات .

---

[1] نفسه : ص 38

[2] نفسه : ص 40

[3] نفسه : ص55

[4] نفسه : ص59

[5] نفسه : ص59

[6] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص41

حامي الحقيقة والمجير إذا ما خيف حدُّ نوائب الدهر[1]

فصخر يحمي المال والعرض بشجاعته وجرأته، ويغيث ويؤوي المستغيثين به من نوائب وصروف الدهر، كناية عن صفتي الشجاعة والكرم.

لقد نعي الرجل الشهم، الذي كان يحمي الذمار، ويصون الجوار ن إذا خشي من مصائب الدهر الشديدة .

صلب النخيزة وهّاب إذا منعوا وفي الحروب جرئ الصدر مهصار[2]

وصفت طبيعة صخر بالصلابة ، ومخوف إذا منعوا، ووصفته بالجرأة والإقدام وشديد الهصر، مهصار مفعال للمبالغة صفة من صفات الأسد الذي يهصر أو يعطف ويكسر فريسته .

لقد كان صلبا بطبعه حادا، ولكنه كان كريما، يعطي حين يمنع الآخرين وهو في الحرب مقدام، ثابت القلب، قاس على أعدائه . صفة .

يا صخر ورّاد ماء قد تناذره أهل الموارد ما فيه ورده عار [3]

أي أن صخرا يتحاماه أصحاب الموارد، موارد الماء، أو الذين يردون الماء، فهو يرد بخيله ورجله كناية عن الشجاعة صفة، ثم يصدر عن الماء، يبعد عنها، وما في ورده عار أو ظلم، فنفي الظلم والعار عن ورده

يا صخر، لقد وردا موردا، قد سبقك إليه كثيرون، وليس في ورده عيب . وذلك هو الموت، وقد استعارت له لفظ الماء .

مشى السبنتي إلى هيجاء معضلة له سلاحان أنياب وأظفار[4]

والسبنتي صفة للنمر، وإثبات ذلك في قولها : (أنياب وأظفار) والهيجاء المعضلة كناية عن الحرب، فهو شجاع جرئ، كالنمر صاحب الأنياب والأظفار حتى يروّع ملاقيه .

لقد مضيت إلى معركة قاسية، ولكن دون خوف، وكأنك غرّ في جرأتك، وللمعركة التي مضيت إليها أنياب وأظفار . استعار الصفة للموت .

وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا وإن صخرا إذا جاعوا لعقّار[5]

المقدام : الكثير الإقدام والكر في الحروب ومفعال للمبالغة في نعته، عقّار : يعقر الإبل تمهيدا لنحرها وتقديمها للأضياف : الشجاعة والكرم كناية عن صفتين في آن .

فلقد كان صخر، يكفينا مؤونة الأيام، وكان زعيمنا، ولقد كان صخر في ليالي الشتاء، ينحر فيطعمنا .

حمّال ألوية هبّاط أودية شهّاد أندية للجيش جرّار[6]

صيغ المبالغة التي استخدمتها الخنساء كلها على وزن فعّال، وفي رأيي أي مفردة بها حرف مشدّد يزيد من قوة المعنى لهذه المفردة .

حمّال ألوية : كناية عن صفة القيادة والريادة .

---

[1] نفس المصدر السابق : ص50

[2] نفسه: ص 43

[3] نفسه : ص43

[4] نفسه : ص44

[5] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص44

[6] نفس المصدر السابق : ص 45

هبّاط أودية : كناية عن الشجاعة واقتحام المصاعب .
شهّاد أندية : كثير الاجتماع بقومه .
جرّار للجيش : قيادة الجيش الكثيف العدد يقال : الخميس العرمرم
وأرى الخنساء في كناياتها الأربع كأنها تحوك شعرها بمغزل حسن التقسيم .
إنه يحمل الراية، ويقطع المسافات غازيا، ويحضر مجالس القوم، ويقود الجيوش .

فأذهب فلا يبعدنك الله من رجل منّاع ضيم وطلاب بأوتار[1]

فاذهب، رحمك الله ن وأبقى ذكرك خالدا، فلقد كنت لا تبيت على الضيم ولا تسكت عن طلب الثأر، منّاع ـ طلاّب صيغ مبالغة رسوخ هذه المزايا في صخر .

قد كنت تحمل قلباً غير مهتضم مركباً في نصاب غير خوّار[2]

أجد الخنساء تنفي عن اخيها صخر عدم الظلم والانكسار فقلبه الذي كان يحمله بين جنبيه، ثابت لا يضعف ولا يلين الأولى، نفت الظلم وتبعاته عن قلب صخر نسبة والثانية في صخر شجاعة وثبات لا لين وضعف. لقد كنت صاحب قلب كبير وجريء، وكنت ذا أصل كريم، ورثت عنه إباء الضيم، وعزة النفس .

لو منكم كان فينا لم ينل أبدا حتى تلاقى أمور ذات آثار [3]

ولو أن أحدكم كان في حمانا، لما ناله الأعداء أبدا، إلا بعد حصول قتال مرير، تتسبب عنه آثار تبقى وتدوم .

كأنهم يوم راموه بأجمعهم راموا الشكيمة من ذي لبدة ضار[4]

أي كأنهم عندما قصدوا صخراً جميعهم (كناية عن قوته) على إفراده وجمعهم قصدوا: الشكيمة وهي الحديدة توضع في فم الأسد كناية عن القوة، وذو اللبدة كناية عن الشجاعة تشبهها له بالأسد الشديد المفترس.
إن الأعداء يوم أراد قتل صخر وهم مجتمعون : قد لاقوا فيه رجلا ذا بأس وقوة وكأنه أسد في قوته وبسالته، قد تعوّد القتل وسفك الدماء .

حامي العرين لدى الهيجاء مضطلع يغري الرجال بأنياب وأظفار[5]

نجد الخنساء وقد اخفت الكناية وهي صفة الشجاعة حين شبهت صخر بالأسد بحمايته لبيته وهو العرين، عند الحرب الدائرة وهو مستشرق بقوته وناهض بهموم الحرب، وتثبت قولنا في قولها يعرضّ الرجال للهلاك بأنيابه وأظفاره وتمتزج هنا روعة البلاغة والكناية بالاستعارة.
لقد كان صخر حامي الحمى، يتغلّب على الأعداء في الحرب، بل يحمي حماه ممن يروم قهره سواء أكان ذلك من الفرسان، أم وحشا، كاسرا، أم طيرا جارحا .

جوّاب أودية فكّاك عانية كضيغم باسل للقرن هصّار[6]

كان صخر يجوب الأودية كناية عن شجاعته، ويفك الأسيرة قيدها فقيرة، وهو كالأسد القوي، وهو لكبار المحاربين ورؤساء القوم هلاّك .

---

[1] نفسه : ص 51
[2] نفسه : ص 51
[3] نفسه : ص 52
[4] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص53
[5] نفس المصدر السابق : ص53
[6] نفسه : ص 61

جوَّاب أودية، حمّال ألوية سمح اليدين جواد غير مقتار[1]

يجوب الأودية ويحمل الألوية قائد للجيوش صفة الشجاعة، سماحة يديه نسبة الكرم لصخر لأنها قد وصفت يدا صخر بالسماحة وهو متعلق بالممدوح كرماً وجوداً غير منقوص مجزوء.

ومن لطعنةِ حلسٍ او لهاتفةٍ يوم الصياح بفرسان مغاوير[2]

ومن غير صخر يرتجى كي يطعن الشجاع المقدام الذي لا يبرح مكانه ويلازمه ومن غير صخر يستنجد به الصائحات وقد غرّر بها الفرسان الشجعان وطلبت من صخر المروءة والشهامة النجدة والحماية. صفات جدّ حميدة.

وتغشي الخيول حياض النجيع وتعطي الجزيل وتردي العشارا[3]

النجيع : الدم ، العشار : الإبل التي مضى على حملها عشرة أشهر .

تدخل الخيل (حياض النجيع) وحياض النجيع كناية عن موصوف ساحة الحرب وفيها كناية عن صفة الشجاعة لصخر، وتعطي الجزيل، أي عطاء صخر موفور وكاف، كناية عن صفة الكرم، ويكون ذلك بإبل أكملت عشرة الشهور حملا .

فذلك في الجدّ مكروهه وفي السلم تلهو وترخي الإزارا[4]

وهكذا أنت – يا صخر – في ساحة الحرب، حيث الجد، ذلك القوي المرهوب الجانب، فإذا كان وقت الهزل، كنت الفتى المازح الذي يلعب ويلهو كما يشاء .

فصخر لديها مدره الحرب كلها وصخر إذا خان الرجال يطيرها[5]

وصخر لدى الحرب حاميها وبطلها كناية عن موصوف، السيد المقدام فيها وصخر ثابت شجاع لا يلين على شدتها وفرار رجالها هوناً وضعفاً كناية صفة.

فمن للحرب إذا صارت كلوحاً وشمر مشعلوها للنهوض[6]

بكل مهند غضب حسام رقيق الحد مصقول رحيض

إذا كلحت الحرب أي شب أوارها وشمر مسعور الحرب نهوضاً لبدايتها فمن يرتجي هنا غير صخر الذي يحمل سيفاً قاطعاً باتراً له حدّ رقيق مصقول الأولى صفة الشجاعة وشدة المراس والخبرة لصخر.

أبي اليتامى إذا ما شتوة نزلت وفي المزاحف ثبت غير وجّاف [7]

أبي اليتامى : وهو صخر بشدة وقوفه مع اليتامى وصغارهم الذين لا عائل لهم، وذلك أجود ما يكون في فصل الشتاء، وفي المزاحف المعارك والحروب فيها يكون ثابت الجنان غير مضطرب – وجّاف صفة لمحذوف وهو (قلب صخر).

لقد كان صخر لليتامى بمثابة أب عطوف، في أيام البرد، وهو في الحرب، شجاع غير فرّار ولا جبان.

فلو أن المنون تعدل فينا فتنال الشريف والمشروفا[8]

---

[1] نفسه: ص 61
[2] نفسه : ص 56
[3] نفسه : ص 49
[4] نفسه : ص 49
[5] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 64
[6] نفس المصدر السابق : ص71
[7] نفسه : ص 76
[8] نفسه : ص76

فلو أن المنون : موصوف الموت تعدل في أخذها بين الشجاع الحر الكريم والبخيل الهيوب المتقاعس .

وإذ فينا فوارس كل هيجاء إذا فزعوا وفتيان الخروق[1]

إن القبائل العربية حين تخاف تلجأ إلينا : صفة القوة والشجاعة والنجدة، حيث تجد عنّا الفرسان الذين ينصرونهم ويقدرون على قطع الفيافي واختراق الفلوات .

من القوم مغشي الرواق كأنه إذا سيم ضيما خادر مستبسل [2]

إنك من القوم الذين يقصد الأضياف منازلهم صفة، وإذا حاول أحدهم إذلالك كنت أسدا صفة، لا يرام حماه .

شرنبث أطراف البنان ضبارم له في عرين الفيل عرس وأشبل[3]

هزبر هريت الشدق رئبال غابة مخوف اللقاء جائب العين انجل

تصف الخنساء صخر بالأسد صاحب الأظفار القوية الأولى صفة الشجاعة وقوة أظفاره وهو متعلق بالممدوح – وتؤكد وصفها بقولها له في بيت الأسد زوجة وأبناء وغالبا ما يكون بيت الأسد ملتف الأشجار ويزداد تأكيدها لصفة الشجاعة في ولها أسد واسع الشدق نسبة ورئبال مثله، مخوف عند لقاءه، واسعة عينيه وبهما يتمكن من الرؤية في كل الجوانب .

إنك لأعدائك كالأسد الهصور الثخين الأصابع، الغليظ الرقبة، الذي سكن خميلة له فيها زوجة وأولاد .

وفي بيتها الثاني : إنك أسد واسع الشدق، جريء يخشى الأعداء لقاءه، له عين تبرق ويتوقّد فيها الغيظ.

يجيد الكفاح غداة الصياح حامي الحقيقة لم ينكل[4]

كناية عن خبرته و دربته وتجربته في الملمات التي يكون فيها الصوت صياحاً مرتفعاً وهو يدافع منعة عن العرض والمال ولم ينكص ولم يجبن كناية عن شجاعته وقوته.

أتلع لا يغلبه قرنه مستجمع الرأي عظيم طويل[5]

أجد الخنساء قد وضعت معاني بينها تبين كنايتين الأولى أتلع مرتفع واضح والثانية عظيم طويل – ولقوته لا يستطيع مثيله فارس مقدام أن يظفر به ويستجمع الرأي صوابه وسداده.

لقد كان مهيبا في طلعته شامخ الرأس، لا يقوى على قتاله أحد، فهو يفوق أقرانه، ويزيد عليهم في قوته وعظمته .

دفعت بك الجليل وأنت حي فمن ذا يدفع الخطب الجليلا[6]

عندما كنت حياً يا صخر دفعت عني عظيم الخطوب شجاعة وكرماً منك كناية صفة وهي عظيم المصاب بفقد من يرتجى، تدفع عظائم المصائب وملماتها استفهام استنكاري.

---

[1] نفسه : ص 80

[2] نفسه : ص84

[3] نفسه : ص84

[4] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص91

[5] نفس المصدر السابق : ص88

[6] نفسه : ص90

يذودها عن حمام الموت زائدة كالليث يحمي عريناً دون أشبال[1]

يدافع عن خيله في حياض الموت أي المعارك دفاعاً كما يدافع الأسد عن بيته دفاعاً مستميتاً دون صغاره، كناية عن صفة الشجاعة والاستماتة في سبيل حماية خيله في أمّ المعارك أشرسها.

وان رب واد يكره القوم هبطه هبطت وماء منهل أنت ناهله[2]

لقد كنت يا مرداس شجاعاً جريئاً صفة، فكم من موضع يخاف الناس من النزول فيه حللت فيه، وكم من مورد خطر كنت أول من تجرأ واقتحمه وشرب ماءه صفة.

لقد كنت يا مرداس جريئا شجاعا،فكم من موضع يخاف الناس من النزول في، حللت فيه، وكم من مورد خطر كنت أول من تجرأ وتقحّمه، وشرب ماءه .

وسبي كآرام الصريم حويته خلال رجال مستكين عواطله[3]

وكم من مرة أغرت على الأعداء، فاستخلصت من أيديهن النساء المسبيات نخوة ونجدة، صفة، اللواتي قد تذللن وفقدت حليهن، فتركتهن بين فرسانك يحموهن من سبي جديد.

وكم من مرة أغرت على الأعجاء، فاستخلصت من أيديهم النساء المسبيات ؛ اللواتي قد تذللن وفقدن حليّهن، فتركتهن بين فرسانك ليحموهن من سبي جديد .

سأحمل نفسي على آلة فإما عليها وإما لها [4]

وتستمر الخنساء في تحريض قومها في قتال خصومهم قائلة :

إنني سأحاول أن أقوم بذلك عنكم ولسوف أنهض إلى الثأر لمقتل أخي فإما أن أقتل وإما أن أظفر بثأري ويبرد غليلي .

لعمر أبيك لنعم الفتى تحش به ألحرب أجذالها [5]

تمتدح الخنساء صخر ومعاوية لأن القصيدة بروايتين : الأولى : في صخر، والثانية : في معاوية، بمناقب فيه وتفتدي مقسمة بأبيه، إن قوته وشدة مراسه وشجاعته تقطف به الحرب رؤوس المحاربين كناية عن صفة الخبرة والتجربة له ..

تحش : توقد، تشعل، تحرق . الأجذال : جمع جذر وهو جذع الشجر أو الحطب عامة تقول : قسما بدين أبيه لقد كان خير رجليتولى إشعالا لحرب، ويحسن تدبيرها .

ورجراجة فوقها بيضها عليها المضاعف أمثالها [6]

الرجراجة : صفة للكتيبة، والبيض صفة للحديد يوضع فوق رأس الفارس، والمضاعف صفة للدرع يلبسها الفارس، فيه كناية صفة وهي اكتمال العدة والعتاد لفارس أراد خوضها حامية الوطيس .

وكم من كتيبة تموج من كثرتها، وقد لبس فرسانها الدروع المتينة، واعتمروا بالخوذ الفولاذية، سرنا لها نتبارى بقوتنا، واثقين من انتصارنا .

---

[1] نفسه : ص85

[2] نفسه : ص95

[3] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لنان : ص95

[4] نفس المصدر السابق : ص92

[5] نفسه : ص91

[6] نفسه : ص92

وتمنح خيلك أرض العدو وتنبذ بالغزو أطفالها[1]

وكنت تقصد بغزواتك بلاد الأعداء فتصبح طعمه لرجال يغنمون خيراتها ويسبون أولادها ، الظفر والنصر، صفة.

تطاعنها فإذا أدبرت بللت من الدم أكفالها[2]

لقد كنت يا معاوية تقابل القوم وهم مقبلون إليك، الإقدام، صفة فإذا فروا تكون قد ألهبت أقضيتهم وبللتها بالدماء ، معرفة دواعي النزال، صفة.

وثعلبة الروع قد عاينوا خيولا عليها أسود الأجام [3]

الأجام : جمع أجمة وهي المكان الذي تكثر فيه الأسود .

وقبيلة ثعلبة الخائفة المتروّعة حين اللقاء عندما ينظرون إلى خيولنا يجدون خيولا عليها أبطالا شجعان كالأسود قوة ومنعة، كناية صفة

وثعلبة الروع قد عاينوا خيولا عليها أسود الأجام [4]

الأجام : جمع أجمة وهي المكان الذي تكثر فيه الأسود .

وقبيلة ثعلبة الخائفة المتروّعة حين اللقاء عندما ينظرون إلى خيولنا يجدون خيولا عليها أبطالا شجعان كالأسود قوة ومنعة، كناية صفة

إن أخي ليس بترعية نكس هواء القلب ذي ماشية[5]

لم يكن أخي راعي إبل ولا هو بالجبان الضعيف : صفة (بالنفي)

طلاّع مرقبة منّاع مغلقة ورّاد مشربة قطاع أقران [6]

تقول إن صخرا يطلع كل مسلك صعب، ويمنع كل مغلق، ويرد وردا عذبا لا يستطيع غيره وروده، ويقطع رقاب الأقران من القوم، ونلمح هنا صيغ المبالغة توضح الصفة .

إنه الجريء الذي يتربص بالأعداء، ويحافظ على الأماكن الحصينة، ويرد المياه الصافية، ويقطع الحبال القوية، صفات .

شهّاد أندية، حمّال ألوية قطاع أودية سرحان قيعان[7]

صخر كثير ما يشهد الأندية، أي تواجده في مجالس القوم والأماكن التي يجتمع فيها رجال العشيرة، حمال ألوية كناية عن القيادة، قطاع أودية كناية عن الشجاعة وخبرته بالأماكن وطرقها الشائكة كناية عن صفة، فكأنه ذئب خبر الأودية المخضرة لطول تجربته .

يشهد المجالس،ويحمل لواء القبيلة، ويطوف البلاد سهلها والجبل .

ويترك القرن مصفرا أنامله كأن في ريطتيه نضح أرقان [8]

وبقوة شكيمة صخر، يترك سيد القوم وقد أصفرت أنامله وصف ما هو متعلق بالموصوف (القرن) كأن ملاءتيه ماء أو عرق أصفر نزل ممن يصاب بداء اليرقان أو ما يسمى بالصفرة، كناية عن قوة صخر وشجاعته وذل وهوان عدوّه .

---

[1] نفسه : ص95

[2] نفسه : ص 94

[3] نفسه : ص99

[4] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص99

[5] نفس المصدر السابق : ص109

[6] نفسه : ص101

[7] نفسه: ص102

[8] نفسه : ص 102

قويّ يجندل الفرسان، ويتركهم مصرعين، مضرّجين بالدم .

آبي الهضيمة آت بالعظيمة م متلاف الكريمة لا نكس ولا وان[1]

خنساء الرثاء : إن صخرا يرفض الظلم (وفي رواية) : يرفض طعاما يعمل للميت، والأولى أرجح ويأتي بعظيم المكرمات ويتلف من كريماته مالا وإبلا وليس برجل خنوع خضوع ولا جبان متردد كنايات صفة .

يأبى الظلم، ويفعل المكرمات، وينحر إبله للأضياف، غير ضعيف ولا متردد .

حامي الحقيقةبسّال الوديقة م معتاق الوسيقة جلد غير ثنيان [2]

فصخر يحمي كل ما من شأنه يحمى ويصان، كالمال والعرض والقبيلة وسيما ما استودع فهنا تتضح أمانته وحرصه على ما يؤتمن معنويا كان أو محسوسا، كناية صفة، وكذلك يعتق المرأة الأسيرة، إن كانت حاملا، وهنا خلق محمود لصخر كناية صفة، وصبور متجلد غير خائر منثني ولا ضامر حقد في صدره .

يحمي الحمى، وهو جلد صبور يحتمل حرارة الشمس، ويفك الأسرى .

ثالثاً : الصبر :

فتى السن كهل الحلم لا متسرع ولا جامد جعد اليدين جديب [3]

قديم حلمه : نسبة، ليس بمتسرع : صفة، ولا جامد : صفة، جعد اليدين كناية عن البخل وقد نفتها .

كراهية والصبر منك سجية إذا ما رحى الحرب استدرت [4]

الصبر طبيعة فيك ومنك نسبة وصفة ازدواج، إذا دارت رحى الحرب التي شاركت فيها مرارا حتى تثار وتشتعل، شدة اشتعال الحرب صفة .

ظفر بالأمور جلد نجيب وإذا ما سما لحرب أباحا [5]

إنه ذلك الذي وصف بالجلد والصبور صفة، الذي يظفر بما يشاء، وإذا ما أراد حرب قوم، فهو القوي صفة، الذي يقدر على قهر الأعداء وكسب أموالهم وسبي نسائهم وذراريهم .

على فرع رزئت به خناس طويل الباع فيّاض حميد[6]

جليد كان خير بني سليم كريمهم المسوّد والمسود

على فرع قبيلة أصيبت خناس اسم الخنساء، وفي الأصل صفة للبقرة الوحشية، لأن أنفها فيه خنس : صفة، وطويل الباع : نسبة، وفياض وحميد كلها صفات لصخر .

جليد : شديد الصبر والجلد : صفة، وهو خير بني سليم صفة، وهو سيد ومسود : صفة .

---

[1] نفسه : ص101

[2] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 101

[3] نفس المصدر السابق : ص 23

[4] نفسه : ص 25

[5] نفسه : ص 31

[6] نفسه : ص 37

ولكن الحوادث طارقات لها صرف على الرجل الجليد[1]

وبتكلم الصفات التي أشرنا لها لكن الحوادث ... المصائب التي تطرق (ليلاً) على الإنسان لها ردّ ودفع على كل رجل جلد صابر وهنا إشارة لحالة صخر وصبره وجلده على مصيبته (الطعنة إياها التي بقيت قرابة العام).

وم الحزم في العزاء والجود والندى غداة يرى حلف اليسارة والعسر[2]

الحزم: صفة في صخر – والجود والندى، نسبة إلى صخر

والقبر حين يدفن صخر يرى رجلاً موصوف بالصبر فيما ينوبه الدهر يسراً كان أو عسراً.

ماذا غيّب القبر من الحكمة وصواب الرأي، نسبة، في أوقات الشدة ؟ وماذا فقدنا من كريم، صفة، لا يبخل في حالتي الضيق والسعة .

رابعاً : الشرف (كرم الأصل) :

أغر أزهر مثل البدر صورته صاف عتيق فما في وجهه ندب [3]

أغر : في وجهه غرة، وهي البياض في الوجه أو الجبين صفات في وجهه صخر، نسبة، وأكدتها بأزهر وهي البياض، كأنه البدر المضيء . وذلك لكرم أصله صفات، والعتيق الكريم : صفة، والخالص من كل شيء كناية عن شرفه وطيب محتده وجماله .

حسيب لبيب متلف ما أفاده مبيح تلاد المستغش المكاشح [4]

حسيب ذو حسب، لبيب ذكي ، كريم يتلف المال كرما منه، ويبيح كل علاوة قديمة للذي فيه كشاحة صفة . فتصف الخنساء أخيها صخر بأنه من أهل الشرف والسؤدد حسبا ونسبا وبالذكاء والكرم بما يمتلكه ومسامح لكل من يضمر له عداوة قديمة .

السيد الجحجاح وابن م السادة الشم الجحاجح [5]

وأبكي لصخر السيد العظيم الفعال . صفة وكيف لا وهو ابن السادة الأشراف كريمي الأصل والحسب.

لله در بني نهاسر إنهم هدموا العمود وأدركوا بالأسود

قد هدم ركن ركين بموت صخر، لأنه أصل العشيرة بما يتصف به، وبموته لبسوا السواد حدادا عليه كناية عن الحزن والحسرة على أيامه الخوالي .

ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفتى السيّدا[6]

الجراءة شجاعة صفة الجريء، الموصوف وهو صخر والجمال جمال النفس وعزة فيها وشرف وسؤدد وكرم أصيل ولذلك مهدت الخنساء للسيادة والشرف بقولها الجريء الجميل.

ألا تذرفان الدمع على من كان شجاعا مقداما، ألا تبكيان لفقد الزعيم الشاب ؟

---

[1] نفسه : ص38

[2] نفسه : ص 47

[3] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 22

[4] نفس المصدر السابق : ص 32

[5] نفسه : ص 28

[6] نفسه : ص 33

طويل النجاد رفيع العما دساد عشيرته أمردا [1]

في قولها : رفيع العماد كناية عن عزته وعلوّ مكانته في قومه، و: طويل النجاد، كناية عن طول قامته وحسن شبابه الأمرد : صغير السن من الشباب، الذي لم ينبت الشعر في وجهه .

لا يأخذ الخسف في قوم فيبغضهم ولا تراه إذا ما قام محدودا [2]

أي من صفاته أيضا لا يظهر ذماً حتى يغضب قوماً وهنا عفة لسانه تضح ولا يذل القوم أو فرداً فيه ولا يحمله ما يكره حتى يبيت غاضباً – وإذا قام صخر اتضحت فيه صفات هي الطول والجسم المتماسك والقوة الظاهرة في عدم محدوديته.

ولا يقوم إلى ابن العم يشتمه ولا يدب إلى الجارات تخويدا[3]

تستوضح كناية الصفة وهي عفة اللسان لأنه لا يشتم ابن عمه – ولا يتعدى على الفتيات الجارات فيسعى إليهن بالفحش والإثم فالعفة لساناً وقلباً وعقلاً.

قد عشت فينا ولا ترمي بفاحشة حتى توفاك رب الناس محمودا[4]

مدة حياة صخر وعيشه لا يرمي بفاحشة، وترك الخنساء لـ (من المرمى) أيا كان وقد رميه الفحشاء إلى أن توفى والله قدير مقدر للأعمار ولكن صخرا توفى وهو محمود الخصال والفعال، صفات .

وصنوي لا أنسى معاوية الذي له من سراة الحرتين وفودها [5]

الصنو : الأخ الشقيق . السراة : جمع سري، وهو السيد الشريف . الحرتان : حرة بني سليم، وحرة بني هلال، في الحجاز .

وأبكي أخويّ الشقيقين، دون تفكير بالنسيان، الأول : معاوية الذي كان سيدا، تقصده جماعات الأشراف من كل مكان، لحل معضلات الأمور، أو لقضاء الحاجات، والتشاور في الأمور، صفات .

كنا كأنجم ليل وسطها قمر يجلو الدجى فهو من بيننا القمر[6]

تفتخر الخنساء بقبيلتها الصغيرة وتقوم كنا نجوماً مضيئة وبيننا القمر الذي يكشف ببياضه ظلمة الليل الحالكة وهو صخر كناية عن السمو والرفعة والشموخ.

يا صخر ما كنت في قوم أسرهم إلا وأنك بين القوم مشتهر[7]

تقول إنها لم تكن في مجمع قوم ما وهي مسرورة بهم إلا وظهورك الواضح فيهم وشهرتك البائنة التي لا تحتاج إلى دليل كناية عن صفة.

فاذهب حميدا على ما كان من حدث فقد سلكت طريقاً فيه معتبر[8]

عشت حميداً محموداً الأخلاق فاذهب وأنت محمود الشيم قد طرقت مسلكاً في عبرة وعظة للناس من بعدك كناية عن صفة الإيمان واليقين للخنساء نفسها.

---

[1] نفسه : ص 33

[2] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص38

[3] نفس المصدر السابق : ص38

[4] نفسه : ص38

[5] نفسه : ص40

[6] نفسه : ص 60

[7] نفسه : ص60

[8] نفسه : ص 60

كنا كغصين في جرثومة بسقا حينا على خير ما ينمي له الشجر[1]

تقول انها وصخر كان كغصين تصغير للتمليح والتعظيم في أصل راسخ وثابت.
حينا: لحين وفاته: بسقا: ذهبا علوّاً وارتفاعاً كناية عن صفة المجد والأصل.

أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر[2]

هنا تتضح كناية الصفة وهي الهيبة والوقار والجلال لأبي صخر والاحترام والتقدير من صخر لأبيه، صفات .

وهما كأنهما وقد برزا صقران قد حطا على وكر[3]

الصقر: من صفاته انه يوجد في قمم الجبال ووصف الخنساء لأبيها وأخيها بأنهما صقران إبرازا لصفة السمو والرفعة لهما.

يرى مجداً ومكرمة أتاها إذا عشّى الصديق جريم تمر [4]

المجد والمكرمات صفات انتسبت للخنساء وقومها حتى ولو قل عطاء الصديق وكان العطاء تمراً يابساً وهنا أجد الشاعرة توازي وتوازن بين صفتي المجد والبخل.
ذلك الذي يجد كل فخره، في أن يطعم ضيفه التمر اليابس.

لم تره جارة يمشي بساحتها لريبة حين يخلي بيته الجار [5]

لقد كان صخر عفيفا شريفا، لم يعرف عنه فحش ن ولم تره جارة ن وهو يمشي قرب بيتها، ليراودها عن نفسها في غياب زوجها .

أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار [6]

إن صخرا، لمشرق الطلعة مشهور، يستدل برأيه العارفون، فكأنه لشهرته، جبل في أعلاه نار .

جهم المحيا تضيء الليل صورته آباؤه من طوال السمك أحرار [7]

الجهم : العابس . السمك : القامة .
إنه عابس دائما في وجه الأعداء، مع أن وجهه مشرق يضيء ظلام الليل، وهو من أصل كريم، قد ورث طول القامة عن أهله .

قد كان فيكم أبو عمرو يسودكم نعم المعمم للداعين نصّار[8]

تقول : إن الموصوف في البيت بأبي عمرو سيّد فيكم والسيادة كناية عن كرم الأصل والسؤدد، ونعم المعممّ، موصوف، صاحب الخير الكثير، للمدح ورفعة الشأن فهو يفزع الداعين لطلبه وينصر المستضعفين، ونصّار : فعّال .
لقد كان زعيمكم أبو عمرو، يقودكم ويوجهكم، ولقد كان نعم الرجل الذي يلبي دعاء من يستنجد به ويبادر لنصرته .

---

[1] نفسه : ص 60
[2] الخنساء ديوانها - المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 62
[3] نفس المصدر السابق : ص62
[4] نفسه : ص62
[5] نفسه : ص 45
[6] نفسه : ص43
[7] نفسه : ص46
[8] نفسه : ص 43

يا صخر ماذا يواري القبر من كرم ومن خلائق عفّات مطاهير[1]

تتساءل خنساء متذكرة صخر الذي لا ينسى أبدا ماذا يغيب القبر تحت ترابه من رجل شجاع لقي قتالاً وأثرت فيه جسده وهنا كثرة خوضه الملمات ..صفة، ومن صفات وشمائل عفيفات طاهرات تحلى بها صخر.. .

وأبكي أخا كان محموداً فضائله مثل الهلال منيراً غير مغمور[2]

تأمر الخنساء عينها بأن تبكي أخاها وتبكي فضائله المحمودة وصفة ما هو متعلق بالممدوح محمودة فضائل صخر .. نسبة، وكان نيّر الوجه وضّاء كناية عن صفة الشرف وكرم الاصل وليس مجهولاً خامل الذكر بل مشهوراً .. صفة.

لتدرك شأوا بعيد المدى وتكسب حمدا وتحمي الذمارا[3]

وكان منك ذلك في سبيل أن تنال غاية سامية، تغلب في سموها ما اعتاد الناس على أن يفخروا به، وأنت يُكسب بك الحمد، وهذه كناية عن كونك للقوم نعم الذخر، وتحمي العرض شجاعة فيك .

وجارك محفوظ منيع بنجوه من الضيم لا يؤذي ولا يتذلل[4]

وجار صخر محفوظ هو ومن معه كناية عن أمانته وعفته وصدقه، فجاره مستور في حصن أمين من الظلم والشر والأذى والذل والهوان كناية صفة حسن جواره بتعداد هذه الصفات.

وأنت مرهوب الجانب ، مجاورك يحيا في منعة لا يستطيع أحد أن يمدّ إليه يداً بسوء أو يقهره أو يذله.

حسيب ينال المجد منه ببسطة ويعجز عن أفضاله كل شيظم[5]

والمجد ينال من صخر المجد ببساطة وجزالة فيه كناية نسبة ، وكان رفيع الشأن عال لا يضاهيه في أفضاله الوفيرة .

قد كان صخر جليدا كاملا برعا جلد المريرة تنميه السلاجيم [6]

الجليد : إشارة للتدفق والكثرة

السلاجيم : السلاجم : القوي المنيع من الرجال ، الإبل ،الخيل ونحو ذلك .

تقول إن صخرا كان كرمه وفيرا متدفقا مثل الجليد ، وكان بارع كامل الصفات التي منقبة وأثرة عند العرب ، وكان صاحب عزيمة صابرة قوية ينفعه في ذلك منعته وقوته كنايات صفة ، وفي جلد المريرة صفة .

تقول إنها تفتدي هذا الفارس الجشمي بنفسها وكل حميم لها وكل بني سليم قومها بمقيمهم وظاعنهم ، قد خصصت ذلك له لأنه حر ابن أحرار صفة ، وكريم عاش في بيت مكارم .

كل ابن أنثى بريب الدهر مرجوم وكل بيت طويل السمك مهدوم [1]

---

[1] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 56

[2] نفس المصدر السابق : ص 56

[3] نفسه : ص 49

[4] نفسه : ص84

[5] نفسه : ص100

[6] نفسه : ص97

إن كل إنسان يرجم ببلايا الدهر وحوادثه العظام وكل منزل عالٍ سيحل به الخراب ، في قولها بيت طويل السمك : كناية عن رفعة المنزلة وسمو المكانة .

سمح الخلائق محمود شمائله عالي البناء إذا ما قصر الباني[2]

سمح الخلائق محمود الخلق والشمائل: نسبة عالي البناء: نسبة أي ذو مجد ورفعة وبفقد ذلك دونه.

سمح سجيّته جزل عطيّته وللأمانة راع غير خوّان [3]

سماحة الإنسان بسجاياه السمحة نسبة ، فصخر حسبما أرادت الخنساء أن تقول فهو فيّاض جزيل عطاؤه ، وكذلك أمين لا يخون الأمانة إن كلّف بها نسبة .

حلف الندى وعقيد المجد أي فتى كالليث في الحرب لا نكس ولا وان [4]

حليف الندى : حليف للكرم والجود كناية نسبة

عقيد المجد : المجد معقود بصخر كناية نسبة

وهو شجاع كالأسد صفة ، في ساحة اللقاء ، وليس برجل متوان خضوع ، ذليل ، صفة وإن نفيت عنه .

له كف يشد بها وكف تجود فما يجف ثرى نداها[5]

إن لصخر يدين، واحدة يضغط بها على رقاب الأعداء حنكة في الحرب:صفة. والثانية تمنح العطايا: صفة، لا ينقطع عطاؤها : نسبة.

مولعاً بالسراة منا فما يأخذ إلا المهذب الغطريفا [6]

تقول إن الموت مولع بعلية القوم وأشرافه فلا يموت إلا المهذب والسيد الكريم في قومه كنايتي صفة.

أيها الموت لو تجافيت عن صخر لألفيته نقيا عفيفاً[7]
عاش خمسين حجة ينكر المنكر فينا ويبذل المعروفا

تخاطب الباكية المتفجعة الموت وتقول : لو استمهلت صخراً لوجدته يحمل صفات هي النقاء والعفة والكرم.

فقد عاش خمسين عام يدفع المنكر، يكره الضيم والعسف، ويكرم ويجود ويقيل عثرة العاثر، كنايات صفة.

وإذ يتحاكم السادات طرّاً إلى أبياتنا وذوو الحقوق[8]

تقول أشراف و أعيانها وسادتها جميعهم يأتون على بيوتنا وكذلك ذوو الحقوق والحاجات وهنا كناية عن صفة الشرف والسؤدد وكرم الأصل.

يوم كنّا سادة الناس، يأتي إلينا رؤساء العشائر لنفض ما بينهم من خصومات، ويقصد من له حق لننصفه من خصومه .

---

[1] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص97
[2] نفس المصدر السابق : ص103
[3] نفسه: ص102
[4] نفسه : ص103
[5] نفسه : ص104
[6] نفسه : ص76
[7] نفسه : ص76
[8] نفسه : ص 81

فبكيه فقد ولى حميداً أصيل الرأي محمود الصديق[1]

البكاء واجب على رجل قد توفى حميد الخلق طاهر النقيبة صفة وأصيل رأي الممدوح ومحمود صديق الممدوح ففي كليها نسبة أصالة رأيه ومحمودة صفات صديقه تدل على صفات حميدة له .

على خير من يندب المعولون والسيد الأيد المفضل[2]

البكاء على خير من يبكي الباكون الصائحون، موصوف، والسيد الشريف القوي شجاعته وبفضله كنايات صفة.

طويل النجاد رفيع العما د ليس بوغدٍ ولا زمّل[3]

النجاد: موضع حمالة السيف كناية عن الطول والرفعة وليس بحقير ديوث من الناس – ولا جبان تافه ومثلها زمّل كناية عن صفة منفية بليس –

يحامي عن الحي يوم الحفاظ والجار والضيف والنّزّل[4]

حماية صخر للحي يوم الملمات كناية عن أمانته وامن جواره وكذلك حمايته لجاره عفة فيه ولضيفه بكرمه والنازلين بيته ليلاً فهم في حمايته كرماً وإقراءً كنايات صفة.

رموح من الغيظ رمح الشموس تلافيت في السلف الاول[5]

تقول إن صخرا لآبائه ورفعته يرفض الضيم والغيظ ويتقيهما ويعلو دونهما كما يعلو رمح الشمس وترميها في عنان السماء رفعة وسؤدد ولكنك هلكت في سلف سابق وأول كناية عن حوجه العشيرة والقوم له.

تحسبه غضبان من عزه ذلك منه خلقٌ ما يحول[6]

تظنه إذا رأيته في حالة غضب، وذلك من هيبته وعلو قدره وتلك حال الفارس الشجاع، في عين الناس .

على صخر الأغرّ أبي اليتامى ويحمل كلّ معثرة وكلا[7]

على صخر الكريم الذي في وجهه وجبينه غرة وهي البياض، وبكرم صخر وجزيل عطاء جوده أصبح لليتامى أب ويحمل عنهم كل عثراتهم وكلالهم وتعبهم ولغيرهم أيضا قوة فيه وشهامة ونخوة اعتاد عليها كناية صفة.

متى ما توازن ماجداً يعتدل به كما عدل الميزان في الكف راطله[8]

وبأخلاقه الحسنة الحميدة توازن رصيفك ماجدا مثلك ولا شك ترجح كفة الميزان كما يرجحها من يضع عيارا أو زنة ..صفة .

إنك لنعم الرجل، فلو أردت أن تقيس نفسك بأحسن الرجال وأكرمهم فعالا، فإنك ستعادله، وتكون معه مثل كفّتي الميزان المتعادلتين .

عطافه أبيض ذو رونق كالرجع في المدجنة السارية [9]

---

[1] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص80

[2] نفس المصدر السابق : ص 89

[3] نفسه : ص 90

[4] نفسه : ص90

[5] نفسه : ص 90

[6] نفسه : ص88

[7] نفسه: ص85

[8] نفسه : ص95

[9] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص109

والعطاف : الرداء، ورونقه : ماؤه، الرجع : الغدير في بياضه وصفائه، والمدجنة : السحابة الماطرة، والسارية : التي أمطرت ليلا .
ففي البيت على روايتيه كناية صفة، في وصفها لردائه أو سيفه .
رداؤه أبيض، نظيف، كماء المطر الصافي، وفي البيت كناية عن العفة
لا أحد سيخلد من البشر لا الوضيع ولا الشريف حتى الفرس والرومان ومن يدخل في ملكهما، وفي قولها هذا كناية عن البشر جميعا .

لكن أخي أروع ذو مرة من مثله تسترفد الباغية[1]

وتقول الخنساء إن صخرا صاحب الشرف العالي المقام، وذو قوّة خارقة، نسبة، وكل باغية تطلب رفده وعونه .
والمباضعة نوع من أنواع الزواج المكروه، وكان عادة في الجاهلية .

كأن لم يقل أهلاً لطالب حاجة وكان بليج الوجه منشرح الصدر[2]

بليج: لغة في أبلج: وضّاء
فهو صاحب الوجه الوضاء الأبيض وكل هذه الصفات اقترنت بوجه صخر كناية نسبة وانشراح صدر صخر وصفة في أن إثبات انشراح الصدر وهو متعلق بممدوح وصفة في بشاشته وكرمه ولقاء ضيفه بصدر رحب ، نسبة .
لقد أصابه الموت ، وكأنه جهل أمره ، ولم يكن يعلم مدى ترحيبه بطالب حاجة منه ، وكيف كان يلقاه باشا ، منشرح الصدر مرحبا به .

خامساُ : رجاحة العقل :

فتى كان ذا حلم أصيل وتؤدة إذا ما الحبى من طائف الجهل حلّت [3]

كان صخر رجلا أصيل الرأي : نسبة، متمهلا : صفة، مستوعبا : صفة والحبى : حبوة وهي ثوب أو عمامة كانت العرب تحتبي به عند الجلوس وذلك لأنهم كنوا يجمعون بين ظهورهم وسوقهم ليستندوا . وحلّ الحبا كناية عن القيام كما أن عقدها كناية العقود .

نصبت للقوم فيه فصل أعينهم مثل الشهاب وهم منهم عباديد [4]

عباديد: العباديد والعبابيد، لا واحد لها، وهي الفرق بين الخيل أو الناس، وهي أيضا الطرق البعيدة.
تقدمت القوم، فنصبت نفسك أمام أعينهم، وكأنك نجم يهتدي به القوم، ويجتمعون حوله، بعد أن كانوا مشتتين، مبعثرة قوهم ، صفات .

إذا ما الضيف حل إلى ذراه تلقاه بوجه غير بسر[5]

إذا نزل الضيف بفنائه . استقبله باشا دون عبوس، وذلك من الكرم .
وألمح كناية مخفية هنا (إلى ذراه) الذرى من الشيء أعلاه وهنا تتضح كناية السمو والرفعة والشرف لصخر.

---

[1] نفس المصدر السابق : ص109
[2] نفسه : ص47
[3] نفسه : ص 26
[4] نفسه : ص 39
[5] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص42

وإن تلقه في الشرب لا تلق فاحشاً ولا ناكثاً عقد السرائر والصبر[1]

الشرب: جماعة الشاربين من الجمرة

الفاحش: السيء الخلق، ونفت الخنساء سوء صفة خلق صخر نسبة.

ناكثاً: مخلف الوعد أو العهد.

السرائر: جمع سرير، وهي السّر الذي يكتم.

إن التقيت صخراً في حانة الخمر تلق رجلاً حسن الخلق وليس سيئها ولا الذي يخلف الوعود والعهود وينكتها ولا يبث الأسرار المكتومة.

طرق النعيّ على صفينة غدوة ونعى المعمّم من بني عمرو[2]

صفينة: اسم علم، وغدوة صباحاً.

وصل الخير ليلا إلى قرية صفينة ومفاده أن السيد زعيم القوم قد مات فشمل المصاب كل القبيلة، كناية عظمه وفقده، صفات .

وإن صخرا لوالينا وسيدنا وإن صخرا إذا نشتو لنحّار[3]

الولاية والسيادة شرف مطلق لصخر، وصخر المنعوت بهذه الصفات ينحر سمين ما يمتلك من الضان والإبل وغيره لضيوفه، إقراء في فصل يكون فيه الجدب والشظف عام - ولقد كان صخر جريئا، عند الغارة، وكان صخر كريما يعقر نوقه ليطعم الجائعين .

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار [4]

وصخر موصوف برجاحة العقل والسؤدد ودليل ذل المهتدون برأيه هم أعقل القوم، وكأنه جبل في رأسه نار يسير بهداه وعلى ضوئه السائرون .

إن صخرا لمشرق الطلعة مشهور، نسبة ، يستدل برأيه العارفون، موصوف، فكأنه لشهرته، جبل في أعلاه نار .

جلد جميل المحيا كامل ورع وللحروب غداة الروع مسعار[5]

إن صخرا لصبور، وسيم كامل الأوصاف، تقي، وهو إلى ذلك وقت الحرب مقدام، يتقحم غمارها ، صفات .

مثل السنان تضيء الليل صورته جلد المريرة حرٌّ ابن أحرار[6]

تشبه الشاعرة صخراً بالسنان الأبيض وهنا كناية عن صفة الوضاءة والإشراق لوجه صخر وصورته (التي هي الأصل فيها الوجه) كريم ابن سادة أشراف وصاحب عزيمة صابرة صبورة وحر سليل أحرار ويتضح هنا الفخر بصخر خلفية الخنساء قبيلتها المفتخر بها أيضا.

لقد كنت حرا كريما،لك وجه مشرق سمح، يستضاء به في الظلمات، وكنت شديدا صعبا لمن أراد قهرك و إذلالك .

---

[1] نفس المصدر السابق : ص 47

[2] نفسه : ص49

[3] نفسه : ص44

[4] نفسه : ص 45

[5] نفسه : ص 45

[6] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 52

وأقسمت لا أنفك اهذي قصيدة لصخر أخي المفضال في كل مجمع[1]
فدتك سليم كـهلها وغُلامها وجدّع منهـــا كل أنف ومسمع

تقسم الخنساء مدة بقاءها على قيد الحياة أن تهدي صخراً قصيدة وذلك لفضله عليها وعلى غيره وتحتفل بقصائدها على صخر في كل مجتمع وملتقى، وبفقدك تفديك سليم هي قبيلتها، كهولها وصغارها، أي بكره أبيها وإن لم فتتقطع أنوف وآذان قبيلة سليم – كناية عن سمو ورفعة شأنه. أحلف يمينا سأظل أمدح قيس بن عامر، في كل نادٍ وحفل، وفي بيتها الثاني تقول : يفديك قومي بني سليم كبيرهم وصغيرهم،وليقطع في سبيلك منهم كل أنف وأذن .

يا صخر قد كنت بدراً يستضاء به فقد ثوى يوم متّ المجد والجود[2]

النداء بياء لمن هو سامع قريب من المنادي وهذا دليل لقرب صخر من دواخلها وقد صرحت بسموّه وعلوّه فهو البدر المضيء للعامة كناية عن الرفعة والشموخ وحين مات صخر مات معه المجد والسؤدد والشرف والكرم ونلمح النسبة هنا لان المجد والكرم والجود صفات نسبت لصخر ميتاً كان أو حياً.

يا أخي صخر ، لقد كنت في شهرتك وعزّك كالقمر رفيعا في المقام ، وهاديا بصواب الرأي ، وقد ذهب بفقدك العز الكبير ، والكرم العظيم .

سادساً : شدة الألم :

إن الحزن في قلوب البشر فطرة إنسانية ، ومسحة بشرية ، جعلها الله في قلوب العباد ، يتألمون بالفجائع ويشعرون باللوعة ، ويتذوقون مرارة المصاب .

الحزن شيء معنوي يسري إلى القلب ، ويحل بالجوارح ، فيعبر الناس عنه بوسائل مختلفة وطرائق متعددة للتنفيس عن كرباتهم ، ولتخفيف أحزانهم ، فالدموع إحدى الوسائل التي يعبر بها الحزين عن حزنه ، والمتألم عن ألمه والمنكوب عن نكبته .

وصورة البكاء عند الخنساء صورة تعبيرية عن ألم نفسي ، وحزن في قلب الإنسان ، وهو طريقة من ألوان التعبير المادي , والبكاء يندرج تحت فن من فنون الشعر العربي وهو الرثاء .

وكان للمرأة حضور ومشاركة في هذا اللون التعبيري ، وساهمت إسهاما فاعلا في إثراء ديوان العرب بهذا الفن الشعري المتميز . وربما يكون ذلك الفن من طبيعة المرأة الوجدانية ، وتركيبتها النفسية ، بوصفها أكثر ميلا للحزن والأسى والبكاء على عكس الرجل من ذلك ، الذي فرضت عليه الأعراف الاجتماعية بأن يتسم بالصبر والتحمل .

إني تذكرته والليل معتكر ففي فؤادي صدع غير مشعوب [3]

تقول : إنها تذكرته والليل شديد السواد : صفة وفي فؤادها شقّ، ووصفته بأنه غير ملتئم بأن تنفي الالتئام صفة عن شقّ بفؤادها هذه نسبة، التي توصلنا إلى صفة وهي شدة حزنها وألمها على أخيها .

يا عين جودي بدمع منك مسكوب كلؤلؤ جال في الأسماط مثقوب [4]

---

[1] نفس المصدر السابق : ص75

[2] نفسه : ص39

[3] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 23

[4] نفس المرجع السابق : ص 23

يا عيني اسكبي الدمع بسخاء دمعا غزيرا يتتابع بعضه إثر بعض كما يتتابع اللؤلؤ في خيطه ويكر الواحدة تلو الأخرى، التتابع يؤكد شدة الحزن والألم وبالتالي كثرة البكاء.

أقول أبا حسان لا العيش طيّب وكيف وقد أفردت منك يطيب [1]

أبو حسان كنية صخر، لم يكن العيش ولن يكون طيبا كيف يكون ذلك وقد أصبحت فريدة وحيدة تقاسي الوحدة بفراق أخويها، صفة وهي عظمة الفقد .

من ضميري بلوعة الحزن حتى نكأ الحزن من في فؤادي فقاحا [2]

إن مرارة الحزن لم تفارقني، بل إن جراحي لا تنفك تتجدد وتسيل دما و قيحا، فهي لا تندمل .

دقّ عظمي وهاض مني جناحي هلك صخر فما أطيق براحا[3]

لقد كسر عظمي، وأعاد تحطيم جناحي، موت صخر فأنا لا أقوى على القيام من موضعي .

لا تخلني إني نسيت ولا بلّ م فؤادي ولو شربت القراحا [4]

لا تظنني إنني نسيت أوجاعي وأحزاني، ولا بردت حرارة وجدي، ولا يستطيع الماء البارد أن يطفئ حرقتي لعظم بليّتي ، صفة .

إن في الصدر أربعا يتجاوبن م حنينا حتى بلغن المراحا [5]

إن في صدري من ألم الفجيعة مقدار ما في أربع من نوق فقدن أولادهنّ فهن يتجاوبن بالحنين إليهن من الصباح حتى المساء ويرجعن إلى مباركهن ، شدة ألمها صفة .

من لضيف يحل بالحي عانٍ بعد صخر إذا دعاه صياحا [6]

من يقري الضيوف، الذين ينزلون بحيّنا، بعد فقد صخر، ومن لطالب معروف يريد عطية أو حلّ معضل من الأمر ؟ صفة .

يا ابن الشريد وخير قيس كلها خلفتني في حسرة وتبلد[7]

ابن الشريد، صخر أخو الخنساء، وخير من خيار العرب جميعهم لأنه من قيس التي هي من أكبر عمارات العرب الشماليين وتضم قبائل كثيرة وتقابلها اليمن .

تقول إن وفاة صخر أخير العرب جميعا قد خلفتها في حزن وبؤس وشقاء، صفات .

يا عين جودي بالدموع فقد جفت عنك المراود [8]

المراود والروائد، وهو القذى الذي يجول في العين، والمراود: جمع مرود وهو محور البكرة من خشب أو حديد، وتقصد الخنساء إنها لم تكتحل عينها امتناعاً عن الكحل حزناً على اخيها صخر.

---

[1] نفسه : ص 23
[2] نفسه : ص 30
[3] نفسه : ص 31
[4] نفسه : ص 30
[5] نفسه : ص 31
[6] نفسه : ص 31
[7] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 39
[8] نفس المصدر السابق : ص 36

وأبكي لصخر انه شقّ الفؤاد لما يكابد [1]

وتأمر الشاعرة عينها بالبكاء على صخر الذي بفقده كابدت أمر ما يكابد وهو فقدها لأخيها فقد شق فؤادها وهذا ابلغ التصوير لقمة الحزن الحزين الذي وصلت إليه، صفة.

أعينيّ جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى[2]

جودا: أي انهمرا بالدموع الغزار، ونرى إسناد الندى لصخر ولدى الخنساء أن هذه الصفة ملازمة لصخر.

الندى : الكرم، السخاء وإضافته إلى صخر كناية عن كرمه العظيم .

يا عيني اسكبا دمعكما سخيا، ولا تبخلا به، أليس حريّا بكما البكاء على فقد الكريم الجواد صخر .

بكت عيني وعاودت السهودا وبت الليل جانحة عميدا [3]

السهود : السهاد والأرق وعدم النوم .

العميد، والعميدة، من عمدها الحب والوجد والحزن .

تقول الخنساء : لقد رفضت عيني النوم، ورجعت إلى عادتها في السهر، وصرت أمضي الليل حزينة كمن أصابه مرض أو برّح به العشق .

أبكي لصخر إذا ناحت مطوقة حمامة شجوها ورقاء بالوادي[4]

أبكي وهنا البكاء فقداً في موازاة الفقد للحرية عند الحمامة المطوقة صفة (تسلبها حريتها) وهذه الحمامة صاحبة الشجو الغريد في ناحية بالوادي.

إنني أبكي لفقد صخر، كلما سمعت نواح حمامة، تبكي وتطيل البكاء، صفة، عظمة الفقد، وشدة الحزن.

ضاقت بي الأرض وانقضت مخارمها حتى تخاشعت الأعلام والبيد[5]

ضاقت بي الأرض كناية صفة الوحدة فقداً وحزناً على صخر وبذلك تضيق الأرض بها وبادت الطرق بين جبالها ووديانها إلى أن المكان أصبح من الرسوم الدوارس حتى لا يستطيع السائر أن يهتدي بمعلم فيه وهذا تصوير رائع وقد أشركت الخنساء الطبيعة في حزنها دليل واضح لجليل حزنها عليه.

يا عين فابكي فتىً محضا ضرائبه صعباً مراقبه سهلاً إذا ريدا [6]

ويستمر بكاء الشاعرة على فتى سجاياه وطبائعه صافية من الدنس واللوم والإثم و وصف السجايا والطبائع بالصفاء مما يتعلق بها. وفوق ذاك صعب لمن يراقبه وسهل إذا احتيج إليه وهنا كناية في صفتين بينهما طباق (تضاد).

---

[1] نفسه : ص 36

[2] نفسه : ص 33

[3] نفسه : ص 34

[4] نفسه : ص36

[5] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص39

[6] نفس المصدر السابق : ص 38

أذهب حريبا جزاك الله جنته عنا وخلدت في الفردوس تخليدا [1]

حريبا: حال في النحو، صفة في البلاغة وهنا أبدعت الخنساء حين قصدت حريبا: مسلوباً من مالك ومن كل شيء والله تسأل أن يجزيك جنة الفردوس وتخلد فيها عوضاً عنا وعن الدنيا والدعاء في كناية عن شدة حبها له

أبكي أبي عمرا بعين غزيرة قليل إذا نام الخليّ هجودها[2]

أبو عمرو هوعمرو بن الشريد، وعين غزيرة بدموعها كناية عن شدة الألم والفجيعة بالفقد ومن صفاتها لهذه العين إنها قليلة النوم .

إنني أبكي أبي، عمرو بن الشريد، بدموع غزيرة أذرفها من عين قلّما تنام .

يا عين جودي بالدموع على الفتى القرم الأغر [3]

أبيض أبلج وجهه كالشمس في خير البشر

وتأمر الخنساء عينها بأن تجود بالدموع كناية عن شدة الحزن والبكاء على فقدها، والذي أوردت له كناية صفة السيد المفضال الشجاع، الوضاء الجبين كناية عن الشرف وكرم الأصل، الأبيض الناصع وجهه في رفعة وسمو كارتفاع الشمس وهو أخير البشرية صخر ..

والشمس كاسفة لمهلكه وما اتسق القمر [4]

والإنس تبكي ولها وبالجن تسعد من سمر

تقول : وكذلك الشمس حزينة لموت صخر وأصابها الكسوف حزنا، وتبعها القمر بعدم اتساقه وتتدثر كناية صفة الحزن لمكونات الطبيعة، خلف وجه بلاغي آخر وهو حسن التعليل : أي ما كان كسوف الشمس وعدم اتساق القمر إلاّ حزنا على صخر .

وأشركت الخنساء الإنس الباكية بشدة حزن وكمد ووله ولوعة والجن السعيدة لمن يسامرها والمقابلة واضحة بين حزن الإنس وسعادة الجن.

إني تأوبني الأحزان والسهر فالعين منى هدوءاً دمعها درر[5]

تقول إنها مولعة باكية حزينة ساهرة ساهدة ودموع عينها على هدوئها دمعها غزير مدرار وهنا كناية عن شدة الألم وكثرة البكاء والحزن على صخر، صفات .

أعيني جودا بالدموع على صخر على البطل المقدام والسيد الغمر[6]

تأمر الخنساء عينيها بأن تنهمرا دموعاً على أخيها صخر والمقدام صفة لهذا البطل كناية عن صفة الشجاعة والسيد الكريم الواسع الخلق.

هل تدريان على من ذا سبلتكما على ابن أمي أبيت الليل معمودا [7]

هل تدريان: خطاب الخنساء لعينيها وهنا نلمح حديث النفس للنفس على أي الرجال انهمرت دموعكما على ابن أمي وهو صخر وهنا كناية عن شدة الحنين والعطف

---

[1] نفسه: ص 38

[2] نفسه: ص 40

[3] نفسه : ص 54

[4] نفسه : ص 54

[5] الخنساء ديوانها - المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص55

[6] نفس المصدر السابق : ص63

[7] نفسه : ص 38

والوجد وابن أمي أخوه وجدانيه قلباً وعقّلاً وقد تألمت الشاعر وتوجدت وأنهب فؤادها الشوق لما فقدت، صفات .

كأن عيني لذكراه إذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار[1]

تقول الخنساء : إن عيني من تذكر صخر ن لتدمع بغزارة، وتسيل دموعهما على الخدين كالسيل، يفيض ويسيل در عينيها بكثرة وغزارة، كناية عن كثرة البكاء على صخر، وبمفردتي فيض يسيل وتأكيد ذلك بقولها : مدرار مفعال .

تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت ودونه من جديد الترب أستار[2]

إن عيني تبكي لفقد صخر، بدموعها الغزيرة لشدة فاجعتها، فقد أصبح ميتا ومدفونا في باطن الأرض .

تبكي خناس فما تنفك ما عمرت لها عليه رنين وهي مفتار[3]

إن الخنساء لتبكي باستمرار على صخر، وهذا يحق لها، لأن الدهر قد غدر بها،والغدر من طباع الدهر، الذي لا يصفو لأحد .

يوما بأوجد مني حين فارقني صخر وللدهر إحلاء وإمرار[4]

اليوم الذي رحل فيه صخر وترك الخنساء، هذا يوم من الأيام المريرة على مدى الدهر، وقولها : بأوجد : أحزن من الوجد والحزن، واسم التفضيل استخدام غاية في الروعة للكناية عن صفة الحزن وفي عظمته .

تلك الناقة – الثاكلة – ليست بأكثر لوعة مني، يوم فارقني صخر بموته، ولكن هكذا شأن الدهر، فهي تجلب الحلو والمر من الأمور .

يا عين فيضي بدمع منك مغزار وأبكي لصخر بدمع منك مدرار[5]

تقول من مخاطبة عينها أي عينها (مجازاً) كلُّ مقصود وجزء مذكور، فيضي أكثري الدمع بغزارة وكثرة بكاءً على صخر واذرفي الدموع كثيرة مدرارة كناية عن شدة الحزن والوجد.

يا عين أبذلي دمعك الغزير، وأبكي لفقد صخر بدموع لا ينقطع انسكابها .

أبكي فتى الحي نالته منيته وكل نفس إلى وقت ومقدار[6]

نجدها قد جعلت صخراً فتى الحي أي القائم بشؤون واكرام ضيفه وإقالة عثرة من عذر ومشورته في الخطوب وغير ذلك كثير – وتتضح كناية الصفة في قولها وكل نفس إلى وقت و مقدار تدل على إيمانها.

وابكوا فارس القبيلة الذي وافاه الأجل، في يوم مشؤوم قضى به القدر بمشيئته .

يا عين جودي بالدموع الغزار وابكي على أروع حامي الذمار[7]

تأمر عينها بأن تجود بدموع غزيرة كناية شدة الحزن والولع، صفة، وأن تبكي الشهم الذكي صفة، الذي يعجبك حسنه وجماله، والذي يحمي كل ما يلزم حمايته وحفظه والدفاع عنه، وإن ضاع لزم صاحبه اللوم.

---

[1] نفسه : ص43

[2] نفسه : ص43

[3] نفسه : ص43

[4] نفسه : ص44

[5] الخنساء : ديوانها المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص51

[6] نفس المصدر السابق : ص 52

[7] نفسه : ص 56

يا لوعة بانت تباريحها تقدح في قلبي شجا كالشرار[1]

وفجيعة الخنساء بفقدها صخر حزينة مؤلمة تتضح وتبين آثارها وآلامها التي تشتعل في قلبها حزناً كالنار يشعل فؤادها وتتطاير شرراً، كناية عن كثرة وشدة الحزن واللوعة والفجيعة بمن فقدت.

عيني جودا بدمع غير منزور و أعولا إن صخراً خير مقبور[2]

ترجو الخنساء من عينيها : أن تجود عينيها بدمع غير قليل وصياح عينيها كلاهما يظهر كناية شدة الألم والحزن على خير من قبر في الأرض وهو صخر.

وفارس الخيل وافته منيته ففي فؤادي صدع غير مجبور[3]

فارس الخيل: كناية عن موصوف وهو صخر الذي كثير الخروج للمعارك والشدائد منها.

التقاه الموت وأثّر ذلك على الخنساء وأحدث فقد صخر في فؤادها شق نفت عنه عدم العلاج – في قولنا انعدم علاج شقّ بفؤاد الخنساء – وفيها شدة للحزن والألم عليه..

يذكرني طلوع الشمس صخر وأذكره لكل غروب شمس[4]

إنني أذكر صخرا، كلما طلعت الشمس أو غربت، أي دائما، وهذا ما يدل على شدة حزنها عليه .

فقد ودّعت يوم فراق صخر أبي حسّان لذّاتي وأنسي [5]

إن اليوم الذي فقدت فيه صخرا وكنيته أبو حسّان، كذلك ودّعت فيه اللذة والإنس وهذا تصوير لشدة الحزن والألم لهذا الفقد العظيم .

وما يبكون مثل أخي ولكن أسلّي النفس عنه بالتأسي[6]

وليس بين النسوة من تبكي أخاها الذي وافته المنية في نفس اليوم أو قبل أيام، ولكني بكائي تسلية محزنة عليه .

تغدو علينا فتأبى أن تزايلنا للخير فالخير منّا رهن أرماس [7]

وتوصل الخنساء ذكر محاسن أخيها معاوية : إن المنايا تباكرنا، فلا تفارقنا، فإذا بالفارس تلو الفارس منّا يقتل، ويغدو في القبر .

أبقى لنا كلّ مجهول وفجّعنا بالحالمين فهم هام وأرماس[8]

وتقول الخنساء : بفقد صخر أخي، لم يتبق لنا إلا المجهول والفجيعة، شدة الحزن، وقولها بالحالمين ، وهم من الرجال السادة .

---

[1] نفسه : ص58
[2] نفسه : ص 55
[3] نفسه : ص 56
[4] نفسه : ص68
[5] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص68
[6] نفس المصدر السابق : ص68
[7] نفسه : ص67
[8] نفسه : ص69

ألا يا عين ويحك أسعديني لريب الدهر و الزمن الغضوض[1]

ألا تسعديني بالبكاء على صخر فالويل لك فسعادة الخنساء ترحمها وتوجعها على صخر، وألمح هنا قمة الحزن الذي وصلت إليه الباكية الراثية الرائعة بشعرها وشعورها – ألا تبكي لمصائب وصروف الدهر و كثرة مصائبه، وتقول ذلك لقلقها واضطراب نفسها – في زمن قاسٍ شديد بملماته، صفات .

ففيضي بالدموع على كريم رمته الحادثات ولا تغيضي [2]

أكثري دموعك ولا تصبحي شحيحة، كناية عن كثرة البكاء التي تدل على كناية أخرى وهي شدة الحزن – على كريم : كناية عن صفة، وهو صخر: الحادثات : المصائب أي ابكي ولا تعوزي وتصيري شجية دون دموع.

فقد أصبحت بعد فتى سليم أفرج هم صدري بالقريض [3]

فبعد أن فقدت (فتى سليم) كناية عن موصوف وهو صخر أفرج عن قلقي وحزن قلبي الذي هو في صدري كناية نسبة (قلق وحزن) متعلق بقلب الخنساء) بالقريض وهو الشعر.

أسائل كل والهة هبول يراها الدهر كالعظم المهيض[4]

أسأل كل باكية حزينة كناية عن شدة اللوعة والحسرة والتي فقد ولدها إلى أن أصبحت ضعيفة منكسرة بما فعل الدهر بها كناية عن الضعف والخور.

أبى طول ليلي لا أهجع وقد غالني الخبر الأشنع[5]

رفض طول ليل الخنساء نومها وقد منعني وأعجزني خبر وفاة صخر قبح وهنا تتضح كناية شدة حزن الخنساء وعجزها.

فقمت وقد كادت لروعة هلكه وفزعته نفسي من الحزن تتبع [6]

وفور سماع الخنساء نبأ وفاة صخر أصيبت بحزن حتى كادت تزهق روحها وتتبع أخيها في قولها (روعة هلكه) فزعة وخوف مماته كناية نسبة.

فابكي ولا تسأمي نوحاً مسلّبة على أخيك رفيع الهم والباع[7]

البكاء يجب أن يكون كثيراً لشدة حزني على أخي صخر والنوح مكثار، والدموع على رجل وصفت همه وباعه بالرفعة والسمو .

وداهية جرها جارم تبين الحواضن أحمالها [8]

الداهية : المصيبة . جرّها سببها، جارم : مجرم . تبيل : تسقط الحواصن

رب بلاء عظيم ومصيبة فادحة تكاد لهولها تسقط الحوامل كان قد جرها فتى مجرم على أهله (كفاه معاوية شرها)

---

[1] نفسه: ص71

[2] نفسه: ص71

[3] نفسه : ص 71

[4] نفسه : ص71

[5] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص73

[6] نفس المصدر السابق : ص72

[7] نفسه : ص74

[8] نفسه : ص94

فقد فجعت بميمون نقيبته جمّ المخارج ضرار ونفّاع [1]

حزنت وألمت بموت صخر صاحب الطبيعة الحسنة المحمودة، وجمّ المخارج أي أن عطاياه جمّة موفورة جزيلة وضرار لمن يعاديه يسومه ويفتك به ونفاع لمن يبتغي نواله وعطاء الله – صفتان.

وابكي على عارضٍ بالودق محتفل إذا تهاونت الأحساب رجّاف[2]

وابكي على صخر الموصوف بالسحاب الممطر الذي يحتفل بمطره إذا ادلهمت الأمور وألمت الفظائع بحسبه فهو سحاب هتون معطاء بوفرة وسخاء عن صفة.

وأبكي على من كان سخيا كالمطر، ومن كان يزينه نسبه الشريف .

يا لهف نفسي على صخر وقد لهفتوهل يردن خبل القلب تلهيفي[3]

يا حزن نفسي على صخر وقد يئست وحزنت كثيراً على صخر إلى أن ذهب وضاع قلبي كناية عن شدة حزنها وتستنكر باستفهام هل حزنها وقلقها ولهفتها الحارقة ترد إليها قلبها المفقود ؟.

مرهت عيني فعيني بعد صخر عطفه[4]

فدموع العين منى فوق خدي وكفه

ذابت وحنت عينا الخنساء اللتان هما بعد موت صخر شفوقتان مولعتان لينتان لغزارة الدموع فيهما.

ودموع عينيها سائلة وراشحة على خديها كناية صفة شدة الحزن والبكاء ووصفها للدموع وهي متعلق بالموصوف (الخنساء) بقولها وكفه، سائلة راشحة .

إني تذكرني صخراً إذا سجعت على الغصون هتوف ذات أطواق[5]

إذا ناحت سجعاً وتغريداً مسموعاً هتوف وهي صفة للحمامة ومثلها ذات أطواق ملونة تتذكر صخراً المفجوعة فيه كناية عن شدة حزنها وألمها عليه.

إني لأذكر صخرا، كلما غنت على الأغصان حمامة بصوتها المرتفع .

إني سأبكي أبا حسان نادبةً مازلت أبكي في كل إمساء وإشراق [6]

تقول إنها ستبكي أبا حسان كناية موصوف وهو صخر باكية ومعددة مناقبه وبكائي مستمر مساء صباح وهنا كناية عن شدة حزنها وارتباطها بصخر ارتباط نفسي وثيق.

إنني سأبكي صخرا بصوت مرتفع في كل ساعة من صباح ومساء . دائما .

أبكي على هالك أودى فأورثني عند التفرق حزناً حرّه باقٍ[7]

أبكي على صخر الميت الذي بوفاته ورثت بفراقه حزناً حاراً لا يبارحني وأراها فقد وصفت حزنها بحرارة باقية غير مفارقة إياها، ووصفت الحزن ببقاء حرارته عليها.

تجيب عن التساؤل في البيت السابق وهو :

---

[1] نفسه : ص74

[2] نفسه : ص76

[3] نفسه : ص77

[4] نفسه : ص77

[5] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص81

[6] نفس المصدر السابق : ص81

[7] نفسه : ص81

ما بال عينك منها الدمع مهراق سحّا فلا عازب منها ولا راق [1]

قائلة : إن عيني تبكي على ميتٍ ذهب.وترك لي بموته حسرة وحزنا ناره لا تهدأ أبدا .

تبكي لفرقته عين مفجعة ما إن يجف لها من ذكره ماقي [2]

تبكي لفراق صخر عين حزينة لا تجف مدامعها من الحزن عليه .

وقولي إن خير بني سليم وفارسهم بصحراء العقيق [3]

وقولي في بكائك : إن خير رجال بني سليم وأكثرهم كرما قد رقد رقدته الأخيرة في صخرا العقيق، صفة .

ولكني وجدت الصبر خيراً من النعلين والرأس الحليق [4]

إشارة إلى النعل التي كانت الخنساء علقتها بخمارها، وهي محلوقة الرأس كناية عن ألمها وكثرة حزنها وفجيعتها على أخويها صخر ومعاوية – وكانت تطوف بالكعبة وهي تبكي وتلطم خديها نادبة، ورآها عمر بن الخطاب على هذه الحال فوعظها فكفت عن ذلك.

تركتني وسط بني علة كأنني بعدك فيهم نقيل [5]

بنو العلة : الذين ولدوا من أب واحد، وليسوا من أم واحدة .

لقد تركتني بين أخوتي من أبي، فصرت بعدك بينهم كالغريبة اللاجئة إلى قوم غرباء عنها .

قد راعني الدهر فبؤساً له بفارس الفرسان والخنشليل [6]

لقد نكبني الدهر وساء ما فعل الدهر – بأخي الذي كان فارساً مقداماً يجيد ضرب السيف في ساحة القتال .

بكت عيني وحق لها العويل وهاض جناحي الحدث الجليل [7]

بكت عين الخنساء على صخر الجود والكرم وحق لها أن تبكي وتتصايح على صخر المناقب والمآثر الجمة وكسرها جناحها الفقد الكبير العظيم كناية عن فجيعتها وحزنها وشدة ألمها.

ذكرت فغالني فنكأ فؤادي وأرّق قومي الحزن الطويل [8]

تذكرت اخويً صخر ومعاوية فأهلكتني ذكراهما ودارت في توسيع جرح فؤادي حزناً وأرقا وألما وفجيعة عليهما كناية صفة – وأتعبت بحزني الطويل عليها عشيرتي التي حزنت طويلاً لفقدها أيضا.

---

[1] نفسه : ص81
[2] نفسه : ص82
[3] نفسه : ص79
[4] نفسه : ص79
[5] نفسه : ص87
[6] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 88
[7] نفس المصدر السابق : ص 86
[8] نفسه : ص86

أيا عيني ويحكما استهلا بدمع غير منزور وعلاّ[1]

تنادي الخنساء عينيها وتقول مخاطبة عينيها الويل والثبور لكما فيضا بالدموع غير القليلة وانهمرا بالدموع الغزيرة ثانية وهنا كناية تواصل الحزن وكثرة بكاءها وأرقها.

يا عين جودي بدمع منك تهمال وعبرة بنحيب بعد إعوال[2]

تأمر الباكية عينها بان تجود بدموع كثيرة غزيرة همولة وغزيرة أي غصّة حلق خانقة ببكاء بعد صراخ وهنا كناية صفة الحزن الأطول الذي يلازم الباكية.

يا لهف نفسي وقد ولهت نفسي إذا التفّ أبطال بأبطال[3]

يا حزن نفسي وتحسرها وقد حزنت وتحسرت عندما يلتقي الأبطال بالأبطال كناية عن اللقاء والحرب وهي تحزن وتتحسر بتذكرها لأخيها صخر.

أعيركم سمعي إذا ذكر الأسىوفي القلب منه زفرة لا تزايله[4]

أأدفع لكم سمعي إعارة مني إليكم عندما يذكر الأسى والحزن والألم فان زفرة الأسى باقية لا تفارق قلبي وصفة وهي شدة الحزن والأسى واللوعة بفقده.

ولما رأيت البدر أظلم كاسفاً أرنّ شواذ بطنه وسوائله [5]

وتتضح في هذا البيت الذي هو في رثاء مرداس زوج الخنساء تتضح براعة الخنساء البلاغية في حسن التعليل، إذ تقول إن كسوف البدر وإظلامه واسترخاؤه وميلانه للمغيب حزناً على فقدي مرداس وهنا كناية صفة الحزن.

وقد كسف البدر لموته، وحزنت عليه شعاب ووديان شوان.

وزال الكواكب من فقده وجللت الشمس إجلالها[6]

لقد كان موته فاجعاً الحزن وشدته، صفة – حتى لقد فقدت الكواكب زينتها لفقده وكسفت الشمس حزناً عليه

وهنا ألمح المزج الواضح بين كناية الصفة وحسن التعليل بإشراك مكونين من الطبيعة في حزنها .

على صخر وأيّ فتى كصخر إذا ما الناب لم يرأم طلاها [7]

إن حزني قد تجدد بموت صخر، ومن أحق من صخر بالحزن، الذي لا يوجد له مثيل، في ليالي الجوع والبرد، حيث تشغل الظبية عن ولدها،من شدة البلاء والبرد.

لئن جزعت بنو عمرو عليه لقد رزئت بنو عمور فتاها [8]

إذا كانت قبيلة بني سليم وبالأخص بنو عمرو بن الشريد قد حزنت وتألمت لموت صخر، فذلك حري بها لأنها قد أصيبت بخيرة رجالها .

أمن ذكر صخر دمع عينك يسجم بدمع حثيث كالجمان المنظم [9]

يسجم : يسيل سجالا

---

[1] نفسه : ص85

[2] نفسه : ص 84

[3] نفسه : ص 85

[4] نفسه : ص96

[5] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص95

[6] نفس المصدر السابق : ص93

[7] نفسه : ص104

[8] نفسه: ص104

[9] نفسه : ص100

الجمان : اللؤلؤ، وحباته المنضودة في العقد
ولذكر صخر أخي الخنساء تسيل دموع عينيها دون انقطاع وكناية الصفة لشدة حزنها واضحة، والنسبة لوصفها الدمع بالسرعة في الهملان والانزراف مثل اللؤلؤ المنضد المتراص في العقد .

ليبكوا حين تشتجر العوالي غداة الروع ساعة مصطلاها [1]

ليبك عليك الجميع وقت الشدة حيث تندلع المعارك، وتشتبك فيها الفوارس بالرماح .

إذا ذكرت نفسي نداه وبأسه تحسّر عنها كل عيش وأنعم [2]

ونفس الخنساء الباكية الحزينة، إذا تذكرت صفتين ملازمتين لصخر هما الكرم والشجاعة، اللتين هما قمّتان سامقتان تنحسر أمامها كل أصناف النعم والعيش كناية صفة .

وأبكي معاوية الفتى وابن الخضارمة القماقم[3]

وأبكي يا عيني على معاوية الفتى القوي المنيع ابن السادة الأشراف الشجعان كناية عن صفة .

إن الشجاة التي حدثتم اعترضت خلف اللها لم تسوغها البلاعيم[4]

و اللها : جمع لهاة وهي اللحم في مؤخرة الحلق،
الخنساء تشير إلى خبر نعي صخر بأنه أصبح كالغصة في حلقها التي اعترضت مجرى الحلق . ولم تستطعمها أو تتلذذ طعمها مجاري الطعام من حلقها، شدة الحسرة واللوعة والحزن على فقدها الجلل .

إني ذكرت ندى صخر فهيجني ذكر الحبيب على سقم وأحزان[5]

لقد ذكرت كرم صخر، نسبة، فتذكرت الأخ الحبيب بحزن ولوعة، كلما جال ذكره في قلبك الموجع، الكرم، الحزن والحسرة صفات .

فأبكي أخاك لأيتام اضرّ بهم ريب الزمان وكل الضر يغشاني[6]

فابكي يا خنساء أخاك الذي كان ملجأ اليتامى المحتاجين: موصوف، الذي أصابهم الزمان نكباته، فقد لحق بي الأذى كله .

وابكي المعمم وابن القائدين إذا كان الرماح لديهم خلج أشطان[7]

ابكي السيد ابن السادة: الذي كان أشجع الرجال في الحرب : صفة.

إفدّيه بحي بني سليم بظاعنهم بالأنس المقيم [8]

أفدي قيسا بكل قبيلتي، بني سليم، الراحلون منهم المقيمون .

سابعاً : الفخر :

---

[1] نفسه : ص105
[2] نفسه : ص100
[3] نفسه : ص100
[4] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص97
[5] نفس المرجع السابق : ص101
[6] نفسه : ص101
[7] نفسه : ص101
[8] نفسه : ص98

جارى أباه فاقبلا وهما يتعاوران ملاءة الفخر[1]

تقول في يوم حدث سباق بين صخر وأبيه، فاقبلا سوياً سابق وسابق وهما يتداولان ثوب الفخر كناية عن صفة الفخر لهما.

نعم الفتى عند الوغى حين التصايح في الغلس [2]
فلأ بكــينك سيدا فصل الخطاب إذا التبس

نعم الفتى مدح وفخر بصخر أين ؟، في الحرب كناية عن قوته وشجاعته وقت صياح المتحاربين في ظلمة حالكة،كناية عن نجدته ومروءته، وهو المتحدث اللبق صاحب الخطاب الفاصل، صفات .

غيث العشيرة كلها الغائرين ومن جلس[3]

فهو الذي يغيث كل العشيرة بكرمه صفة، ممن كان في الحرب ومن تخلّف عنها .

على صخر وأيّ فتى كصخر ليوم كريهة وطعان حلس [4]
أشد على صروف الدهر أيدا وأفصل في الخطوب بغير لبس

يعاودني حزني على صخر، ومن مل صخر ؟ ليوم قتال صعب، ولمواجهة الأبطال وقتالهم .

لقد كان صخر الأقوى على مواجهة الأعداء، وما تأتي به الأيام من بلاء، وهو إلى ذلك الخطيب المفوّه، الذي يفصح في الأمور، دون أن يدع مجالا للغموض والإبهام .

وضيف طارق أو مستجير يروّع قلبه من كل جرس[5]

طارق : اسم فاعل من طرق، مستجير : اسم فاعل من استجار، صخر كان المرتجى للضيوف وطرّاق الليل المستجيرين به أصحاب القلوب الوجلة الخائفة من كل مصيبة أو نازلة .

فبكّي لصخر ولا تندبي سواه فإن الفتى مصقع [6]

فابكي والأمر لعيني الخنساء، على صخر ولا تبكي نادبة غيره لأنه هو الفتى لاذع ذرب اللسان لا يبارى كناية عن موصوف بهذه الصفات التي حملتها (مصقع).

فأبكوا من أجل صخر، ولا تحوّلوا بكاءكم لغيره ن فإن لكل امرئ نهاية محتومة[7]، محتومة[7]، كناية إيمانها وإن كان عقليا .

هو الفارس المستعد الخطيبفي القوم واليسر والوعوع[8]

الفارس المستعد كناية عن صفة الاستعداد دوماً سلماً وحرباً وفي السلم كريم مغداق وفي الحرب شجاع مقدام، وخطيب بليغ في القوم وسهل ولين كناية عن صفة.

---

[1] نفسه : ص 61
[2] نفسه : ص69
[3] نفسه : ص 69
[4] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص67
[5] نفس المصدر السابق : ص 67
[6] نفسه : ص73
[7] نفسه : ص73
[8] نفسه : ص

ألا من لعين لا تجف دموعها إذا قلت أفئت تستهل فتحفل [1]

من لعين الخنساء الباكية النائحة المفجعة المفجوعة ولا تجف دموع عينها كناية عن كثرة العويل والبكاء التي تدورها تتحول إلى كناية الحزن والألم والأرق والقلق – وإذا قلت إنها أبطأت أي توقفت عن البكاء والنحيب فسرعان ما تمتلىء وتفيض دموعها مرات وأخر.

فهبني صبرت، فكيف السبيل لتكفّ عيني عن البكاء ؟ هذه العين التي كلما حسبتها ستهدأ وتكف عن البكاء، عادت لتستعبر وتذرف الدموع .

يا عين جودي بالدموع السجول وابكي على صخر بدمع هموله[2]

يا عين جودي بدمع مستمر دائم وابكي المفقود صخراً بدمع منهمر غزير كناية عن شدة ألمها وارقها وحزنا.

يا عيني أبكي بسخاء بدمعك الغزير، واستمري بالبكاء عليه دون انقطاع .

أبكي أبا حسان واستعبري على الجميل المستضاف النحيل [3]

ابكي على صخر أبي حسان، واذرفي الدموع عبرةً كناية عن صفة الحزن على رجل جميل الفعال كريم الضيافة نحيل جسمه تدل على خدمته لضيوفه دون نفسه وهنا إيثار صفة.

وابكي يا عيني على أخي صخر أبي حسان واذرفي الدمع على الفتى الشجاع المضياف الجدير بكل خير.

نعم أخوة الشتوة حلت به أرامل الحي غداةَ البليل [4]

نزلت مطر في فصل الشتاء وأمحلت الأرض وأجدبتها حيث لا خير ولا زرع وقصد أرامل الحي وضعافه بيت صخر في ذلك الوقت فنعم المقصود صخر وكرم في فصل الشتاء جزيل كناية صفة.

إن أخي صخرا خير من يقصد لتمضية الشتاء في جواره، حيث يكون موضع حسن ظن اللواتي فقدن أزواجهن، وعضهنّ الجوع في ليالي الشتاء الممطرة الباردة .

يأتينه مستعصمات به يعلّن في الدار بدعوى الأليل[5]

مستعصمات، يأتين متمسكات به وبكرمه ويقمن في داره بدعوى المرض والعلة التي أصابتهن لشدة البرد والجوع وكذلك العدم والاعتسار كناية عن صفة.

لقد جاءت إليه الفقيرات، لاجئات إلى حماه، يحميهن ويرعاهن، وهن يطلبن معروفه جهرا، بصوت شاك كالمريض الموجع .

---

[1] نفسه : ص 83

[2] نفسه : ص87

[3] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص87

[4] نفس المصدر السابق : ص87

[5] نفسه: ص87

معاوية بن عمرو كان ركني وصخراً كان ظلهم الظليل[1]

تفتخر الخنساء بأخويها فمعاوية كان حصنها وركنها الحصين الركين وصخر كان ظلهم الظليل (كناية نسبة) حيث وصفت ظل صخر بدوامه وبقاءه ففي معاوية صفة الحماية والتحصن به وفي صخر دوام العطاء والجود، صفات .

وقافية مثل حد السنا ن تبقى ويذهب من قالها [2]

يتحقق قول الخنساء الآن : ذهبت وبقي شعرها، موضوع دراستي الآن، وهنا كناية عن صفة وهي الإيمان لها، ونظرها الثاقب، ورؤيتها الواعية، وتفتخر الخنساء بشعرها إذ تقول إن قافية شعرها جيدة حادة، ومستقيمة مثل حد السيف تبقى يتدارسها الدارسون ويتناولها الباحثون ويفنى صاحبها .

ورب قصيدة لها مضاء وشدة كرؤوس الحراب فإن اتجهت يمينا تفاءل بها وإن اتجهت يسارا تشاءم بها.

فخرّ الشوامخ من قتله وزلزلت الأرض زلزالها [3]

بقتل صخر ومعاوية على الروايتين نشهد سقوط الشوامخ الشواهق العوالي كل عظيم، وأرجفت الأرض إرجافا لفقده كناية عن عظيم الفقد وجلله .

نطقت ابن عمرو فسهلتها ولم ينطق الناس أمثالها[4]

لقد نظمت قصيدة بديعة من السهل الممتنع فرغم طلاوتها لا يقدر أحد على قول مثلها قوة السبك وجزالة اللفظ ومتانة الأسلوب، صفات.

فيا حبذا كوز إذا الخيل أدبرت وثار غبار في الدهاس وفي الأكم [5]

وهذا البيت في كوز بن صخر (كرز) وتمدحه فنعم الفتى كوز عند الحرب، موصوف، عندما تدبر الخيل للمعركة، وتحرك غبار في اجتماع المتقابلين، فيما ارتفع من الأرض، وعلا نقع الأرض كناية عن شدة وشراسة الحرب.

فنعم الفتى كوز، الذي كان يقاتل حين تتأخر الفرسان وتفرّ من ساحة الوغى عند اشتداد المعركة وارتفاع غبارها .

فنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره كويز بن صخر ليلة الريح والظلم[6]

الخنساء تؤكد مدحها لابن أخيها كوز، الذي تهتدي إلى ضوء ناره، وهي صفة ورثها من أبيه صخر كرمه وجوده في إشعال النار ليلا هداية للمارين والطارقين فهو كويز تصغير للتعظيم كنايات صفة وذلك أجود ما يكون عند هبوب الرياح الباردة والظلام حالك دامس .

لقد كان خير فتى لأضيافه، الذين يقصدون منزله، مستنيرين بضوء ناره في الليالي المظلمة الشديدة البرد والريح .

---

[1] نفسه : ص 86

[2] نفسه : ص93

[3] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص93

[4] نفس المصدر السابق : ص93

[5] نفسه : ص98

[6] نفسه : ص98

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية إذا طرقت إحدى الليالي بداهيه [1]

إنني لا اعرف مثل معاوية ذلك الفارس الشهم صفة وخاصة عندما يحتدم غضبه، فيندفع جرأة وإقدام.

إذا نزلت بنا نائبة من نوائب الدهر فإني لا أجد لها مسعفا لنا غير معاوية .

ثامناً : صفات غير مباشرة :

يعدو به سابح نهد مراكله مجلبب بسواد الليل جلبابا[2]

يعدو به، أي بصخر والسابح صفة للفرص السريع، وكذلك النهد، وهو الفرس في أول نهوضه واكتماله، ومراكل الفرس، أو الدابة، مركلاها : الموضعان للقصرين من الجنبين حيث يركلها برجله إذا حرّك الفرس للركض .. وجلبب : عليه جلباب، وهو القميص أو الثوب المشتمل على الجسد كله، وهو الملاءة تشتمل عليها المرأة . وفي البيت كناية عن صفة وهو فرس صخر السريع وقد صورته سريعا كأنما يرتدي الليل جلبابا شمله .

أرج العطاف مهفهف نعم الفتى متسهّل في الأهل والأجناب [3]

الأرج : الطيب الرائحة . والعطاف، جمع عطف وأعطفة، هو الرداء لأنه يلف العطفين .أو هو عطف الرجل نفسه، أي جانبه . ولعل قولها، ارج العطاف، كناية عن تواضعه في أرج العطف، صفة، لا ثانيه، من كبر وزهو . والمهفهف : الضامر البطن، الدقيق الخصر،صفة، نعم الفتى موصوف بالمدح. والأجناب، جمع جنب، وهو الشق والناحية . وقد يكون أجنب وأجنبي، وهو الغريب .

قطعت بمجذام الرواح كأنها إذا خطّ عنها كورها جمل صعب [4]

اجتزت تلك الصحراء على ظهر ناقة سريعة في سيرها، بمجذام الرواح وصفة السرعة للناقة، تظن إذا أنزل عنها رحلها جملا صعب القياد .

أنخت إلى مظلومة غير مسكن حواملها عوج وأفنانها رطب [5]

فنزلت عند شجرة من شجر السرح لم يسبق أن نزل بها أحد قبلك : السبق صفة، يابسة عيدان قدمها وذراعها ورطبة الأغصان : صفة .

فناط إليها سيفه ورداءه وجاء إلى أفياء ما علق الركب [6]

ثم علق على تلك السرحة سيفه ورداءه، وأخذ ركبان الإبل يقصدونها فيفعلون كفعله القدوة وحسن التصرف صفة .

فثارت تباري أعوجيا مصدرا طويل عذار الخد جؤجؤه رحب [7]

ورجع ظافرا : صفة، قد غنم جوادا أصيلا (أعوجيّا موصوف) ربطه إلى جنب ناقته، وهو جواد أعوجيّ، طويل الخدّ : صفة واسع الصدر صفة، واقتران هاتين الصفتين ما هو مقترن بالجواد الأصيل نسبة، رامت الناقة تسابقه ويسابقها .

---

[1] نفسه : ص107

[2] نفسه : ص 19

[3] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 21

[4] نفس المصدر السابق : ص 20

[5] نفسه : ص 10

[6] نفسه : ص 21

[7] نفسه : ص 21

عوان ضروس ما ينادي وليدها تلقّح بالمرّان حتّى استمرت [1]

توضح الخنساء بعض صفات الحرب : وتقول ورب حرب شديدة ومشتعلة، وكل من بها ينادي، وتستمر هذه الحرب شدة وضراوة، وتلتقي فيها الرماح اللدنة والصلبة .

وخيل تنادي لا هوادة بينها مررت لها دون السوام ومرّت [2]

ورب معركة أخذ الفرسان فيها يتحدون بعضهم بعضا للنزال، وقد حمي وطيسها، فلا شفقة ولا رحمة فيها، تصديت فيها للغزاة، فاسترجعت ما غنموا من مواشي قومك وهزمتهم . نصرك وصلاحك صفتان .

الجابر العظم الكسير م من المهاصر والممانح [3]

الجابر، الذي يجبر العظم ويصلحه، والكسير : المكسور، والمهاصر، صفة للأسود التي تهصر العظم، والممانح : صفة للغيث الذي لا ينقطع . الذي يقيل عثرة العاثر، ويجبر العظم المكسور، لكل قريب له، سواء أكانت القرابة من نسب حقيقي أم من الرضاع .

وحماة من يُدعى اذا ما طار عند الموت عارد [4]

العارد: الفار والهارب، والمرتفع، والشديد والغليظ والكبير.

وتفتخر الخنساء بأخيها وقبيلته التي تشكل حصناً يحمي كل من يفر ويهرب عند اللقاء خوفاً من الموت، صفة.

ومعاصم للهالكين وساسة قدماً محاشد[5]

وتوصفهم بأنهم معاصم : جمع معصم وهو من موضع السوار من الساعد وتقصد هنا الشاعر بأنهم ملاجىء آمنة لكل من يلجأ إليهم من هؤلاء الفارين من الهلاك استنجاداً بهم.

وهم متصرفون في الأمور ساسة حُذق يحتشد العامة والخاصة عندهم لأخذ آرائهم ومشورتهم.

ولا شيء يبقى غير وجه مليكنا ولست أرى شيئا على الدهر خالدا [6]

تقول إن كل شيء هالك فلا يبقى غير الله عزّ وجلّ . أما الأحياء فليس فيهم من يدوم ويبقى . صفة الإيمان لديها .

فقد زاح عنا اللّوم إذ تركوا لنا أروما فآراما فماءً بواردا[7]

الأروم: جمع إرم وأرم وهي الحجارة المنصوبة في المفازة ليهتدي بها والآرام الغزلان.

نقول إن اللوم أزيح عنهم وانتفى منهم بعدما تركوا لهم علامات يهتدون بها وغزلان يطعمون بها وماءً سلسبيلا بارداً.

---

[1] نفسه : ص 25
[2] نفسه : ص 26
[3] نفسه : ص 28
[4] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 37
[5] نفس المصدر السابق : ص 37
[6] نفسه : ص 35
[7] نفسه : ص 35

وفي البيت مزيد من التهكم : لعلكم ترضون بأن العدو قد تركوا بعض ما نملك من أراضٍ وعرة المسالك لا يرجع من قصدها سالما .

فأقسم لو بقيت لكنت فينا عديداً لا يكاثر بالعديد[1]

تقسم الشاعرة أنه لو بقي صخر لكان مدة حيائه صاحب الصفات الحميدة الكثيرة المتعددة كرماً وجوداً وأخلاقا وخلقاً وشجاعة وغير ذلك وتظهر منه صفة التواضع أيضا بهذه الصفات ولا يجاهر بها فهذه صفات قل أن نجدها في رجل كرم يتداعى شجاعة ويتوارى تواضعاً.

فلا يبعد أبو حسان صخر وحل برمسه طير السعود[2]

فلا يبتعد أبو حسان كثيراً : كنية لصخر التي صرحت باسمه في البيت، فهو حي عند الخنساء بحميد صفاته – وقد حط بقبره طير السعود وهنا كناية عن سعادته التي تتمناها له وهو ميت.

ونبعةٍ ذات إرنان وولولة ومارن العود لا كز ولا عاد[3]

النبعة: القوس المتخذ من النبع، وهو أقسى الشجو وأصلبه (صفة) وتصفها الشاعر بأنها مصحوبة بصوت مرن مجلجل مولول – ومارن العود: إشارة إلى القوس المصنوع بحذاقة وخبرة – وتظهر الشاعر صفة في الكناية للقوس المستخدم بأنه ليس بضيق ولا بيابس لا ينعطف.

وحمل قوسا من خيرة الأقواس، مع رمح لدن، لا يهتز لصلابته، ولم يتعد الطول المعقول، صفات .

فاليوم أمسيت لا يرجوك ذو أمل لما هلكت وحوض الموت مورود[4]

وقد صرت اليوم وحيدا، لا يأمل رفدك المحتاجون، بعد فاتك وهذا شأن الدنيا، فالموت نهاية محتومة لكل حيّ ، وتستبين صفة الإيمان لها بقولها وحوض الموت كلنا واردوه.

رهين بلى وكل فتى سيبلى فأذري الدمع بالسكب المجود[5]

صخر رهين بلى: البلى الموت فقد وصفته بأنه أصبح رهين الفقد والموت وهنا نسبت الشاعر البلى لما هو متعلق بصخر عند فقده وأخفت الخنساء صفة الإيمان لنفسها في قولها:(وكل فتى سيبلى) وتأمر عينها بأن تجود وتسكب غدير الدمع عليه ، كناية عن شدة الحزن عليه .

جانحات تحت أطراف القنا باديات السوق في فجّ حذر [6]

يمشين منكسات الرأس مسبيات، يسرعن مكرهات وهن فاقدات اللب .

وعلا هتاف الناس أيهما ؟ قال المجيب هناك لا ادري[7]

ولا ادري تبين أنهما لقوتهما وشدة خبرتهما بالسباق لم يتبين المجيب أيهما السابق عندما علا هتاف الحاضرين – شدة التنافس، كناية صفة.

---

[1] نفسه : ص38

[2] نفس المرجع الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان : ص38

[3] نفس المصدر السابق : ص 36

[4] نفسه : ص 39

[5] نفسه : ص38

[6] نفسه : ص 54

[7] نفسه : ص42

معاذ الله ينكحني حبركى قصير الشبر من جُشم بن بكر[1]

الحبركى: قصير القامة الرجلين غير المنسجمين مع ظهره الطويل.

تقول: لا والله لا ولى ينكحني رجل يحمل صفة قصر رجليه غير منسجمتين مع ظهر طويل من قبيلة جشم بن بكر وهي كناية صفة لدريد بن الصمة.

إنما أعوذ بالله، أن أفعل ذلك، فأرزق بولد قصير الرجلين قد ورث ذلك آل جشم بن بكر .

دهتني الحادثات به فأمست علىّ همومها تغدو وتسري[2]

كأن هموم المصائب في رواحها صباحاً وسيرها ليلاً، شدة ملازمتها للخنساء فنجدها تصف (هموم المصائب) وذلك لشدة حزنها ولوعتها بفقدها صخر .

فجعتني به نوائب الدهر، فصارت الهموم تعتادني في الصباح والمساء .

وتستفرغان الدمع أو تذريانه على ذي الندى والجود والسيد الغمر [3]

استفراغ الدمع : سكبه . إذراء الدمع : صبه بسرعة . النهى العقل . الحكمة . النائل الغمر : العطاء الوفير .

إن كنت عن وجدك لم تقصري وكنت في الأسوة لم تعذري [4]

إن كنت لم تكفي عن حزنك وتدعي البكاء والجزع، ولم تتأسي بالذي قد سلوا أعزاءهم، فتجدي لنفسك عذرا بتقليدهم .

لمزرئة كأن الجوف منها بعيد النوم يشعر حرّ جمر [5]

أبكي يا عيني، لمصيبة حلّت بنا، فبت أحس كأن نارا تستعر في جوفي فتحرمني الرقاد .

تروي سنان الرمح طعنته والخيل قد خاضت دماً يجري[6]

فطعنة صخر ارواءً لسنان الرمح والخيل تخوض دماء الحرب الجارية وهنا كناية عن صفة الخبرة والدربة والتجربة ومايستخدم في الحرب من رمح وسنان وسيف الخ.

مثل الرديني لم تنفد شبيبته كأنه تحت طيّ البرد أسوار [7]

مثل الرمح : كناية عن حدة قامته .

تنفد شبيبته : يخلص شبابه .

كانت له قامة مستقيمة طويلة كالرمح، شابا، يبدو وقد طوى ثوبه على جسمه، قليل اللحم كالسوار، كناية عن فتوته وعدم ترهّل جسمه .

شدوا المآزر حتى يستدف لكم وشمروا إنها أيام تشمار[8]

شدوا المآزر كناية عن الخوف مما ينتظرهم من صخر، ويستدف: يحلق لكم بالموس وكناية الصفة في أنها تعيرهم بالجبن والصغار.

---

[1] نفسه : ص 62

[2] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 62

[3] نفس المصدر السابق : ص 46

[4] نفسه : ص48

[5] نفسه : ص 41

[6] نفسه : ص50

[7] نفسه : ص45

[8] نفسه : ص 52

استعدوا للحرب، حتى تبلغوا حاجتكم، وجدّوا في أمركم، فالوقت وقت جدّ لا تقاعس فيه . وقولها شدّوا المآزر : كناية عن الاستعداد .

ولا أسالم قوما كنت حربهم حتى تعود بياضا جؤنة القار [1]

ولن أصالح أو أهادن من كنت لهم خصما، حتى يصبح لون القار أبيضا، أي أبد الدهر .

تجيش منه فويق الثدي جائفة بمزبد من نجيع الجوف فوّار[2]

وتقول إن له طعنة نجلاء واسعة بالرمح أو السيف ولإثرها يفيض الدم بغزارة وقد بلغت الطعنة الجوف حتى انهمر الدم بكثافة وفوران كناية عن خبرة صخر في ساحة الحرب.

تجيش : تغلي وتقذف بالزبد . نياط الجوف : أحسبها نياط القلب، وهو عرق غليظ يصل القلب بالرئتين. ويدعى الشريان الأبهر .

يردي به في نقعها سابح أجرد كالسرحان ثبت الحضار[3]

يردي: يلقى قتيلاً في نقع الحرب غباره وسابح كناية عن صفة السرعة وسابح صفة في الفرس السريع وقد وصفت أخيها على سرعته بأنه طيّع في استخدامه لأدوات الحرب فرساً وسيفاً فكأنه ذئب أكول لأعدائه بسيفه... صفة.

فكل حي صائر للبلى وكل حبلٍ مرة لاندثار[4]

تقول الخنساء إنها وقد فقدت أخاها صخراً، فكل حي سيبلى وكل حبل سيبلى وينقطع فلا جديد على الأرض، كناية عن صفة وهي الإيمان .

كلنا والأعمار تخضعنا زيفاً وحوض الموت مورود.

نسبت الخنساء فيه كناية عن قوة إيمانها برغم حزنها وبكائها.

وهم في القديم أساة العديم والكائنون من الخوف حرزا[5]

وقبيلة الشاعرة في سابق عهدها كانوا المعالجون والمداوون لكل معدم فقير حال، بما يجودون به عليه وكذلك كانوا يمثلون له الحصن من الخوف والروع ويأمن جانبهم بوجوده معهم وبوجودهم عوناً له .

وخيل تكدّس بالدارعين وتحت العجاجة يجمزن جمزا [6]

ورب خيل كانت تتقدم إلى حومة الوغى بفرسانها،وهي تتواثب تحت غبار الحرب وثبا لنشاطها، وتباهي فرسانها بأنفسهم، صفة النشاط .

نعف ونعرف حق القرى ونتخذ الحمد ذخرا وكنزا [7]

ونلبس في الحرب نسج الحديد ونسحب في السلم خزّا وقزّا

نحن كرام النفس نترفع عن الصغائر، ونعرف واجبات الضيافة، ولا نحافظ على شيء قدر ما نحافظ على الثناء وإبقاء الذكر الحسن . وفي الرواية الثانية يكون

---

[1] نفسه : ص 52
[2] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 53
[3] نفس المصدر السابق : ص58
[4] نفسه : ص59
[5] نفسه : ص 65
[6] نفسه : ص 65
[7] نفسه : ص 66

معنى البيت : إننا نكرم الضيوف، ونحافظ على حقوق الجيران، ونبقي لنا الذكر الحسن.

ذا مرة ومهابة بينا نؤمله اختلس [1]

تصف الخنساء صخرا : إن صخرا صاحب طبيعة تغضب لكل مهانة وظلم كناية صفة رفعة وشموخ لا خسة وجبن، وكنا نؤمل فيه الكثير ولكنه خطف من بفقده هذا .

يذر الكميّ مجدلا ترب المناخر منقعس [2]

الكمي : وهو الفارس المقنع والمزوّد بالحديد والسلاح، تقول : إن صخرا يترك الفارس على اكتمال عدة حربه طريح الأرض وقد جعل أنفه مضرجة بالدم والتراب كناية عن الظفر أولا، ثم الذل والخنوع للفارس الذي التقى صخرا .

أرى الدهر يرمي ما تطيش سهامه وليس لمن قد غاله الدهر مرجع[3]

ترى الخنساء أن الدهر يرمي بسهام غير طائشة، وأراها قد نفت الطيش عن سهام أثبتتها للدهر، وتعني مصائب الدهر لا تخطيء إنسانا قصدته فلا بد انه مصاب ولا يعود من أهلكه الدهر كناية عن صفة الإيمان للشاعرة نفسها. إنني قد علمت بخبرتي أن سهام الدهر لا تخطئ مرماها، ولا أجد لمن أبتلاه، الدهر، مهربا يلجأ أليه لينجو من بلواه .

فمن يقري الأضياف بعدك إن هم فناءك حلّوا ثم نادوا فأسمعوا[4]

فمن للأضياف يطعمهم من بعدك، إذا نزلوا بساحتك : صفة، وتصايحوا مستغيثين ؟! التفرد الخصوصية صفات .

لا تكذبن فان الموت محترم كل البرية غير الواحد الباقي [5]

لا مجال للكذب هنا فإن الموت يصيب ويهلك كل الخلق فلا يبقى غير وجه ربك ذي الجلال والإكرام كناية عن صفة وهي قوة الإيمان للشاعرة.

فليخلد ذكرك لن الموت سيهلك جميع المخلوقات، غير الله الواحد ن الدائم وحده .

فلا وأبيك ما سلبت صدري بفاحشة أتيت ولا عقوق [6]

تقول : والله لم أستطع أن أطيب نفسي وأعزيها بتذكري كلمة أساءت إليّ من كلامه لا بقطيعة رحم صدرت منه ، صفتان : العفة و التراحم والتكامل .

إذا ما الحرب صلصل ناجذاها وفاجأها الكماة لدى البروق[7]

إذا اشتدت أوزار الحرب وكشرت عن أنيابها وفي قولها (صلصل ناجذاها) كناية صفة أي أحدثت نوائب الحرب صليلاً. وفيها صفة شدتها وقوتها والناجذان النابان من الأسنان والكماة الفرسان، والبروق لالتقاء الأبطال كل بسيفه.

---

[1] نفسه : ص 69

[2] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 69

[3] نفس المصدر السابق : ص75

[4] نفسه : ص72

[5] نفسه : ص 81

[6] نفسه : ص79

[7] نفسه : ص 80

ليس بخب مانع ظهره لا ينهض الدهر بعبء ثقيل[1]

إنه يفي بوعوده، صفة، صادق، لا يغدر بمن استأمنه أمين صفة، ولا يتهرب من تحمل المسؤوليات الجسام التي تلقى على عاتقه، كدفع الدّيات، وقضاء الحقوق .

ولا بسعّال إذا يجتدى وضاق بالمعروف صدر السعول[2]

السعّال إذا يجتدى : البخيل . وترعم العرب أن البخيل يسعل ويتنحنح إذا سئل طلبا للمعذرة وإلى هذا أشار طرفة بن العبد البكري . بقوله :

أرى قبر نحّام بخيل بماله كقبر غويّ في الضلالة مفسد

النحام : البخيل الذي يتنحنح طلبا للإقالة من الطلب .

وهي تعني : وليس بذلك البخيل الذي يتنحنح ويسعل، إذا طلب معروفه، ولا يضيق صدره بقضاء الحاجات كما يفعل البخلاء من الرجال ، صفات .

بالسيد الحلو الأمين الذي يعصمنا في السنة العادية[3]

جاء صوت الناعي يخبر بوفاة السيد الثقة، الذي كان مأوانا في سنوات الجدب، صفات

وفي خاتمة هذا المبحث :

أتحدث عن مدى اهتمام الشاعر العربي واعتدادهِ بإبراز الصفات المختلفة لممدوحه في شعره ، سواء أكانت هذه الصفات حسية أم معنوية ، واستعرض جوانب من هذه الصفات من خلال الشواهد الشعرية التي أوردتها من شعر الخنساء موضوع الدراسة ، واهتممنا بعرض هذه الصفات ودراستها من الناحية البلاغية وتوزيعات كناية الصفة فيها ، ا وذلك لاهتمامنا بإبراز الصفات المتعددة التي امتاز بها مقصود الخنساء ، والتي دائما اعتد الشعراء بإبرازها في أشعارهم والتغني بها لما تحملهُ من قيم خلقية عالية يرتقي المتحلي بها أعلى درجات السمو في نوعيها إن كانت من الصفات الحسية أو الصفات المعنوية له إلا أنهما متداخلتان في شخصه ويصعب الفصل بينهما – فالحسية – تعنى بإبراز كل ما يتعلق بالبطل من الصفات الظاهرة الملموسة ، أي المادية مثل – الطول والضخامة وقوة البنية وجمال المظهر والخلو من العيوب الخلقية مثل الندب في الوجه – ويضاف إليها الصفات المادية الأخرى الموصفة والمعززة لمظاهر البطولة للأبطال مثل الشجاعة المادية وتشمل في – الشباب والطول وخمص البطن وقوة البنية – .

أما الصفات – المعنوية – فهي الدالة على الأشياء غير المحسوسة أو غير الظاهرة – كالكرم والشجاعة والمروءة والإيفاء بالعهود وشرف الأصل والقيادة وخبرة الحرب والسيادة والصبر .

وأما فيما يتعلق بالصفات المادية والحسية الأخرى التي ذكرتها الخنساء في مراثيها لأخيها صخر والتي تقترن بشجاعته فتتضمن – الطول والنحافة وخمص البطن وعرض الكتفين وقوة البنية – وذلك باعتبارها من أعمدة الجمال التي تكمل صورة الفارس البطل ، ولارتباط فكرة الطول بالفروسية وجدنا الخنساء تقرن طول صخر

---

[1] نفسه : ص87

[2] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص88

[3] نفس المصدر السابق : ص108

بطول الرمح أو بطول خمائل السيف لتعزز بها الصورة البطولية الفذة لأخيها صخر .
ونحن في هذا البحث نهتم بتوضيح من استشفيناه من الصفات الحسية والمعنوية التي امتاز بها صخر ومعاوية في شعر الخنساء ، انطلاقاً من أشعارها التي عرفت عنها في رثاء أخيها صخر ، والتي امتازت بوصف هيئتهِ ، فتغنت بصفاته الخلقية بشكل لا تترك معهُ زيادة لمستزيد ، فبرزت من خلالها صفاته سيما صخر على اختلاف أنواعها .

الفصل الرابع (الكناية عن موصوف)

المبحث الأول : التعريف بالكناية عن موصوف مع نماذج

لكناية الموصوف من العصرين الإسلامي والجاهلي

وفيها يصرح بالصفة وبالنسبة ولا يصرح بالموصوف صاحب النسبة، بل يكتفى عنه بما يدل عليه ويستلزمه، كقولنا : أحمد صفا لنا مجمع لبّه، أي قلبه ، فقد صرّح بالصفة وهي " مجمع لبّه "، وصرح بالنسبة وهي " إسناد الصفاء إلى مجمع اللب "، ولم يصرح بالموصوف الذي هو القلب، بل ذكر مكانه وصفا خاصا به، وهو كونه مجمع اللب .

وكقول امرئ القيس يكني عن صاحبته :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

و(بيضة خدر) كناية عن موصوف، وهي المرأة صاحبة الخدر .

عامر بن واثلة[1] :

على صلويه مرهفات، كأنها قوادم، دلّتها نسور، نواشر

الصلوان : ما عن يمين الذنب وشماله، والمرهفات : الرماح كناية عن شدتها ورقتها، والنواشر : التي نشرت أجنحتها

ومن ذلك قول يكني عن الحرب بأم قسطل في قوله :

فإن تبتئس بالشنفرى أم قسطل لما اغتبطت بالشنفرى قبل أطول

فالقسطل : الغبار، وأم قسطل هي الحرب التي تثير الغبار لكثرة حركة الفرسان على خيلهم وهي تضرب بأرجلها الأرض .

ومن ذلك وصف أبي نواس للخمر :

فلما شربناها ودبّ دبيبها إلى موطن الأسرار قلت لها : قفي

مخافة أن يسطو عليّ شعاعها فيطلع ندماي على سري الخفي

فالكناية في البيت الأول في قوله : " موطن الأسرار " ويريد به القلب . لقد صرح أبو نواس بالصفة وهي "موطن الأسرار "، وصرح بالنسبة وهي : إسناد الدبيب إلى موطن الأسرار، ولم يصرح بالموصوف وهو (القلب)، بل ذكر مكانه وصفا خاصا به، وهو كونه موطن الأسرار[2] .

والكناية عن موصوف نوعان[3] :

1- النوع الأول : ما يكنى فيه عن الموصوف بمعنى واحد كما في الأمثلة السابقة، وكما في قول الشاعر :

الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان

فقد كنى بمعنى واحد هو " مجامع الأضغان " عن موصوف هو القلوب .

---

[1] هو أبو الطفيل عامر واثلة بن عبد الله بن عمير بن جابر بن جدّي بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن مضر . انظر الأغاني 13/159-162

[2] محمد ربيع – علوم البلاغة العربية - ص 108 – 109

[3] عبد العزيز قلقيلة – البلاغة الاصطلاحية – ص 110

والمقصودة بوحدة المعنى هنا إنما هي وحدة النوع أو الجنس، وإن كان مثنى أو جمعا . فمجامع الأضغان، وإن كان جمعا، إلاّ انه معنى واحد من حيث أنه جنس واحد من القلوب .

2- النوع الثاني : وهو ما يكنى فيه عن الموصوف بمجموعة معانٍ تتضافر مع بعضها حتى تشكل الموصوف المكنى به وتحضره في ذهن القارئ أو السامع.

الخرنق بنت بدر :

النـازلون بكل مــعترك والـطيبون مــعاقد الأزر

والخالطون لجينهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقر

الطيبون معاقد الأزر (كناية عن العفة)

اللجين : الفضة، النضار : الذهب – يجودون بالذهب والفضة، ويؤاسون الفقراء .

ومثال ذلك قوله تعالى : (**أو من ينشأ في الحلية وهو الخصام غير مبين**)[1] .

لم يعبر الله سبحانه وتعالى عن البنات بمعنيين، ولكنهما مختلفان ومتكاملان ويؤديان إلى المكنى عنه بهما في الآية الكريمة، وهو الإناث في مقابل الذكور[2] .

عبد الرحمن بن مسافع بن دارة[3] :

وإن شفاء النفس لو تسعف المنى ذوات الثنايا الغر والحدق النجل

أولـئك أن يمـنعن فالـمنع شيمة لـهـن وإن يعطين يحمدن بالبذل

يقول الشاعر : تشفى نفسه إن تحقق مناه من صاحبات الأسنان البيض والأعين النجل الواسعة، ولكن عفتهن تمنعهن عن ذلك ولكني أحب أن يعطينني بذلا محمودا منهن .

وفي كناية الموصوف تذكر الصفة، ويستر الموصوف، مع أنه هو المقصود ومثاله[4]:

ودبّت في موطن الحلم علة لها كالصلال الرّقش شر دبيب

فموطن الحلم كناية عن القلب أو الصدر[5] .

وذلك بأن يذكر في الكلام صفة أو عدة صفات لها اختصاص ظاهر بموصوف معين، ويقصد بذكرها الدلالة على هذا الموصوف كما في قول المتنبئ عن المرأة والرجل :

ومن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضاب

فحمل القناة من خصائص الرجل، وخضاب الكف من خصائص المرأة [6].

وقول البحتري في وصف طعنة أصاب بها ذئبا :

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد

أضللت : غيّبت – النصل : حديدة الرمح والسهم .

ودّاك بن ثميل المارني[7] :

---

[1] المصحف : سورة الزخرف الآية : 18

[2] محمد ربيع – علوم البلاغة العربية ص 110 - 111

[3] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني :ج21ص164 – 165/ تحقيق: د. إحسان عبّاس، د. إبراهيم السعافين، أ. بكر عبّاس

[4] علي جميل سلوم و حسن نور الدين، (الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل) : ص 163

[5] نفس المرجع ص 163

[6] بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم البيان : دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص 244 - 245

[7] الخطيب التبريزي أبو زكريا يحيي بن علي ، شرح ديوان حماسة أبي تمام، : ج1ص102

تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم على ما جنت فيهم يد الحدثان
مقاديم وصّالون في الروع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يمان
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأي حرب أم بأي مكان

أي هم كثيرو الإقدام في الحرب والروع، وأصله الفزع، وسميت روعا لما فيها من الفزع ويستخدمون السيوف اليمانية رقيقة الحدين لقطعها .كناية عن موصوف، وينصرون من يستنجد بهم وذلك لحرصهم على الحرب، أي إذا استنصرهم صارخ ودعاهم لم يطلبوا عله يتأخرون بها .

بسطام الشيباني [1]**:**

أَخلاقُهُ شَهدٌ لِطالِبِ رِفدِهِ لَكِنَّهُ يَومَ الكَريهَةِ حَنظَلُ

أخلاقه تشهد له عندما يأتيه من يطلب جوده ونواله كرما منه ، وفي يوم الكريهة موصوف الحرب، فهو مر علقم .

ومن ذلك قولهم في الكناية عن الخمر " أم المصائب " لشهرة الخمر عند العقلاء بجلب المصائب وتوليد الكوارث .. وفي الكناية عن النساء " ذوات الخلاخل " وفي الكناية عن الدينار : الأصفر الرنان . وفي الكناية عن الصدر : موطن الحلم، وعن اللغة العربية بأنها لغة الضاد [2].

وقولهم في الكناية عن السفينة : " ابنة اليم " لملازمتها ماء البحر ....

كما يكنى عنها بذات الألواح والدسر، قال عزّ وجلّ :(وحملناه على ذات ألواح ودسر) [3]

كنى عن السفينة بذات الألواح والدسر ...ونلاحظ في هذه الشواهد و الأمثلة المذكورة أن الصفة أو الصفات التي صرح بها لها مزيد اختصاص بالموصوف الذي كنى به ولازمة لمعناه، وواضحة الدلالة عليه ولذا صاغ الكناية بها عنه ...[4]

.

المثلّم بن رياح [5]**:**

تصيح الردينيّات فينا وفيكم صياح بنات الماء أصبحت جوّعا

خلطنا البيوت بالبيوت فأصبحوا بني عمنا من يرمهم يرمنا.

تصلّ السيوف صليلها في الحرب فينا وفي عدوّنا معا لصياح الواردات الجائعات فاختلطنا فالذي يعادي أبناء عمومتنا يعادينا .

وكما تقول : روعنا حيّ منتفش اللبدة، رهيب الزئير، وهذه مجموعة معان [6]، ولكنها وصف خاص بموصوف واحد هو الأسد، ومصل ذلك ما نقوله عن الغراب،

---

[1] ? - 10 ق. هـ / ? - 612 م
بسطام بن قيس بن مسعود ذي الجدين بن قيس بن خالد الشيباني.
سيد شيبان، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهلية ويضرب به المثل في الفروسية يقال (أفرس من بسطام) ويقال (أغلى فداءً من بسطام بن قيس) إذ أسره عيينة بن الحارث فافتدي بأربعمائة ناقة وثلاثين فرساً.
أدرك الإسلام ولم يسلم. وقتله عاصم بن خليفة الضبي يوم الشقيقة (بعد البعثة).
قال الجاحظ: بسطام أفرس من في الجاهلية والإسلام.

[2] بسيوني عبد الفتاح : علم البيان : ص 245

[3] المصحف : سورة القمر الآية : 13

[4] بسيوني عبد الفتاح : علم البيان : ص 246

[5] نفس المرجع ص : 291

[6] بأن تؤخذ الصفة إلى لازم آخر لتصير جملتها مختصة بموصوف فتوصل بذكرها إليه، ومجموع المعاني هذه تسمى بعيدة وذلك لتعدد الوسائل، أما القريبة فسميت بذلك لسهولة المأخذ والانتقال فيها لبساطتها واستغنائها عن ضم لازم إلى آخر وتلفيق بينهما .

راعنا مخلوق حديد البصر، شديد الحذر خفي السفاد، وهذه مجموع أوصاف تختص بالغراب .
وفي الكناية عن مرض "البرص" كنى عنه بالوضح، والبرش، والبياض، " ولما برص بلعاء بن قيس قيل له : ما هذا ؟ فقال : سيف الله جلاه[1] .
" وكان رجل أبرص اليد يخضبها، لتكون أخفى لما بها، فسئل غلامه عما يصنع، فقال : يداوي العاج بالزاج [2].
وفي الكناية عن الخط الردئ يقال : " فلان خطه خط الملائكة، وخط الملائكة غير واضح للناس، قيل ذلك، لأن أردأ الخط الرقم، وخط الملائكة رقم، كما قال الله تعالى: (كتاب مرقوم يشهده المقربون) [3] .
وفي الكناية عن اللقيط " يقولون هو من تربية القاضي، ومن موالي النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأن القاضي يأمر بتربية اللقطاء، والإنفاق عليهم، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا مولى من لا مولى له . "[4]
ونحن نتعلم ونفهم العربية ونعرف أسرارها من كتاب الله عز وجل فمن هذا قوله تعالى يعلمنا الحياء في قوله تعالى : (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) [5] . قيل أراد أراد فروجهم . ومثل قوله تعالى : (حتى إذا ما جاءوا شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) [6] . وقوله تعالى : (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون)[7].
وفي ذكر الجلود كناية عن الفروج لمباشرتها الفواحش فقد عبّر بالكناية عمّا لا يحسن ذكره أدبا وهذا تهذيب لما يجب أن ننطق به،ورغبة عن اللفظ الفاحش بالتعبير المهذب الذي يدل عليه .
ومن أمثلة الكناية عن موصوف قوله تعالى :(فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم) [8]. فصاحب الحوت كناية عن سيدنا يونس عليه السلام .
واستخدم القرآن الكريم في إظهار حقيقة المصير في سورة المسد في قوله تعالى:(تبّت يدا أبي لهب وتبّ)[9] وقوله تعالى : (وامرأته حمّالة الحطب)[10] فاختار الكنية لأبي لهب[11] . وكنى عن امرأته بحمالة الحطب ، إشارة إلى أن مصيرها النار ذات اللهب، ولأنها كانت تمشي بالنميمة وتشعل نار الفتن .
وقالوا : إن كانت الكناية للتعظيم فما باله كنى أبا لهب وهو عدوه، وسمّى محمدا

---

[1]) عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية : شرح وتحقيق، ص 208، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ط1، 2000
[2]) نفس المرجع السابق ص 208
[3]) المصحف : سورة المطففين الآيتان (20،21)
[4]) عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية: ص 209
[5]) المصحف : سورة فصلت، الآية (21)
[6]) نفس المصدر سورة فصلت الآية (20)
[7]) نفسه سورة فصلت الآية (22)
[8]) نفسه سورة القلم الآية (48)
[9]) نفسه سورة المسد الآية (1)
[10]) نفسه : سورة المسد الآية (4)
[11]) أبو لهب : كان اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى الكنية لما فيه من الشرك، لأن العزى صنم فلم تضف العبودية إلى صنم،ولما كانت النار ذات لهب فقد وافقت حاله كنيته، وكان جديرا بأن يذكر بها، وقد عرف بكنيته فسماه الله بها .

(صلى الله عليه وسلم)، وهو وليّه ونبيّه ؟
والجواب عن هذا : أن العرب كانت ربما جعلت اسم الرجل كنيته فكانت الكنية هي الاسم، وربما كان للرجل الاسم والكنية، فغلبت الكنية على الاسم، فلم يعرف إلاّ بها، كأبي سفيان [1]، وأبي طالب[2]، وأبي ذر[3]، وأبي هريرة [4]"[5] .
ومن الكناية عن موصوف قول عنترة :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرّم

في البيت كنايتان، كناية عن موصوف في قوله حينما أراد بثيابه (قلبه) وقيل نفسه.
ويقول أبو نواس :

تقول التي من بيتها خفّ مركبي عزيز علينا أن نراك تسير

كنى عن امرأته، إذ العادة أن مركب الشخص إذا سافر إنما يخف من بيت امرأته.
وفي قوله تعالى : (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها) [6] .
قيل أراد بـ (أرضا لم تطئوها)، الفروج التي ملكّهم إياها بالاسترقاق فلهذا أحل الوطء .
وللسرى الرفاء : في وصف شبكة الصياد والسمك يقول :

وأعينٍ تأنف من إغضائها صافية الأجفان من أقذائها
تردى بنّات الغدر في ارتدائها يحملها طبّ بجسم دائها

فالبيت الأول كناية عن موصوف (الشبكة) التي لها عيون لا تتدانى جفونها الصافية من القذى، البيت الثاني كناية السمك في قوله (بنات الغُدُر) وأيضا كناية عن الصياد في قوله (طب بجسم دائها) فجعله طبيبا ماهرا خبيرا بداء الشبكة، التي تحبس السمك بدخوله فيها لحظة صيده حيث يكون موته وهلاكه فيحمله الخبير به الماهر بصيده [7]، وفي الكناية عن موصوف تذكر الصفة للتوصل بواسطتها إلى الموصوف، والصفة (ص) المكنّى بها (ب) هي من خصائص المكنّى عنه (ع) المحذوف[8] .
تجري التحولات البنائية في هذا الخط على ثلاث قنوات تحويلية :

1- قناة التحويل الأولى : حضور الصفة .
2- قناة التحويل الثانية : حضور النسبة .
3- قناة التحويل الثالثة : غياب الموصوف .

وشواهدها : قول المعري في وصف السيف :

سليل النار دقّ ورقّ حتى كأن أباه أورثه السلالا

فالموصوف هنا السيف .
وقول الشاعر :

---

[1]) وأبو سفيان اسمه صخر بن حرب .
[2]) اسمه عبد مناف .
[3]) اسمه جندب بن الكن، أو بربد بن جنادة، أو جندب بن جنادة
[4]) اختلفوا في اسمه وأكثروا، فقيل عبد الله، وقيل عبد الرحمن، وقيل عبد عمرو، وقيل عبد شمس، وقيل أكثر من ذلك .
[5]) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن تحقيق د. السيد أحمد صقر، ص 256 - 257
[6]) المصحف : سورة الأحزاب الآية 27
[7]) عائشة حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، ص 211
[8]) عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر ص 506

ولي بين الضلوع دمٌ ولحمٌ هما الواهي الذي ثكل الشبابا[1]

فالموصوف هنا القلب [2].

والذي يعمل على إنتاج الموصوف دون التصريح به، وهنا تكون البساطة والتعقيد مخالفتين لما نعتبره كناية صفة ؛ إذ تكون البساطة مقصودا (وحدة المعنى) أو (المعنى الواحد)، والمراد بوحدة المعنى أن لا توجد هنا أجناس من المعاني، لا ما يقابل التثنية والجمعية، كم إذا اتفق أن للشيء صفة اختصت به ليتوصل بتصورها إلى الموصوف، أي إلى ذاته لا إلى وصف من أوصافه، كقولنا (المضياف) كناية عن (محمد) [3]، أما التعقيد في الذي يتأتى من الوحدة إلى الكثرة على مستوى المعنى، وعلى مستوى التحول، كما نقول كناية عن الإنسان : (حي، مستوي القامة، عرض الأظفار) فإنه لو كنى عن الإنسان باستواء القامة وحده لشاركه غيره كبعض الشجر ؛ إذ المقصود بالاستواء نفس الاعوجاج، ولو كنى عنه (بالحي) لساواه الحيوان من غير الإنسان، ولو كني (بعرض الأظفار) وحده لساواه (الجمل) مثلا، بخلاف مجمع الأوصاف الثلاثة التي يختص بها الإنسان، لكن يلاحظ أن التحول في البنية المعقدة يأخذ طبيعة أفقية لا دائرية كما في كناية الصفة، حيث يتم التحول من العموم على الخصوص على النحو التالي[4] :

الحياة استواء القامة عرض الأظافر الإنسان [5].

ثم الكناية ثلاثة أقسام لأن المطلوب بها إما غير صفة ولا نسبة أو صفة أو نسبة والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت الأولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة فمنها ما هو معنى واحد كقولنا المضياف، كناية عن زيد. ومنه قوله كناية عن القلب :

الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان

ونحوه قول البحتري في قصيدته التي يذكر فيها قتله الذئب:

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد

فقوله بحيث يكون اللب والرعب والحقد ثلاث كنايات لا كناية واحدة لاستقلال كل واحد منها فإفادة المقصود ومنها ما هو مجموع معان كقولنا كناية عن الإنسان حي مستوي القامة عريض الأظفار وشرط كل واحد منهما أن تكون مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه ليحصل الانتقال منها إليه، وكذا قول من يصف راعي إبل أو غنم:

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

وقول الآخر: **صلب العصا بالضرب قد دماها**

أي جعلها كالدم في الحسن، والغرض من قول الأول ضعيف العصا والقول الثاني صلب العصا وهما وإن كانا في الظاهر متضادين فإنهما كنايتان عن شيء واحد وهو حسن الرعية والعمل بما يصلحها ويحسن أثره عليها فأراد الأول بأنه رفيق مشفق عليها لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة فهو يتخير ما لان من العصا وأراد الثاني أنه جيد الضبط لها عارف بسياستها في الرعي

---

[1]) عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر : ص 207

[2]) نفس المصدر السابق: ص 207

[3]) محمد عبد المطلب : البلاغة العربية قراءة أخرى : ص 191

[4]) نفس المصدر السابق : ص 192

[5]) نفسه : ص 192

يزجرها عن المراعي التي لا تحمد ويتوخى بها ما تسمن عليه، ويتضمن أيضاً أنه يمنعها عن التشرد والتبدد وأنها لما عرفت من شدة شكيمته وقوة عزيمته تنساق في الجهة التي يريدها، وقوله بالضرب قد دماها تورية حسنة [1]، وفي هذا النوع من كناية الموصوف يهتدي إليها طبع النفس في كيفية تصور الصفات أو طريقة إلباسها للموصوفين .

وكان الخطيب القزويني حذراً في التعبير عن هذا القسم، فقد تحاشى أن يطلق على هذا القسم الكناية عن الموصوف، وإنما قال أن المطلوب بالكناية أما أن يكون صفة ولا نسبة أو صفة ونسبة، وقال الدسوقي ك لو قال المصنف المطلوب بها الموصوف، لكان أحسن، وذكر بعض المحققين أنه أراد ما هو أعم من الموصوف ولذلك ترك الأخصر وهو أن يقول الموصوف ، ومن أشهر ما يذكرني في هذا الباب كناياتهم عن المعاني المكشوفة التي ينبو عنها الذوق الإنساني كما في قول امرئ القيس[2] :

فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا ورضت فذلت صعبة أيّ إذلال

وحين يتحاشى الشاعر ذكر المرأة في سياق تكره النفس أن تذكرها فيه كما ترى فيما ذكره ابن قتيبة من أن رجلا كتب إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في شأن النساء اللائي كان المجاهدون يخلفونهن لم يرع بعض المجّان حرمة بيوت هؤلاء المجاهدين قال الرجل لسيدنا عمر :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخي ثقة إزاري
قلائصنا هداك الله إنا شغلنا عنكم زمن الحصار
فما قلص وجدن معقلات قفا سلع بختلف النجار
يعقلهن عبد شيظمي وبئس معقل الزود الظؤار[3]

قال ابن قتيبة وإنما كنى بالقلص وهي النوق الشواب عن النساء وعرض برجل يقال له كان يخالف إلى المغيبات من النساء ففهم عمر ما أراد، وجلد جعدة ونفاه، وقد نقل ابن رشيق هذه الأبيات وتعليق ابن قتيبة عليها [4] .

وقد يكنون عن الصاحبة بما يستملحون من الكلمات وهذا مضاد لرغبتهم في ذكر الاسم وإشباع شوقهم الملهوف بتكراره على حد ما ذكر ذو الرمة .

أحب المكان القفر من أجل أنني به أتغنى باسمها غير معجم

وإنما كنوا حفاظا على الحرمات والأعراض ورغبة عن التشهير وإذاعة هذه المشاعر، وكانت المرأة العربية شديدة الحفاظ حاسمة في رفضها أن يصرح شاعر باسمها في شعره حتى ولو كانت مدلهة لعوبا كصاحبة محمد بن النمير الثقفي التي تقول له بلهجة ثائرة رافضة تصريحه باسمها وأنه لم يراع حرمتها :

وقد أرسلت في السر أن قد فضحتني وقد بحت باسمي في النسيب وما تكنّي

وصاحبة عمر بن أبي ربيعة ترشده برفق إلى ما وقع فيه حين ذكر من أوصافها ما نم عنها إلى أن يكون في الهوى كتّ ّاما :

---

[1]) جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة الصفحات : 488
[2]) محمد أبو موسى : دراسة تحليلية لمسائل البيان ، منشورات جامعة قاريونس 1978 : ص 515
[3]) نفس المصدر السابق : ص515
[4]) نفسه : ص 516

أضحى قريضك بالهوى نمّاما فاقصد هديت وكن له كتّاما
واعلم بأن الخال حين ذكرته قعد العدو عليك وقاما

تعني قوله : ألما بذات الخال - ولهم في ذلك حكايات لطيفة فقد ذكروا أن عمر أو غيره من الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) أجمعين ، قد حظر على الشعراء ذكر النساء فقال حميد بن ثور :

تجرّم أهلوها أن كنت مشعرا جنونا بها يا طول هذا التجرّم
وما لي من ذنب إليهم علمته سوى أنني قلت يا سرحة اسلمي
بلى اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ثلاث تحيات وإن لم تكلمي

وقد كنى عن صاحبته بالسرحة، السرحة الشجرة لا شول فيها، وهم يقولون لامرأة الرجل سرحته، وإنما يكون ذلك كناية إذا نظرت إلى دلالة السرحة على المرأة دلالة عرفية يعني أنه اشتهر عندهم هذا وأنه روعي فيه ظلها والراحة والدعة عند الفيء إليها، وسياق الشعر هنا يرجح أن تكون كناية لأنه لجأ إليها لما لم يجد سبيلا إلى التصريح بالاسم فليس قاصدا إلى هذه العلاقة، ومما تشبيه بذلك كنايتهم عن المرأة بالنخلة، قال ابن أبي الأصبع: ومن مليح الكناية قول بعض العرب[1]:

ألا يا نخلة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام
سألت الناس عنك فخبروني هنا من ذاك يكرهه الكرام
وليس بما أحل الله بأس إذا هو لم يخالطه حرام

فإن الشاعر كنى بالنخلة عن المرأة وبالهناء عن الرفث، فأما الهناء فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن طريف الكناية وغريبها انتهى كلامه ، وإذا كانوا يقولون للمرأة السرحة، وسرحة الرجل زوجته فكيف تكون الكناية عنها بالنخلة غريبة ؟ وذكر المرأة بالنخلة أقرب للكناية وأبعد عن الاستعارة التي تشمُّ لها رائحة في أبيات حميد، ومثله قولهم جاء فلان بالشوك والشجر أي جاء بجيش عظيم، وربما لحظوا الكثرة والقوة وسلامة الأجسام وطولها لأنهم يشبهون الفتيان بالنخل، ويشبهون السلاح بالشوكة، قال تعالى :
(وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) يعني العير ويقولون شوك القنا يريدون شباها أي حدها وطرفها، وهذه مناسبات سوغت الكناية وليس الطريق إلى فهم الكثرة المقاتلة أو الكثرة فقط على حسب السياق .

وقد ذكر ابن الأثير أنه لا مفر من وجود وصف جامع بين المكنى عنه والمكنى به لئلا يلحق بالكناية من ليس منها فقوله تعالى : (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) كنى فيه عن المرأة بالنعجة، والوصف الجامع بينهما هو التأنيث والولادة، ولولا ذلك لقيل في مثل هذا الموضع إن أخي له تسع وتسعون كبشاً ولي كبش واحد، وقيل هذه كناية عن النساء [2] ، ويجب أن نفرق بين العلامة التي هي واسطة ضرورية في كل تعبير لا يقصد فيه إلى المعنى المباشر وبين الجامع الذي

---

[1]) محمد أبو موسى : دراسة تحليلية لمسائل البيان : ص 518
[2]) ابن الأثير : المثل السائر ت / أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، نهضة مصر ، القاهرة 1962م : ج3ص53

هو الوصف المشترك لأن العلاقة أعم من أن تكون وصفا مشتركا فالعلاقات في الكناية علاقات لزومية عقلية أو عرفية أو بيانية أو ما شئت من أنواع العلاقات، فالذي بين تقليب الكف والندم علاقة وليس وصفا مشتركا يعني ليس بينهما جامع، وكذلك بين عدّ الحصى والهم [1].

الفصل الرابع (الكناية عن موصوف)

المبحث الثاني

كناية عن موصوف في شعر الخنساء

وعندما كان الحديث عن الصفات التي أوردتها الخنساء عن صخر حسبما تناولناه في مبحثنا السابق تنقسم عن وحسية و معنوية .

ولكن هنا تتحدث الخنساء في شعرها عن الموصوف وغالبا ما يكون صخر أو معارية في بعض الأحيان .

وتظهر هنا موضوعات أخرى للموصوف مثل إظهارها العاطفة الوجدانية ، ووصفها للفرس ، والقبيلة وآثرها ومناقبها ، المصائب ، والمروءة عند قومها ، والمتاريف من القوم المتنعمين ، ووصف الريح بالشهباء .

[1]) محمد أبو موسى : دراسة تحليلية لمسائل البيان - منشورات جامعة قاريونس 1978 : ص 519،

فأبكي أخاك لأيتام وأرملة وأبكي أخاك إذا جاورت أجنابا [1]

أجنابا : الأجناب : الغرباء، ويقال نعم القوم هم للجار الجنابة.

أبكي أخاك إذا ذكّرتك حاجة من يتيم أو امرأة فقدت زوجها وأبكي أخاك حين يجيء غرباء يستجيرون، ويبحثون عن ملجأ ومعين، موصوف .

طرفة بن العبد[2] **:**

رأيت بني غبراء لا ينكروني ولا أهل هذاك الطراف الممدد

غبراء : الأرض، بنو غبراء : الفقراء، الطراف : الخيمة من الجلد، أهل الطراف : الأغنياء . أي أن طرفة بن العبد معروف لدى الكل سواء كانوا فقراء أو أغنياء – بني غبراء كناية عن موصوف وهم الفقراء .

وله **: وكري، إذا نادى المضاف مجنبا كسيد الغضا نبهته المتورد**

كري : إسراعي، مجنبا : قائدا فرسي معي لأحمل الضيف عليها، السيد : الذئب، الغضا : نوع من الشجر، والذئاب التي تألف الغضا تكون ضارية، المتورد : الذاهب إلى الماء

(الظمآن – العطشان)

سيد الغضا هو الذئب كناية عن موصوف .

هو الفتى الكامل الحامي حقيقته مأوى الضريك إذا ما جاء منتابا [3]

حقيقة الرجل : ما يلزمه حفظه والدفاع عنه . والمأوى : المكان الذي يلجأ إليه، والضريك الفقير اليابس الهالك سيء الحال . وهو الضرير أيضا والجائع والمنتاب : النائب أي التائب والقاصد . وتصف الخنساء صخرا بالشجاعة والمنعة ونصرة الضعيف، ونجدها تستخدم في لغتها اسم الفاعل في كناية الموصوف بإيرادها (الكامل .. الحامي) موصوف ونجد أن مفردة (الضريك) مستخدمة وهي ذات معاني متعددة غير أنها متفاوتة معنويا .

زهير بن أبي سلمى[4] **:**

وأبيض فيّاض يداه غمامة على معتفيه ما تغب فواضله

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

أبيض : كرم الأصل، فيّاض، الفيض الكثرة، معطاء بكثرة كأن يداه غمامة سماء هتون، معتفيه : معسوريه المحتاجين لا يتأخر أو يتغيّب فضله وكرمه عليهم، إذا أتاه سائل يراه متهلل مستبشر بقدومه، كأن السائل هو الذي أعطاه ما أراد أن يسأله . والمعتفين كناية عن موصوف

يا بن الشريد على تنائي بيننا حييت غير مقبّح مكباب [5]

ابن الشريد، هو صخر أخو الخنساء كنته بابن الشريد كناية عن موصوف ، لإظهار العاطفة الوجدانية الأخوية، وكلاهما ولدا عمرو بن الشريد – والمقبّح الذي يقع عليه

---

[1] الخنساء ديوانها : ص 19 : المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان

[2] طرفة – وقيل طرفة لقبه واسمه عمرو – بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، جاهلي، من شعراء بني بكر المشهورين . وكنيته أبو عمرو . وهو من شعراء المعلقات وله ديوان مطبوع .

[3] الخنساء ديوانها : ص 20

[4] عبده عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص : 132

[5] الخنساء ديوانها : ص 21

التقبيح والتشنيع، والمكباب : الذي يكب بنظره إلى الأرض ذلة وخنوعا وقد سبقت الخنساء هاتين الصفتين بأداة استثناء وهي (غير) .

رفيقة بنت نباتة [1]:

مُباركُ الأمرِ يُستسقى الغَمام به ما في الأنامِ له شبهٌ ولا خطرُ

أمره مبارك، موصوف، كريم جوده صفة لأن الغمام يستَسقى منه لأنه ليس له شبيه ولا سابق في أفعاله الأنام قصدت به الكون كناية عن موصوف .

فثارت تباري أعوجيا مصدرا طويل عذار الخد جؤجؤه رحب [2]

ورجع ظافرا : صفة، قد غنم جوادا أصيلا (أعوجيّا موصوف) ربطه إلى جنب ناقته، وهو جواد أعوجيّ، طويل الخدّ : صفة واسع الصدر صفة، واقتران هاتين الصفتين ما هو مقترن بالجواد الأصيل ، رامت الناقة تسابقه ويسابقها.

نعم الفتى كان للأضياف إذ نزلوا وسائل حلّ بعد النوم محروب[3]

تقول الخنساء : إنها تذكرت صخرا فهو مسخّر للأضياف الذين ينزلون ليلا، أي بعد أن يهجع الناس في النوم، والسائل المحروب : هو مسلوب المال موصوف .

لقد كان صخر من خير الرجال لأضيافه ، أو لطالب معروف، جاء لقضاء حاجة، وقد الم به مصاب، وفقد ماله .

ريطة بنت عاصية [4]:

حلو ومر جميع الأمر مجتمع مأوى أرامل لم تتعص عفاريها

فهو حلو في السلم، مر في الحرب، إذا فهو يجمع كل الأمور،، ويأوي الأرامل (كناية عن موصوف) لديه ولم يدنس لهن شرفا، لأنه العفيف الشريف في مأواه لهن .

عوف بن الأحوص [5] :

ومستنبح يبغي المبيت ودونه من الليل بابا ظلمة وستورها
رفعت له ناري فلما اهتدى لها زجرت كلابي أن يهرّ عقورها

أي ربّ ضيف ليل أراد المبيت في ظلمة حالكة الستار سوادها، فقد رفعت ناري التي أضرمتها حتى يهتدي بها لأن كلابي نبحت فعرفت أن ضيف ليل قادم وبقدومه أمرت كلابي أن يهدأ نباحها .

أقول أبا حسان لا العيش طيّب وكيف وقد أفردت منك يطيب [6]

أبو حسان كنية صخر(كناية عن موصوف) ، لم يكن العيش ولن يكون طيبا كيف يكون ذلك وقد أصبحت فريدة وحيدة تقاسي الوحدة بفراق أخويها، صفة وهي عظمة الفقد .

الجيداء بنت زاهر الزبيدية [7]:

يا لَقومي مَن يَكشفُ الضيمَ عنّي وَيراعي مِن بعد خالد عَهدي

---

[1] / رفيقة بنت نباتة : شاعرة جاهلية : استسقى عبد المطلب بن هاشم يوماً، فساحت السماء بالمطر، فكان لها في ذلك شعر.

[2] الخنساء ديوانها : ص 21

[3] نفس المصدر : ص 23

[4] ريطة بنت عاصية : شاعرة جاهلية : لها شعر في رثاء أخيها عمرو، وقد كان من الشجعان المرموقين.

[5] عبده عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص : 251

[6] الخنساء ديوانها : ص 23

[7] الجيداء بنت زاهر الزبيدية :شاعرة جاهلية، قتل زوجها خالد بن محارب الزبيدي على يد عنترة في أرض نجد، فقامت ترثيه، وتبين أنه إنما قتل ظلماً وعدواناً.

فالذي يكشف ضيم الجيداء تقره باستفهام استنكاري، فطالما فقدت خالدا الكاشف لضيمي والمراعي لعهدي موصوف، فإن ذلك يمتنع عنه غيره في قومها .

فقد خلّى أبو أوفى خلالا عليّ فكلها دخلت شعابي [1]

فقد ترك أبو أوفى كناية عن موصوف : صخر، والخلال الصفات والمناقب الحسنة، والشعاب : جمع شعب شعبة وهي الطرق المختلفة أي أن صخرا ترك لها صفات ومآثر مناقب وكلها حميدة حسنة، فكيف تحيا هذه الصفات وقد فارقها صاحبها الذي سنها وفاء وكرما، وهي لا تزال تلتقيني في اختلاف طرقي .

وكان أبو حسان صخر أصابها فأرغثها بالرمح حتى أقرت [2]

أبو حسان كنية لصخر، وأرغثها طعنها مرة بعد مرة، وأقرّت استقرّت وهدأت .

أبو حسان : موصوف : صخر، وكان صخر انبرى لها وتولى أمرها حتى استقرت وهدأت فنال ما أراد.

آمنة بنت عتيبة [3]**:**

ضَروباً للكميّ إذا اِشمعلّت عوان الحَربِ لا وَرِعاً هَيوبا

الكمي فارس الحرب كناية عن موصوف ، تقول آمنة : أنه كثير الضرب وهنا تستبين صيغة المبالغة (ضروب : فعول) فهو يضرب المحارب الذي يحمي نفسه ويسترها بالدرع والبيضة (أدوات الحرب) وذلك عند اشتداد الحرب واشتعالها، فهو ليس بجبان الخائف المتورّع موصوف .

فارس الحرب <u>والمعمم</u> منّا مدره الحرب حين تلقى البطاحا [4]

ذلك صخر الذي كان فارسا صفة، وقت القتال، وهو المسوّد على قومه موصوف، والخطيب المفوّه صفة، والقائد حين يتفاقم أمر القتال ويحتدم.

ميّة بنت ضرار الضبية[5] **:**

لا تعرف الكلم العوراء مجلسه ولا يذوق طعاما وهو مستور

الطاعن الطعنة النجلاء عن عرض كأنها قبس بالليل مسعور

تصف مية أخيها قبيصة وتقول : إن مجلسه لا يعرف الكلام القبيح المذموم البذيء عفة في لسانه، وطعامه مشهور ظاهر غير مستور، وهو صاحب الطعنة الواسعة الغائرة (كناية عن موصوف) التي تشاكل ضوء النار المشتعل ليلا .

يا <u>ابن الشريد</u> وخير قيس كلها خلفتني في حسرة وتبلد[6]

كناية عن موصوف : ابن الشريد، صخر أخو الخنساء، وخير من خيار العرب جميعهم لأنه من قيس التي هي من أكبر عمارات العرب الشماليين وتضم قبائل كثيرة وتقابلها اليمن .

---

[1] الخنساء ديوانها : ص 22– المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان

[2] نفس المصدر السابق : ص 25

[3]) آمنة بنت عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي.
كان والدها فارس بني تميم، قتل في يوم خوّ وهو أحد أيام العرب المعروفة، فرثته بأبيات.

[4] الخنساء ديوانها : ص 31

[5] الأصبهاني أبو الفرج : الأغاني 332/16، النقائض152/1، وايام العرب قبل الإسلام 81/2

[6] الخنساء ديوانها : ص 39

المستضاف من السنين اذا قسا فيها المحارد[1]

المستضاف، موصوف، أي توضح الشاعر أن صخراً كثير الضيوف كريم بطبعه أصيل السمعة شريف المحتد وإشارتها (من السنين) أي ما قل مطرها والمحارد من الابل الإناث التي قل لبنها وفي هذه الفترات العصيبات صخر كثير الضيوف كما أشرنا.

السموأل بن غريض [2]**:**

وما أخمدت نار لنا دون طارق ولا ذمنا في النازلين نزيل

الطارق : ضيف يأتي ليلا، النزيل : الضيف الذي ينزل فيهم مقيما لثلاثة أيام . (الطرق – النزيل) كناية عن موصوف .

يقول : إن نارهم مشتعلة ومستمر اشتعالها حتى تشرق الشمس، وذلك هداية للضيف وعشيرتي تكرم النزيل كرما جزيلا حتى يبيت شاكرا لنا صنيعنا .غير ذامّ.

وابن المهائر للمهائر زانها الشيم المواجد[3]

المهائر: ج مهيرة والمهيرة من النساء حرة غالية المهر، موصوف، وقد زانتها صفات راسخة مطبوعة في أصلك وكرم اهلك من قبل.

تأبط شرا[4] : يشيد بابن عم له صعلوك اسمه (شمس) بن مالك (بضم الشين)

يظل بموماة ويمسي بغيرها جحيشا ويعروري ظهور المهالك

الموماة : المفازة الصحراء (كناية عن موصوف) ، ظل : قضى النهار، يمسي يكون في المساء ، جحيشا : وحيدا، أعروري: ركب الدابة بلا سرج، يعروري ظهور المهالك يقذف بنفسه في الأماكن الخطرة .(كناية عن موصوف)

ألا إن يوم ابن الشريد ورهطه أباد جفانا والقدور الرواكدا[5]

ابن الشريد كناية عن موصوف وهو معاوية، أخاها، ورهط الرجل : أعوانه والجفان: الصحان يوضع فيها الطعام.

إن اليوم الذي قتل فيه أخي ومن معه قد خرّب القدور الواسعات التي كانت معدة دائما لإكرام الضيوف. صفة الكرم القدور الواسعات .

عاصم بن جويرية[6] **:**

مصاليت لبّاسين للحرب بزّها سراع إليها إذا ضن بالنصر

أبيّون لا يستنبح الضيف كلبهم طروقا ولا يعطون شيئا على قصر

الكناية عن موصوف في (مسخرون للحرب)، يرتدون ثيابها، ويسرعون إلى من يبشر بالنصر مفتخرين بنصرهم، فيهم إباء وأنفة وعلو شأن وكرم ضيف الليل وعطاءهم طواعية غير مكرهين .

مالك الهذلي [1]**:**

---

[1] نفس المصدر السابق : ص36

[2] عبد الرحمن بن عبد الله بن درهم : نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار ص : 738

[3] الخنساء ديوانها : ص 37

[4] شاعر جاهلي، من صعاليك العرب، وأشدائهم المذكورين . وهو أحد اللصوص العدائيين، المشهورين، يكنى أبا زهير، وقيل إنه من أغربة العرب، وهو من بني فهم . نفس المرجع السابق ج21ص94-118

[5] الخنساء ديوانها : ص 35

[6] عبده عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص : 181

تَنادَوا فَقالوا يالَ لِحيانَ ماصِعوا عَنِ المَجدِ حَتّى تُثخِنوا القَومَ بِالضَربِ
فَضارَبَهُم قَومٌ كِرامٌ أَعِزَّةٌ بِكُلِّ خُفافِ النَصلِ ذي رُبَدٍ عَضَبِ

يقول : إن آل لحيان وهو اسم لقبيلة عربية، تجالدوا في القتال دفاعا عن المجد والشرف، حتى تصيبوا الأعداء وتنالوا منهم بشدة الضرب ، فإن هؤلاء القوم من الكرم والعزة بمكان، وبات الضرب بالبيض الخفيفة أنصالها موصوف، بل بالسيوف القوية القاطعة حدودها .

أبو حسان كان ثمال قومي فأصبح ثاوياً بين اللحود[2]

أبو حسان: كنية صخر

تقول إن صخراً كان غوث قومه الذي يقوم بأمرهم كناية عن الكرم والشجاعة والرأي السديد والعقل الراجح، والآن هو ترى بين اللحود كناية عن موصوف ، القبور ولكن صفاته تتناقل شعراً وحزناً منها.

ليلى العفيفة [3]**:**

وَعِمادُ هَذا الحَيِّ في مَكروهِهِ وَمُؤَمَّلٌ يَرجوهُ كُلُّ مُؤَمِّلِ

أي أن المقصود بهذا القول عماد القوم في الحي في كل مكروه يلم بهم موصوف، وكل الذي يأمل في العطاء والكرم وفك العتسر فهو المؤمل أيضا موصوف .

والمشبع القوم إن هبّت مصرصرة نكباء مغبرة هبّت بصرّاد[4]

المشبع: اسم الفاعل من يشبع، صفة، نرى إسنادها واضحاً وسيما الكرم أجود ما يكون في الشتاء والريح تصدر صريرها وتتعب القوم وتغبرهم كناية عن شدتها والارض جدب ومحل والسماء غائمة بغير ماء.

الريح النكباء : (كناية عن موصوف) التي تهب من موضع يقع بين جهتين رئيسيتين، كالجنوب الشرقي .

وهو يطعم الجماعة من الناس، في أيام الشتاء التي تهب في الرياح الشديدة، في السنوات المجدبة.

عمرو بن الأهتم[5] **:**

ومستنبح بعد الهدوء دعوته وقد حان من نجم الشتاء خفوق

المستنبح : الرجل يضل الطريق ليلا فينبح لتجيبه الكلاب، إن كانت قريبا منه، فإذا أجابته تبع أصواتها، فأتى إلى الحي فاستضافهم . النجم هاهنا الثريا وذلك أنها تخفق للغروب جوف الليل في الشتاء، كناية عن موصوف .

---

[1] مالك بن خالد الخناعي الهذلي : شاعر جاهلي من بني هذيل، رويت له قصيدة خاطب فيها زوجته يخفف عنها ما أصابها يوم فقدت أولادها عمرو وعبد مناف وعباس.

[2] الخنساء ديوانها : ص 38

[3] ? - 143 ق. هـ / ? - 483 / ليلى بنت لكيز بن مرة بن أسد، من ربيعة بن نزار.
شاعرة جاهلية، أسرها أحد أمراء العجم وحملها إلى فارس، وحاول الزواج بها فامتنعت عليه، فجاءها خطيبها (البراق بن روحان) فأنقذها وتزوج بها.

[4] الخنساء ديوانها : ص36

[5] الخطيب التبريزي زكريا يحيي بن علي التبريزي شرح ديوان حماسة أبي تمام ص : 125 - 126

وربّ ثغر مهول خضت غمرته بالمقربات عليها الفتية الصّيد[1]

المقربات : الخيول التي تقرّب مرابضها لتكون في متناول من يريد ركوبها أو لتكون بمأمن لمكانتها من أصحابها، كناية موصوف .

وكم من فرجة كان الخطر يمكن أن يأتي منها، تعرّضت لسدها، شجاعة منك صفة، ومعك جماعة من الفرسان الأشراف ، على الخيول الأصيلة .

النمر بن تولب [2] **:**

كانت مقدمة الخميس، وبعدها رقص الركاب، إلى الصباح، بتبّع

أي : كانت تلك النظرة، والذي رئي، أي المنظور إليه ، والخميس : الجيش، لأنه يتكون من خمس لواءات وهي (مقدمته، وميمنته , ميسرته، ووسطه، ولواء الظهر) موصوف . رقص الركاب بتبّع، الرقص : ضرب من السير .

أبكي أبي عمرا بعين غزيرة قليل إذا نام الخليّ هجودها[3]

أبو عمرو كناية عن موصوف هو عمرو بن الشريد، وعين غزيرة بدموعها كناية عن شدة الألم والفجيعة بالفقد ومن صفاتها لهذه العين إنها قليلة النوم .

إنني أبكي أبي، عمرو بن الشريد، بدموع غزيرة أذرفها من عين قلّما تنام.

لقيط بن يعمر[4] **:**

فساوروه فألفوه أخا علل في الحرب يختتل الرئبال والسبعا

عبل الذراع أبيّا ذا مزابنة في الحرب لا عاجزا نكسا ولا جزعا

يقول : واثبوه، فعلموا أنه صاحب تجارب في المعركةكناية عن موصوف ، وهو يخادع الآساد بخبرته وتجربته، مفتول الذراعين، قويّهما، أبيّ يزاول في الحرب غير عاجز يفرّ وهيوب فزع من هولها .

مدلاً حين تشتجر العوالي ويدرك وتره في كل وتر

مدلاً: عارفاً.

أي أن معاوية حين يشتد وطيد الحرب ويحمى حماها هو العارف بأمورها حين تشتبك الرماح موصوف العوالي (كناية عن موصوف) ويعي جيداً كيف يأخذ بثأره إذا أصيب بمكروه أو انتقص أو ظلم.

أم قرفة [5]**:**

فَخُذْ ثَأراً بِأطرافِ العوالي وَبالبيضِ الحِدادِ المرهفاتِ

---

[1] الخنساء ديوانها : ص 31 – المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان

[2] هو النمر بن تولب بن أقيس بن عبد بن كعب، من بني قيس بن عكل . شاعر مقل،جاهلي إسلامي، له صحبة، كان يسمى الكيس، لجودة شعره، ويكنى أبا قيس، وأبا كاهل . وهو من المعمرين، انظر كتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات ص : 266 - ت د. فخر الدين قباوة – دار الفكر دمشق سوريا – دار الفكر المعاصر لبنان بيروت

[3] الخنساء ديوانها : ص 40

[4] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني ج22ص355

[5] ? - 6 هـ / ? - 627 م / فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية، أم قرفة.
شاعرة من بني فزارة، من سكان وادي القرى (شمالي المدينة) كان لها اثنا عشر ولداً من زوجها مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري.
وكان يعلق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلا، كلهم من محارمها. وضرب بها المثل في الجاهلية، فقيل: (أعز من أم قرفة!) و(أمنع من أم قرفة) ولما ظهر الإسلام سبت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأكثرت، وجهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها، وقالت: اغزوا المدينة واقتلوا محمداً. ووجه إليهم النبي (صلى الله عليه وسلم) سرية مع زيد بن حارثة فظفر بهم وأسر أم قرفة، فتولى قتلها قيس بن المحسر اليعمري. ويقال لها (أم قرفة الكبرى) للتمييز بينها وبين ابنتها سلمى بنت مالك الفزارية، وكانت كنيتها (أم قرفة) أيضاً.

تقول الشاعرة : فإنك لو أردت أن تأخذ ثأرا فعليك باستخدام أطراف العوالي كناية عن موصوف وهي السيوف، التي وصفتها بالمرهفات كناية عن موصوف عن حدّاها وقوة ظباتها أي أسنانها .

ليلى بنت الأحوص[1] :

وتبكيك أسرى طالما قد فككتهم وأرملة ضاعت وضاع عيالها
مفرّج حومات الخطوب ومدرك الحروب إذا صالت وعزّ صيالها

تقول ليلى في رثاء ابنها بسطام بن قيس، سيبكونك الأسرى الذي فككت قيد أسرهم، والأرامل اللائي يبكينك ضياعا لهن وعيالهن بموتك وفقدك . وأنت الذي تفرّج عظائم المصائب الخطوب كناية عن موصوف ، ومدرك المعارك بشجاعتك وإقدامك إذا اشتعلت الحرب وحمي وطيسها .

الحي يعلم أن جفنته تغدو غداة الريح أو تسري[2]
فإذا أضاء وجاش مرجله فلنعم رب النار والقدر.

الحي بعامته يعلم أن جفنة صخر واسعة وقدره كبير كناية عن جودة وكرمه فإن المرجل الذي يوضع فيه القدر أضاء وفاض بما عليه فتقول : إنه نعم الرجل كرماً وجوداً هو صخر.

لقد كان إذا أظلم الليل أوقد ليهتدي بها الساري ليلا وإذا طلع الصباح أوقد النار لطبخ الطعام في القدور الكبيرة وهو في الحالين نعم السيد، موصوف، الذي يقري الأضياف ويؤويهم .

زهير بن عروة بن جلهمة[3] :

ميامين صبر لدى المعضلات على موجع الحدث المفضل

يقول : إنهم أهل يمن وصبر في الملمات (كناية عن موصوف) وأوجاعها حين تحدث .

مباذيل عفوا جزيل العطاء إذا فضلة الزاد لم تبذل

يكرمون بسخاء عفو الخاطر – بعفوية – وأكثر السخاء عطاء منهم حينما لم يبذل فضل الزاد دائما .

هو سبقوا يوم جري الكرام ذوي السبق في الزمن الأول

أي أنهم السبّاقون دوما للجود والكرم،إذ أنهم يتفوقون على أصحابه وذويه في زمن جدّ بعيد .

وساموا إلى المجد أهل الفعال فطالوا بفعلهم الأطول

وعلوا على كل صاحب مجد بجميل أفعالهم، فهم تألقوا تفوقا وتميّزا كل كريم مجواد معطاء .

حامي العرين لدى الهيجاء مضطلع يفري الرجال بأنياب وأظفار[4]

نجد الخنساء وقد اخفت الكناية وهي صفة الشجاعة حين شبهت صخر بالأسد بحمايته لبيته وهو العرين، عند الحرب الدائرة (الهيجاء كناية عن موصوف) وهو

---

[1] أيام العرب قبل الإسلام 401/2
[2] الخنساء ديوانها : ص 41
[3] الأصفهاني أبو الفرج : ج22ص 189 - 190
[4] الخنساء ديوانها : ص 53

مستشرق بقوته وناهض بهموم الحرب، وتثبت قولنا في قولها يعرضّ الرجال للهلاك بأنيابه وأظفاره وتمتزج هنا روعة البلاغة والكناية بالاستعارة، لقد كان صخر حامي الحمى، يتغلّب على الأعداء في الحرب، بل يحمي حماه ممن يروم قهره سواء أكان ذلك من الفرسان، أم وحشا، كاسرا، أم طيرا جارحا. موصوف .

بشرُ بنُ أبي خازِم [1]:

وَهُمُ وَرَدوا الجِفارَ عَلى تَميمٍ بِكُلِّ سَمَيدَعٍ بطَلٍ نَجيبِ

الحافِظُ الحَيَّ الجَميعَ إِذا شَتَوا وَالواهِبُ القَينَاتِ شِبهُ الرَبرَبِ

إن أفراد قبيلتي والقائل هو بشر إنهم وردوا أبارا لقبيلة تميم، وكان فيهم البطل القائد القوي النجيب ، كناية عن موصوف ، الذي يحفظ قاطني الحي جميعهم كناية عن كرمه الفيّاض في فصل الشتاء تحديدا، والواهب : المعطي موصوف، أي الذي يعطي الأمات اللائي يشبهن البقر الوحشي الربرب كناية عن موصوف ، فنجد أن كرمه غير مقصور على ما يشرب ويؤكل فقط بل يتعدى ذلك إلى ما أشرت إليه .

تجيش منه فويق الثدي جائفة بمزبد من نجيع الجوف فوّار[2]

وتقول إن له طعنة نجلاء واسعة(كناية عن موصوف) بالرمح أو السيف ولإثرها يفيض الدم بغزارة وقد بلغت الطعنة الجوف حتى انهمر الدم بكثافة وفوران كناية عن خبرة صخر في ساحة الحرب.

تجيش : تغلي وتقذف بالزبد . نياط الجوف : أحسبها نياط القلب، موصوف، وهو عرق غليظ يصل القلب بالرئتين . ويدعى الشريان الأبهر.

ابن زرعة الباهلي[3] :

بِكُلِّ رُدَيني أَصمَّ مُذَرَّبٍ وَبالمَشرَفيّاتِ البطيءِ حُسورُها

وَفيهِن بَيضاءُ العَوارِضِ طَفلَةٌ كَهَمِّكَ لَو جادَت بِما لا يَضيرُها

بكل سيف رديني نسبة إلى ردينة صانعة السيوف (كناية عن موصوف) ، وهذا السيف الأصم كناية عن حدته، وحدود قواطعه، المشرفيات: كناية عن موصوف هي السيوف، وبيضاء العوارض: الأسنان البيضاء والطفلة: هي اللينة الرخصة .

يا ضارِب الفارس يوم الوغى بالسيف في الحومة ذات الأوار[4]

ضارب: اسم فاعل من ضرب، موصوف، وهنا كناية عن خبرته في الحرب لكثرة ضربه للأعداء والنيل منهم وذلك في يوم حرب ضروس مهلكة (كناية عن موصوف) وفي مكان أو موضع شديد القتال فيه، لأن الأقران يحومون فيه لاضطرامه واشتداده وهنا صفة الشجاعة والجرأة وشدة المراس.

يزيد بن سنان المري [5]:

---

[1] ? - 22 ق. هـ / ? - 601 م : بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل.
شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمة.
كان من خبره أنه هجا أوس بن حارثة الطائي بخمس قصائد، ثم غزا طيئاً فجرح وأسره بنو نبهان الطائيون فبذل لهم أوس مائتي بعير وأخذه منهم، فكساه حلته وحمله على راحلته وأمر له بمائة ناقة وأطلقه، فانطلق لسان بشر بمدحه فقال فيه خمس قصائد محا بها الخمس السالفة.
توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية، رماه فتى من بني واثلة بسهم أصاب ثندؤته.

[2] الخنساء ديوانها : ص 53

[3] مالك بن زرعة الباهلي : شاعر جاهلي وهو من المجاهيل لا يعرف غير اسمه وله قصيدة تقع في واحد وعشرين بيتاً وهي نشيد جاهلي من أناشيد الحرب والبطولة والفروسية، وهذه القصيدة قالها في بني الحارث بن كعب ونهد وجرم في يوم كان بينهم.

[4] الخنساء ديوانها : ص 58

[5] يزيد بن سنان بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

شَكَكتُ مَجامِعَ الأَوصالِ مِنهُ بِنافذَةٍ عَلى دَهَشٍ وَذُعرِ

يقول : إنه أصاب مجامع الأوصال كناية عن موصوف وهي مجمع الأحشاء في البطن، بضربة نافذة على حين حيرة وخوف منه صفة .

يا صخر كنت لنا عيشًا نعيش به لو أمهلتك ملمّات المقادير[1]

كان صخر لأخته الخنساء بمثابة العائل حينما يشاطرها ماله وحدث ذلك مراراً ولغيرها أيضا بجوده وعطاء كرمه الوافر الجزيل – وتتمنى أن ملمات المقادير وهنا كناية عن موصوف المصائب المقدرة للآجال.

فهر بن مالك[2] **:**

وكان نجدا جواد الكف ذا ثقة يوم الصبيب وبين المأزق الترب

حامي عن الجار والمولى بنجدته وقد يحامي عن المولى أخو الحسب

أي كان غوثا للمحتاج والجود بكفه مغداق واثق ويحمي الجار بكرمه وصونه، ويغيث مواليه بما يحتاجونه وغالبا ما يفعل ذلك كريم الحسب والنسب .يوم الصبيب (كناية عن موصوف) .

وألقح القوم حرباً ليس يلقحها إلا المساعير أبناء المساعير[3]

وأشعل الحرب قوم الخنساء وصخر سيدهم ابن سادتهم ولا يستطيع إشعال الحرب إلا الأبطال الأشداء (المساعير) جمع مسعر، وهو في الاصل موقد النار للحرب.

سعية بن غريض [4]**:**

ولربَّ مشعلة يُشَبُّ وقودُها اطفأتُ حدَّ رِماحِها برماحي

يقول : ربّ حرب عوانٍ شبّ وقودها أي اشتعل، ولكنني برماحي أطفأت اشتعالها وأوار نارها، موصوف الحرب .

يذر الكميّ مجدلا ترب المناخر منقعس [5]

الكمي : كناية عن موصوف : وهو الفارس المقنع والمزوّد بالحديد والسلاح، تقول : إن صخرا يترك الفارس على اكتمال عدة حربه طريح الأرض وقد جعل أنفه مضرجة بالدم والتراب كناية عن الظفر أولا، ثم الذل والخنوع للفارس الذي التقى صخرا .

الحارث بن ظالم المري [6]**:**

شاعر جاهلي، يقال له ذو الرقيبة المري، والأشعر، وأبو ضمرة، والمقشعر، وكان إذا حضر حرباً اقشعر.

من السادات في الجاهلية، كان رئيس (مرة بن عوف) في حربهم مع بني (تميم بن عبد مناة) وحلفائهم من عدّي وعكل، وظفر بهم يزيد وأخذ سبياً كثيراً.وهو أخو (هرم بن سنان) ممدوح زهير بن أبي سلمى.

[1] ديوان الخنساء – المكتبة الثقافية – بيروت - لبنان : ص 56

[2] عبده عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص : 259

[3] الخنساء ديوانها : ص 56

[4] سعية بن العُرَيض بن عادياء اليهودي : شاعر متقدم مجيد، وهو أخو السموأل المشهور بالوفاء. وهم من بني هدل وهم أبناء عم لبني قريظة وبني النضير.

وسعية لم يدرك الإسلام، ولكن أدركه ولداه ثعلبة وأسد وأسلما وحسن إسلامهما وتوفيا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم له شعر الأصمعيات.

وقد اختلط على بعض المؤرخين التشابه بين اسمه واسم ابن ابن أخيه: سعية بن العريض بن السموأل بن العريض! وهو من معاصري معاوية وله معه أخبار.[4]

[5] الخنساء ديوانها : ص 69

[6] ? - 25 ق. هـ / ? - 598 م : الحارث بن ظالم بن غيظ المري، أبو ليلى.

أشهر فتاك العرب في الجاهلية، نشأ يتيماً قُتل أبوه وهو طفل، وشب وفي نفسه أشياء من قاتل أبيه وآلت إليه سيادة غطفان بعد مقتل زهير بن جذيمة، ووفد على النعمان بن المنذر ملك الحيرة فالتقى بقاتل أبيه جعفر بن خالد (سيد بني عامر) فتنازعا بين يدي النعمان، فلما كان الليل أقبل الحارث على خالد وهو في مبيته فقتله، وعلمت بذلك بنو عامر فجدت في طلب الحارث، فعاد إلى عشيرته من

فأضربه بالسيف يافوخ رأسه فصمم حتى نال نوط القلائد

يقول الشاعر أنني أضرب العدوّ بالسيف أعلى رأسه، وذلك تصميما مني حتى أنال منه نوط القلائد : أي المكان الذي تعلق فيه القلائد من السيوف و الأسهم ونحو ذلك كناية عن موصوف وهي الرقاب .

نعم الفتى عند الوغى حين التصايح في الغلس [1]

فلأ بكـينك سيدا فصل الخطاب إذا التبس

نعم الفتى مدح وفخر بصخر أين ؟ يوم الوغى يوم الحرب كناية عن موصوف، في الحرب كناية عن قوته وشجاعته وقت صياح المتحاربين في ظلمة حالكة،كناية عن نجدته ومروءته، وهو المتحدث اللبق صاحب الخطاب الفاصل، صفات .

السفاح بن بكير اليربوعي[2] **:**

قوّال معروف وفعّاله عقّار مثنى أمهات الرباع

الرباع : ما نتج في أول النتاج، واحدها ربع، بضم وفتح، وخص أمهات الرباع لنفاستها، وهو يقول المعروف ويفعله أيضا، موصوف، وكذلك يذبح لأضيافه أول النتاج كرما منه .

إن الجديدن في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس [3]

الجديدان : كناية عن موصوف، الليل والنهار، وإن تعاقبا فلا يفسدا بل الناس هم الذين يفسدون .

حبيب بن قرفة [4] **:**

قبيلة لم يسمع الناس مثلهم كزائدة الإبهام خلف الرواجب

أي أن قبيلة فريدة لا شبيه لها وهي مثل الإبهام المفردة دون أصابع اليد المقبوضة – كناية عن موصوف .

ترى اللوم في إدبارهم حين أدبروا وتعرف إذا أقبلوا في الحواجب

أي أنهم غير ملومين وتأثير معرفتهم بالإقبال في حجابهم فرحة وسرورا . الحواجب فيما يستقبل منهم كناية عن موصوف .

ففيضي بالدموع على كريم رمته الحادثات ولا تغيضي [5]

أكثري دموعك ولا تصبحي شحيحة، كناية عن كثرة البكاء التي تدل على كناية أخرى وهي شدة الحزن – على كريم : ، وهو صخر: الحادثات : كناية عن موصوف المصائب أي ابكي ولا تعوزي وتصيري شجية دون دموع.

سليمى بنت المهلهل[6]**:**

غطفان، فهابوا شرّ بني عامر فلم يحموه، فانصرف إلى حاجب بن زرارة التميمي فحماه مدة ثم تجهم له، فلحق بعروض اليمامة. وبلغه أن النعمان بعث إلى جارات له فسباهن، فأتى حاضنة ابن النعمان فأخذه منها وقتله. فطلبه النعمان، فلجأ إلى بني شيبان فأووه قليلاً. ورحل فلحق بطئ ثم رحل عنها فجاور بني دارم فحموه فغزاهم الأحوص (أخو خالد بن جعفر العامري) فهزمهم وانطلق الحارث فجعل يطوف في البلاد حتى أتى الشام، فقتل في حوران.

[1] الخنساء ديوانها : ص69

[2] أبو زكريا يحيي بن علي التبريزي الشهير بالخطيب – شرح ديوان حماسة أبي تمام ص : 221 - 222

[3] الخنساء ديوانها : ص 70

[4] عبده عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص : 87

[5] الخنساء ديوانها : ص 71

[6] سليمى بنت مهلهل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم.
شاعرة من قبيلة تغلب رحلت مع أبيها عندما اعتزل قومه إلى اليمن وهنالك أرغم على تزويجها في قبيلة (جنب) ممهورة بالأدم ..

عديّاً أَخا المَعروف مِن كُلِّ شتوةٍ وَفارسها المَهيُوبُ عِندَ التَّكافُحِ
رَمَتهُ بَناتُ الدَّهرِ حَتّى اِنتَظمنه بِسَهمِ المَنايا إِنَّهُ شَرُّ رائِحِ

هنا تنسب الشاعرة المعروف إلى عدي، فهو صاحب معروف لكل فازع إليه، وهو الفارس الشجاع عند التقاء الجيوش يوم التكافح الهيوب .

بنات الدهر : كناية عن موصوف المصائب، فإن المصائب رمته بسهم الموت فالشر هنا أوردته الشاعرة كناية عن قوته .

الربيع بن أبي الحقيق [1]**:**

تُعاوَرُهُ بناتُ الدهرِ حتَّى تُثَلِّمُهُ كما ثُلِمَ الإِناءُ

تعاطته بنات الدهر كناية عن موصوف حتى أصابته بكسور مجازية أي بنواقص حياة، كما يكسرُ الإناء.

فقد أصبحت بعد فتى سليم أفرج هم صدري بالقريض [2]

فبعد أن فقدت (فتى سليم) كناية عن موصوف وهو صخر أفرج عن قلقي وحزن قلبي الذي هو في صدري كناية نسبة (قلق وحزن) متعلق بقلب الخنساء) بالقريض كناية عن موصوف وهو الشعر.

أمامة العدوانية [3]**:**

كَم مِن فتىً كانَت له ميعةٌ أَبلجُ مثل القمرِ الزاهرِ

تقول الشاعرة قليلون هم الفتيان الذين مثل ممدوحها الموصوف بأنه أبيض يشابه القمر الزاهر، ولا شك أنه في ميعة شبابه أي في أوله كناية عن موصوف .

أبي اليتامى إذا ما شتوة نزلت وفي المزاحف ثبت غير وجّاف[4]

أبي اليتامى كناية عن موصوف وهو صخر بشدة وقوفه مع اليتامى وصغارهم الذين لا عائل لهم، وذلك أجود ما يكون في فصل الشتاء، وفي المزاحف كناية عن موصوف المعارك والحروب فيها يكون ثابت الجنان غير مضطرب – وجّاف صفة لمحذوف وهو (قلب صخر)، لقد كان صخر لليتامى بمثابة أب عطوف، في أيام البرد ن وهو في الحرب، شجاع غير فرّار ولا جبان.

سعدى بنت الشمردل[5] **:**

متحلب الكفين أميث بارع أنف طوال الساعدين سميدع
سمح إذا ما الشول حارد رسلها واستروح المرق النساء الخوّع

فلما علمت قبيلة بكر وتغلب بما أصابها قتلت زوجها وأعادتها ثانية الى الجزيرة ثم تزوجت النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد فأنجبت له أبا حنش وتزوجت بعده بُعج بن عتبة بن سعد فأنجبت له ذا السُنية.

[1] الربيع بن أبي الحقيق : من شعراء يهود من بني قريظة، وهم وبنو النضير من ولد هارون بن عمران، وكان الربيع أحد الرؤساء في يوم بعاث، وكان حليفاً للخزرج وقومه، فكانت رياسة بني قريظة للربيع، ورياسة الخزرج لعمرو بن النعمان البياضي، وكان رئيس بني النضير سلام بن مشكم ، عاصر النابغة الذبياني، وخلف جملة أولاد ناصبوا النبي صلى الله عليه وسلم العداء.

[2] الخنساء ديوانها : ص 71

[3] أمامة بنت ذي الأصبع العدوانية : كان لها أخوات ثلاث حبسهن أبوهن عن الزواج، فكان منه أن سمع يوماً شعراً منهن يبوح ما تخفي صدورهن، فقرر تزويجهن.
ودارت الأيام وهلك قومها فكان لها في ذلك شعر.

[4] الخنساء ديوانها : ص 76

[5] أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعيات : اختيار الأصمعي : ص 101 – 104/ تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر، و عبد السلام محمد هارون

تقصد الشاعرة أن أخاها تسيل كفّاه بالعطاء وهو لين سهل، أي سمح العطاء، وهو أنف كبير النفس لا يضام، وطول ساعديه مجازا لكثرة كرمهما وهو السيد الكريم سميدع كناية عن موصوف ، وسمح العطاء إذا ارتفعت ألبان الإبل وقلت وقد تشمم، أي أنه كريم جواد حين الجدب والأزمة في الشتاء .

أبكي المهين تلاد المال إن نزلت شهباء ترزح بالقوم المتاريف[1]

تبكي خناس صخراً الذي يهين المال بكرمه وجوده والمال هين مهان عند صخر تلاده قديمة – وسيما إن ألمت بالمتنعمين، موصوف، الجبارين من القوم شهباء : نازلة موصوف رزحت أي مكثت فيهم طويلاً فهو باذل ماله عليهم .

هند بنت الخسّ[2] **:**

وكم من كثير المال يقبض كفه وكم من قليل المال يعطي ويسلس
وذو الظلم مذموم النثا ظاهر الخنا عني عن الحسنى وبالشر يعرس

تقول : كثيرون هم أصحاب المال، ولكنهم بخلاء شحيحون، وعلى النقيض تماما، قليلو المال أصحاب العطاء السهل اللين الموفور، وصاحب الظلم مذموم خبره واضح فحشه كناية عن موصوف ، وهو بطر بشره، قليل الحسنات من الفعال .

أبكي أبا حسان واستعبري على الجميل المستضاف النحيل [3]

ابكي على صخر أبي حسان كناية عن موصوف واذرفي الدموع عبرةً والحزن على رجل جميل الفعال كريم الضيافة نحيل جسمه تدل على خدمته لضيوفه دون نفسه وهنا إيثار .

وابكي يا عيني على أخي صخر أبي حسان واذرفي الدمع على الفتى الشجاع المضياف الجدير بكل خير.

عدي بن ودّاع [4]**:**

للجار والضيف وباغي الندى حين يباري خلقي أخيلي
أروع وشواش قليل الخنا صلب مشاشي صنع مقولي

أي أن ممدوح الشاعر مدّخر للجار والضيف ومن يبتغي الكرم وحين يبارى فهو ذو خيلاء وكبر .

الأورع من الرجال : الذي يعجبك حسنه، وشواش : خفيف غير متثاقل، مشاشي : من المشاش، يقال فلان طيب المشاش أي كريم النفس، صنع : حاذق : مقولي جيد القول لسن فصيح .

---

[1] الخنساء ديوانها : ص 77 - المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان

[2] التنبيه على أوهام القالي : ص62

[3] الخنساء ديوانها : ص 87 -

[4] شاعر من الأزد أعمى، أو يلقب بالأعمى، وفي شعره إشارات إلى أنه كان صحيح البصر ناصح العين في شبابه – انظر قصائد جاهلية نادرة ص : 57- د. يحيي الجبوري – مؤسسة الرسالة .

إن أبا حسان عرش هوى مما بنى الله بكنّ ظليل[1]

أبا حسان: صخر كناية عن موصوف عرش سقط كناية عن عظمة شأنه وقد خلق الله صخراً وأخذه كناية صفة الإيمان للشاعرة وهو ستر دائم بكرمه وعطاء جوده الوافر كناية صفة.

لقد كان أخي صخر ملجأ للمعوزين وقد أقفر الملجأ من بعده، وقد كان بمثابة بناء يلجأ إلي ظله ودفئه المحتاجون .

عبيد بن عبد العزى السلامي[2] **:**

مرافيد للمولى محاشيد للقرى على الجار والمستأنس المتنوّر

مرافيد : كثيرو الرفد وهو العطاء والصلة، المتنور : الذي ينظر إلى نار القرى من بعيد ويقصدها .

فهم كثيرو الرفد أصحاب صلات وعطايا وافرة، ويحشدون للكرم على الجار وطارق الليل الذي تهديه نيرانهم فيستأنس بوجوده معهم، موصوف .

كفاها ابن عمرو ولم يستعن ولو كان غيرك أذنى لها[3]

كان ابن عمرو: معاوية كناية عن موصوف، يكفي قومه شر البلاء ولو كان غيره هو الذي جر البلاء على القوم .

نأي الخليلين كون الأرض بينهما هذا عليها وهذا تحتها سكنا[4]

الخليلان موصوفان الخنساء وصخر أحدهم جُنّ والأخر ميت.

أودى أبو حسّان واحسرتا وكان صخر ملك العالية[5]

قد تُوفى أبو حسان وهي كنية صخر،فالحسرة تملأ قلب شاعرتنا، فإنه كان ملك العالية وقصدت بها عالية نجد .

لقد تُوفي أبو حسان فوا حسرتي عليه، وهو من الأشراف والسادة .

وخاتمة كناية الموصوف يجد الباحث أن الشاعرة تتحدث عن معاوية قليلا ولكن جلّ شعرها عن أخيها صخر الذي تسبل عليه كثيرا من المناقب من مثل : ملجأ الأيتام والأرامل والمحتاجين والفقراء إذ أنه هو من يحمي حماهم ويكون حصنا لهم خاصة عندما تقول : إن صخر مسخّر للأضياف وطلاب المعروف .

ومنها السيادة والشجاعة والمرارة عند الحرب الذي ناهض وخبير بأمورها و موقد نيرانها ، راجح العقل متصرف بالأمور صاحب رأي سديد ، والمروءة والنجدة .

ومنها الجميل بفعاله والحلو بحلاوته في ساعة السلم حينما تسيل كفّها بالعطاء فهو كريم الضيافة ، كبير النفس ، ثابت الجنان ، ابن الأحرار بيد أنه فتى سليم خير العرب .

أي أنه شجاع يحامي ويدافع عن أصحابه وأبناء عشيرته إذا ما حدث ألمّ بهم واشتدت المضاربة بالسيوف فنراه يقوم بصد هذه السيوف عنهم فيبارز الأعداء

---

[1] الخنساء ديوانها : ص 88

[2] هو عبيد بن عبد العزى السلامي أحد بني سلامان بن مفرج، وهو بن عم الشنفرى - انظر نفس المرجع ص :117

[3] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص 94

[4] نفس المصدر السابق : ص 103

[5] نفسه : ص 108

ويحمي أصحابه وهذا حاله في الحروب أيضاً ، أما حاله في السلم فهو كريم معطاء لا يبخل على السائلين إذا ما شح الطعام وبخل الكريم في تقديمه للسائلين لقلته .
ومما سبق يتبيّن صدق العاطفة والشعور بالفقد المؤلم للمرثي من قبل الرثاءة الباكية تماضر .

الفصل الخامس (الكناية عن نسبة)
المبحث الأول : تعريف كناية النسبة مع نماذج لكناية النسبة من العصرين الجاهلي والإسلامي

كناية النسبة : ويراد بها إثبات أمر لأمر ، أو نفيه عنه ، وبها يصرح بالصفة والموصوف ، ولا يصرح بالنسبة الموجودة ، مع أنها هي المرادة . مثال : الكرم في ثوب محمد ، فقد ذكرت الصفة وهي الكرم ، وذكر الموصوف وهو محمد ، ولم نذكر أنه كريم ، نسب الكرم إلى ما في ثوبه ، وهذه تستلزم أن محمدا هو الكريم ، لأن الذي في الثوب هو محمد لا غيره [1].
كقوله تعالى { ولمن خاف مقام ربّه جنتان} [2].
فأثبت الخوف للمقام وهو الموقف الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة ، وأراد بذلك الخوف من الله سبحانه وتعالى ، وترك المعاصي ، ويراد هيمنة ربه عليه ، ومراقبته له ، وعلمه بما يسره وما يخفيه ، فيتجنب المعصية ويبتعد عن اقتراف الإثم .
الشنفرى[3] :

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل

الطول : التفضل على الآخرين بعد المن عليهم

تحل بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالمذمة حلّت

تحل بيتها تقر (بفتح القاف) فيه ، لا تخرج منه كثيرا ، بمنجاة من اللوم : بعيد من كل عمل يمكن أن يجلب اللوم عليها .. إذا كثرت الأعمال الداعية إلى اللوم في بيوت كثيرة .
ومن ذلك أيضا قوله تعالى : { يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله} [4] فهو قد أثبت التفريط في جنب الله ، وهذا لا يصح لأنه شيء محسوس لا يجوز على الله – سبحانه وتعالى – فعلم أنه يراد بقوله تعالى " في جنب الله " أي في حق الله والمراد أنه فرط في عبادة الله وطاعته وأوامره ، ويعقب الزمخشري على هذه الآية الكريمة بأنها من حسن الكناية وبلاغتها " [5].
ومثال ذلك قول زياد الأعجم :

---

[1] علي جميل سلوم - حسن نور الدين :الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل ص 163
[2] المصحف : السورة الرحمن الآية 46
[3] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني تحقيق ج21ص128 د. إحسان عبّاس ، د. إبراهيم السعافين ، أ. بكر عبّاس
[4] سورة الزمر الآية 56
[5] الزمخشري : الكشاف :ج4ص106

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

أراد كما لا يخفى أن يثبت هذه المعاني والأوصاف خلالا للممدوح ، وضرائب فيه ، فترك أن يصرح فيقول إن السماحة والمروءة والندى لمجموعة في ابن الحشرج ومقصورة عليه أو مختصة به ، وما شاكل ذلك مما هو صريح في إثبات الأوصاف للمذكورين بها ، وعدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح فجعل كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه وإشارة إليه فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة ، وظهر فيه ما أنت ترى من الفخامة ، ولو أنه أسقط هذه الواسطة من البين لما كان كلامه غفلا وحديثا ساذجا [1].

دجاجة بن زهري[2] :

يجد الندى والعز حول بيوتنا والخافقات وكل طرف مـرجم

وعفيفهم متكـرم وعلـى الغنـى ضمـان حـق المعدم

من يأتيهم يجد الكرم وعزة النفس ، وقد توثقت بمنازلهم وحتى فقيرهم العفيف صاحب الخلق الفاضل مضمون حقه عند غنيهم تكافلا وتضامنا فيهم .

يقول جميل بن معمر :

أما يتقين الله في جنب وامـق له كبد حـرى عليك تقطّع

غريب مشوق مولع بادكاركم وكل غريب الدار بالشوق مولع

وامق : شديد المحبة يعني نفسه – حرّى : أي ذات حر واحتراق : و قد خاطبها خطاب جمع المذكر السالم تعظيما لها، يستعطف الشاعر محبوبته ويخاطبها متعجبا من أمرها في عدم خوفها من الله في جنب رجل شديد الحب لها وفي حقه الواجب عليها ، والجنب كناية عن ذلك ، لأنه إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه .

وقول الشاعر :

وإذا صحبت رأي الوفاء مجسما في بردك الأصحاب والخلطاء

أراد الشاعر وصف الممدوح بالوفاء، ولكنه لم يصرح بذلك، بل عبر عنه بأسلوب الكناية، فأثبت الوفاء لبرده، والبرد لا يصلح أن يكون محلاً للوفاء ، وإنما يصح هو ما يحتويه برده – أعني الممدوح – وهذه كناية عن نسبة .

عبد قيس بن خفاف البرجمي [3]:

يعيش الندى ما عاش حاتم طيء وإن مـات قـامت للسـخاء مـآتم

ينادين : مات الجـود مـعك فلا نرى له مجيبا ما حام في الجو حائم

يقول : إن الندى : الكرم موثوق الصلة بحاتم الطائي وإن وفاته ما هي إلا سرادق عزاء للسخاء: الجود . فقد توفي الكرم والفضل والسماحة صفات ماتت بموته طالما أن الحياة باقية وفي السماء طائر يطير .

ومنها قول السرى الرفاء في المدح :

صادق البشر ترى ماء الندى يرتقى في وجهه أو ينحدر

---

[1] محمد أبو موسى ، التصوير البيان ، ص 497، دراسة تحليلية لمسائل البيان ،منشورات جامعة قار يونس ط 1978م

[2] نفس المصدر السابق ص : 112

[3] نفسه ص : 186

نفى البيت ثبوت الجود للممدوح ، ذلك أن حلول الجود في وجه الممدوح يستلزم ثبوت الجود له ، لأن الجود وصف لا يصلح قيامه إلا بثبوته للشخص الكريم وهو الممدوح ، ولقد اختار الشاعر ألفاظه المعبرة عن تأكيد ثبوت الكرم للممدوح فبين أنه صادق البشر ، وفي هذا كناية عن تهلل وجهه ساعة عطائه حيث يظهر آثار كرمه على وجهه ، وأنه مبتهج في جميع أحواله مما جعله يجسم المعنى ويصوره بحس ملموس يروق ويعجب السامع أو الرائي لهذا الكريم الذي يعطي بأريحية صادقة تظهر على وجهه المشرق ونفسه المتهللة .

بشر بن عمرو[1] :

في أخوة جمعوا نـدى وسماحة هضـم إذا أزم الشتاء تزعبا
وتـرى جيـاد ثيـابهم مخلولة والمشرفية قد كسوها المذهبا

أي لها أخوة وصفوا بالكرم والمعاشرة الطيبة والسماحة وهم ينفقون أموالهم تكافلا في انتقاص حقوق آخرين منهم ، وذلك في وقت يتسع فيه الشتاء ويقل فيه الطعام . وإذا نظرت إلى صدور ثيابهم وجدها مهترئة ممزقة مثقبة وهم لا يهتمون بملبس أو مطعم بل اهتمامهم بأدوات الحرب وإصلاح أدواتها .

وكقول السرى الرفاء أيضا في الغزل :

فالغصن والدعص في غلائله والليل والصبح فوق أزرار

ففي البيت كناية عن نسبة ، فقد كنى عن صفة الرشاقة التي لجسدها بالغصن ، وسواد شعرها بالليل ، بياض وجهها بالصبح ، وصرح بالموصوف وهو الضمير في قوله : غلائله " العائد على المتغزل بها ، ويقول بها الدين السبكي : ولك أن تقول كل كناية عن وصف كناية عن نسبة لأنك إذا قلت طويل النجاد فمعناه طال نجاده ، فأثبت الطول لنجاده وإنما تريد إثباته لنفسه [2].

قول يزيد بن الحكم يمدح يزيد بن المهلب :

أصبح في قيدك السماحة المجد وفضل الصلاح والحسب

فقد ذكر زياد أن السماحة والمروءة في قبة ابن الحشرج وأراد نسبتها إليه وكذلك يزيد جعل السماحة والمجد والفضل والحسب في قيد بن المهلب وأراد نسبتها إليه .

وقول زهير بن أبي سلمى يخاطب هرم بن سنان :

هناك ربك ما أعطاك من حسن وحيثما يك أمر صالح تكن

قريب من قول الكميت يمدح أبان بن الوليد : يصير أبان قرين السماح والمكرمات معا حيث صارا [3].

زياد الأعجم[4] :

إن الشجاعة والسماحة ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح
فإذا مررت على الطريق فاعقر به كوم الهجان وكل طرف سابح

---

[1] محمد أبو موسى ، التصوير البيان : ص 275 - 276
[2] عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ، ج4ص 261
[3] محمد أبو موسى : دراسة تحليلية لمسائل البيان ص 498
[4] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني : ج15ص 260

يرثي الشاعر المغيرة بن المهلب ويقول : قد حوى قبره الشجاعة والسماحة فهو قبر بناحية (مرو) في طريق واضح معلوم . فإذا مررت بقبر المغيرة فاذبح إكراما له من الهجين وكل ناقة تدخر لجميل المناسبات وعزيزها.

قال السكاكي : وقد يظن هذا من قسم زيد طويل نجاده وليس بذاك فطويل نجاده بإسناد الطويل إلى النجاد تصريح بإثبات الطول للنجاد، وطول النجاد كما تعرف قائم مقام طول القامة، فإذا صرح من بعد بإثبات النجاد لزيد بالإضافة كان ذلك تصريحاً بإثبات الطول لزيد فتأمل، وقول الآخر:

والمجد يدعو أن يدوم لجيده عقد مساعي ابن العميد نظامه

فإنه شبه المجد بإنسان بديع الجمال في ميل النفوس إليه وأثبت له جيداً على سبيل الاستعارة التخييلية ثم اثبت لجيده عقداً ترشيحاً للاستعارة ثم خص مساعي ابن العميد بأنها نظامه فنبه بذلك على اعتنائه خاصة بتزيينه وبذلك على محبته وحده له وبها على اختصاصه به ونبه بدعاء المجد أن يدوم لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد، وبذلك على اختصاصه به .

كعب بن سعد الغنوي [1]:

يبيت الندى يا أم عمرو ضجيعه إذا لم يكن في المنقيات حلوب

المنقيات : ذوات النقى وهو الشحم . حلوب : التي تحلب ، يريد الناقة . أي يريد الشاعر أن ينسب الكرم للممدوح ، حتى ولو لم يكن فيما لديه من سعاية ذوات شحم أو لبن .

وكقول أبي نواس[2]:

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

فإنه كنى عن جميع الجود بأن نكره، ونفى أن يجوز ممدوحه ويحل دونه، فيكون متوزعاً يقوم منه شيء بهذا وشيء بهذا، وعن إثباته له بتخصيصه بجهته بعد تعريفه باللام التي تفيد العموم، ونظيره قولهم مجلس فلان مظنة الجود والكرم. هذا قول السكاكي، وقيل كنى بالشطر الأولى عن اتصافه بالجود وبالثاني عن لزوم الجود له، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون كل منهما كناية عن اختصاصه به وعدم الاقتصار على أحدهما للتأكيد والتقرير وذكرهما على الترتيب المذكور لأن الأولى بواسطة بخلاف الثانية .

أوس بن حجر[3] :

إن الذي جمع السماحة والنـ جدة والحزم والقوى جمعا

المخلف المتلف المرزّأ لم يمتع بضعف ولم يمت طبعا

الشاعر هنا يرثي ميتا لأنه كان كريما مجوادا جمع السماحة في خصاله ونجدة المحتاجين والفقراء ، حازم قوي ، تلك الصفات جمعها ، ويقول أنه يتلف ماله كرما ، ويخلف نجدة ، صاحب رزيئة بسبب العطاء ، وتمتع الإقامة معه ، ولا دنس الخلق .

وتجد قول حسّان[1] :

---

[1] المفضل بن محمد بن يعلي الضبي : المفضليات تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون ص : 73 - 76

[2]) أبو نواس : ديوانه – دار بيروت للطباعة والنشر – سنة 1982- ص 328

[3] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني : ج11ص47

فنحن الذرا من نسل آدم والعرا تربّع فينا المجد حتى تأملا
بنى المجد بيتا فاستقرت عماده علينا فأعيا الناس أن يتحوّلا

أقرب إلى بيت زياد لأن المجد هنا مستقر في بيته الذي أقام عماده في آل حسان فهو أشبه بسماحة ابن الحشرج الكائنة في قبته ، وقله البيت قبله تربع فينا المجد حتى تأثلا صورة أخرى لأن المجد فيها يربو ويتأثل في ديارهم ، وكأنهم هم الذين تولدت فيهم هذه الصفة الإنسانية النبيلة ، وانظر إلى قول حسان : فأعيا الناس أن يتحولا تجد فيه قوة عجيبة .

والصفات هنا مذكورة بألفاظها الصريحة وإنما وقعت الكناية في نسبتها المجسدة المحسة ، فالمجد بنى بيتا ، والجود يلاحظ الخصيب في أدب ومحافظة ، والسماح والمجد والحسب والتقى كلها مكبلة في القد تعاني أثقاله ، وهكذا ترى هذه الأساليب تجري على طريقة الاستعارة بالكناية ، وكأن هذا ضروري حين أراد الشاعر أن ينزع هذه الصفات ، والخلائق المعنوية ، والتي لا تنهض بنفسها ليضيفها إلى ما أضافها إليه مما هو خاص بالممدوح ، أو ليجعلها تسير حيث يسير وهكذا وواضح أن هذا المجاز لا يصل بنا إلى غرار المعنى أعني المراد ، فليس المواد صرورة السماح والمروءة في القبة ، وإنما ما هو وراء ذلك من إضافتها إلى صاحبها ، وهكذا ليس المغزى تصوير المجد في صورة الباني الذي بنى بيتا مكينا يقالب الأحياء وأن قواعده في دار حسان ، وإنما فيما وراء ذلك من نسبة الصفات الماجدة لهم ومخالطتها نفوسهم وأرواحهم وهكذا تجد فرقا بين الصور التي هي كناية سيقت في طريقة المجاز وبين مثل قول الشاعر : قتل البخل وأحيا السماحا ، فإن المغزى ينتهي عند التعبير بالقتل والأحياء بدل الإسهاب والإشاعة ، فإن مقصوده أن يقول : أذهب البخل من حياة الناس ، وأشاع السماح ، وملأ به الأماكن ، وما شابه ذلك مما ترى فيه المعاني الصفات تجري عليها من الأحوال الخيالية ما تجسدها أو تجعلها ماثلة للعيان ، وتفتح لادراكها بابا من أبواب الحس كما يقول عبد القاهر [2].

عبيد بن عبد العزى السلامي[3] :

لنا الغرف العليا من المجد والعلى ظفرنا بها والناس بعد توابع

جعل الشاعر للمجد والعلى غرفا عليا ونسبها لعشيرته التي ظفرت بها إذ أن كل الناس توابع لهم نسبة .

أبو الطمحان القيني[4] :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
لهم مجلس لا يحصرون عن الندى إذا مركب المعروف أجدب راكبه

حسبهم ونسبهم ووجوههم تضيء لهم ظلمة الليل الذي أضيء بوجوه قومه فمجلسهم لا يبخل بل يكرمون بجزيل العطاء حتى يعدم الراكب مؤونته بمركبه .

وقد ذكر البلاغيون قوله تعالى : (ليس مثله شيء) من الكناية عن النسبة وعولوا فيها على كلام الزمخشري رحمه الله الذي يقول فيه : " مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن

---

[1]) حسان بن ثابت : شرح ديوانه –وضعه وضبط الديوان وصححه : عبد الرحمن البرقوقي – دار الكتاب العربي سنة 1990: ص 404

[2] محمد أبو موسى : دراسة تحليلية لمسائل البيان ص 500، منشورات جامعة قاريونس 1978

[3] هو عبيد بن عبد العزى السلامي أحد بني سلامان بن مفرج ، وهو بن عم الشنفرى - انظر نفس المرجع ص :117

[4] الأصفهاني أبو الفرج : الأغاني : ج13ص5 – 8

مثله ، وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة في فسلكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عمّن يسد مسده وعمّن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي ، العرب لا تخفر الذمم ، كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ، ومنه قولهم قد أيفعت لداته ، وبلغت أترابه ، يريدون إيفاعه وبلوغه وفي حديث رُقية بنت صيفي في سقيا عبد المطلب ألا وفي الطيب الطاهر لداته والقصد طهارته وطيبه ، فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قولهم لي: ليس كالله شيء وبين قوله : ليس كمثله شيء ، إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها ، وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد ، وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عزّ وجلّ : (بل يداه مبسوطتان) فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لأنها وقعت عبارة عن الجود ، ولا يقصدون شيئا آخر حتى أنهم استعملوه فيمن لا يد له [1]، وكقولهم مثلك لا يبخل قال الزمخشري نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته، قصدوا المبالغة في ذلك

فسلكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه، ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم، فإنه أبلغ من قولك أنت لا تخفر، ومنه قولهم أيفعت لداته وبلغت أترابه، يريدون إيفاعه وبلوغه، وعليه قوله تعالى: " ليس كمثله شيء " على أحد الوجهين وهو أنه لا تجعل الكاف زائدة، قيل وهذا غاية لنفي التشبيه، إذ لو كان له مثل لكان لمثله شيء يماثله وهو ذاته تعالى فلما قال ليس كمثله دل على أنه ليس له مثل، وأورد أنه يلزم منه نفيه تعالى لأنه مثل مثله ورد بمنع أنه تعالى مثل مثله لأن صدق ذلك، موقوف على ثبوت مثله تعالى عن ذلك. وكقول الشنفري الأزدي في وصف امرأة بالعفة:

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها إذ ما بيوت بالملامة حلت

فإنه نبه بنفي اللوم عن بيتها على انتفاء أنواع الفجور عنه، وبه على براءتها منها، وقال يبيت دون يظل لمزيد اختصاص الليل بالفواحش .

ميّة بنت ضرار الضبية[2] :

لا تعرف الكلم العوراء مجلسه ولا يذوق طعاما وهو مستور
الطاعن الطعنة النجلاء عن عرض كأنها قبس بالليل مسعور

تصف مية أخيها قبيصة وتقول : إن مجلسه لا يعرف الكلام القبيح المذموم البذيء عفة في لسانه، وطعامه مشهور ظاهر غير مستور ، وهو صاحب الطعنة الواسعة الغائرة التي تشاكل ضوء النار المشتعل ليلا .

وقد يظن أن هنا قسماً رابعاً وهو أن يكون المطلوب بالكناية الوصف والنسبة معاً كما يقال يكثر الرماد في ساحة عمرو في الكناية عن أن عمراً مضياف وليس بذاك، إذ ليس ما ذكر بكناية واحدة بل هو كنايتان إحداهما عن المضيافية والثانية عن إثباتها لعمرو وقد ظهر بهذا أن طرف النسبة المثبتة بطريق الكناية يجوز أن يكون مكنياً عنه أيضاً كما في هذا المثال، ونحوه بيت الشفري المتقدم فإن حلول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة إلى صاحبه، والمنجاة من اللوم كناية عن العفة، واعلم أن

---

[1] محمد أبو موسى : دراسة تحليلية لمسائل البيان : ص 503/502

[2] الأصفهاني أبو الفرج: الأغاني 332/16، النقائض152/1، وايام العرب قبل الإسلام 81/2

الموصوف في القسم الثاني والثالث قد يكون مذكوراً كما مر وقد يكون غير مذكور كما تقول في عرض من يؤذي المسلمين المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده أي ليس المؤذي مسلماً. وعليه قوله تعالى في عرض المنافقين " هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب " إذ فسر الغيب بالغيبة أي يؤمنون مع الغيبة في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أو أصحابه رضي الله عنهم، أي هدى للمؤمنين عن إخلاص لا للمؤمنين عن نفاق. وقال السكاكي الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة فإن كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضاً و إلا فإن كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في كثرة الرماد وأشباهه فالمناسب أن تسمى تلويحاً، لأن التلويح هو أن يشير إلى غيك عن بعد و إلا فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزاً لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية .

النابغة الحارثي [1]**:**

وَتَبيتُ جارَتُنا حَصاناً عَفَّةً تَثني وَيأَخُذُ حَقَّهُ مَولانا

أن كل من تجاورنا من النساء تكون في مأمن من أمرها وذلك لعفتنا وكرامتنا نسبة ، ونعطي كل صاحب حق حقّه تتضح الأمانة كصفة فيهم .

قال:

رمزت إلي مخافة من بعلها من غير أن تبدي هناك كلاما

جَبَلَة بن الحارث [2]**:**

هو الفَتى يحمدُ الجيرانُ مشهدَه عند الشتاءِ وقد همّوا بإخماد

إن هذا الممدوح محمود المشهد عند الجيران نسبة ، وذلك في فصل الشتاء وهو الذي يظهر كرمه لهم عند ما همّوا بإخماد النيران .

و إلا فالمناسب أن تسمى إيماء وإشارة كقول أبي تمام يصف إبلاً:

أبين فيما يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد

فإنه في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف وكقول :

المخبّل [3] **:**

فمن ير مجدا في قريع فإنه تراث أبيها ، مجده ، وفواضله

يقول أن المجد منتسب لقريع فهو تراث مورث وأفضاله واضحة كناية نسبة ، صفة .

ثم قال والتعريض كما يكون كناية قد يكون مجازاً كقولك:

آذيتني فستعرف وأنت لا تريد المخاطب بل تريد إنساناً معه وإن أردتهما جميعاً كان كناية.

---

[1] يزيد بن أبان الحارثي : ويقال له نابغة بني الديان وينتهي نسبه إلى كعب بن الحارث ، شاعر جاهلي قال عنه الآمدي إنه شاعر محسن له شعر في أخبار المراقسة وأشعارهم.

[2] جبلة بن الحارث بن أبان بن جذيمة بن عمرو بن كاهل بن أسلم بن تدول بن تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة.
له أبيات في رثاء مسعود بن شداد الكلبي الذي قتله الأسود بن عامر الطائي وذلك يوم أغار مسعود في رهط من بني كلب على طيء وقتل عامر بن جوين. فلما عاد الأسود بن عامر لحق بمسعود بن شداد فقتله ورفاقه.

[3] ابن ربيعة بن عوف ، وقيل ربيعة و كنيته أبو يزيد ، وهو شاعر فحل ، الأغاني 12/39-40
انظر ت د. فخر الدين قباوة: كتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات ص :693

ومن مثله قولهم : " مثلك لا يبخل " قال الزمخشري : نفوا البخل عن مثله ، وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية ، لأنهم إذا نفوه عمّن يسد مسده ، وعمّن هو ‘لى أخص أوصافه ، فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي : العرب لا تخفر الذمم ، كان أبلغ من قولك : أنت لا تخفر [1].

وكقول الشاعر :

اليمـــن يتبع ظله والمجــد يمشي في ركابه

اليمن : البركة ، الركاب : الإبل اتي يسار عليها

فاليمن يتبع ظله كناية عن نسبة اليمن للمدوح ، والمجد يمشي في ركابه كناية عن نسبة المجد للممدوح أيضا.

وقول الشاعر :

وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما في بردك الأصحاب والخلطاء

أراد الشاعر وصف الممدوح بالوفاء ، ولكنه لم يصرح بذلك ، بل عبر عنه بأسلوب الكناية ، فإثبت الوفاء لبرده ، والرد لا يصلح أن يكون محلا للوفاء ، وإنما الذي يصح ما يحتويه برده – أعني الممدوح – وهذه كناية عن نسبة .

وقد يُظن أن للكناية قسما رابعا وهو أن تكون الكناية عن صفة ونسبة معا حيث المطلوب في الكناية الوصف والتخصيص معا ، مثل : يكثر الرماد في ساحة عمرو ، ففيه كنايتان ، وانتقال من لازمين إلى ملزومين ، أحد اللازمين : كثرة الرماد ، والثاني تقييدها وهي في قولنا : في ساحة عمرو ، والكناية في القسم الثاني والثالث تكون مسوقة لأجل الموصوف المذكور كما تقول: فلان يصلي ويزكي ، ونتوصل بذلك إلى أنه مؤمن ، وتارة تكون مسوقة لأجل موصوف غير مذكور كما في عرض من يؤذي المؤمنين : المؤمن هو الذي يصلي ويزكي ، ولا يؤذي أخاه المسلم ، ونتوصل بذلك على نفي الإيمان عن المؤذي ، وكقول الله عزّ وجلّ في عرض المنافقين: {هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب} [2] إذا فسر الغيب : بالغيبة بمعنى : يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أو عن جماعة المسلمين ، على معنى هدى للذين يؤمنون عن إخلاص لا للذين يؤمنون عن نفاق ، ومن لوازم هذا النوع ألا يذكر الموصوف ، بل يستحيل ذكره لتقابل الصفتين [3].

---

[1] الزمخشري ، الكشاف ، ج3ص166

[2] المصحف : سورة البقرة الآيتان 2 - 3

[3] العلوي : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز :ج1ص375، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، 1980

الفصل الخامس (الكناية عن نسبة)

المبحث الثاني

كناية النسبة في شعر الخنساء

و نماذج من العصرين الجاهلي والإسلامي

المجد حلته والجود علته والصدق حوزته إن قرنه هابا [1]

إذا اعتلّ فهو جواد ، فكيف أن يعتلّ

الأول : المجد يتمثل كثوب جديد رقيق يرتديه الممدوح : كناية نسبة

الثاني : الحمد شيمته ملازم له : كناية نسبة

إذا طلبت إليه حاجة فإن علته أن يقضيها لك – وحوزته أي حرزه الذي يستحرز به (ويلجأ ويتحصن به) وهو شجاع .

مسافر بن أبي عمرو[2] **:**

ورثنا المجد عن آبا ئنا فنحى بنا صعدا

وزمزم في أرومتنا ونفقأ عين من حسدا

إنهم ورثوا الجد عن آبائهم فزادهم ذلك علوّا وسموّا وعندهم ماء زمزم والحسود منهم ثقبت عينه إعلاء لشأنهم .

فأغفى قليلا ثم طار لرحلها ليكسب مجدا أو ليحور لها نهب [3]

فنام برهة وجيزة ، ثم استيقظ واتجه إلى ناحية يهدف من السير منها ، أن يترك ذكرا حسنا: نسبة ، أو يغنم غنيمة كبيرة نسبة.

يزيد بن فسحم [4]**:**

إذا جئتنا ألفيت حول بيوتنا مجالس تنفي الجهل عنّا وسؤددا

نحامي على مجد الأغر بمالنا ونبذل حرزات النفوس لنحمدا

إذا أتانا ضيف ، يجد حول بيوتنا مجالس سؤدد وشرف ، إذ ينتفي منها الجهل ، ونحن الحامين الأغر مجدا بما نملك ونبذل النفوس الغاليات طلبا للحمد والشكر .

ماذا تضمن من جود ومن كرم ومن خلائق ما فيهن مقتضب[5]

الخلائق : جمع خليقة ، وهي الطبيعة والسجية . والمقتضب ، القصير النفس ، والسريع أي تضمن قبر صخر الجود والكرم وكذلك طبائع وسجايا تامة ومكتملة وسريعة فضائله ، نسبة.

إني تذكرته والليل معتكر ففي فؤادي صدع غير مشعوب [6]

تقول : إنها تذكرته والليل شديد السواد : صفة وفي فؤادها شقّ ، ووصفته بأنه غير ملتئم بأن تنفي الالتئام صفة عن شقّ بفؤادها هذه نسبة ، التي توصلنا إلى صفة وهي شدة حزنها وألمها على أخيها .

---

[1] الخنساء ديوانها : – المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان : ص 20

[2] عبده عون الروضان – موسوعة شعراء العصر الجاهلي : ص : 298

[3] الخنساء ديوانها : ص21

[4] عبده عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي ، ص 328، دار أسامة للنشر والتوزيع .

[5] الخنساء ديوانها : ص 23

[6] نفس المرجع : ص23

أبو دهبل [1] **:**

أنا ابن الفروع الكرام التي هـذيل لأبياتها سابلة
هم ولـدوني وأشـبهتهم كما تشبه الليلة القابلة

الفخر واضح في قول أبي دهبل: إذ يقول إنه ابن الفروع الكرام نسبة وقبيلة هذيل تسبل لأبيات العشيرة لكرمها وكثرة جودها ، فإنني ابنهم الذي شابههم كما تتشابه الليلتان (الليلة والبارحة أي التي مضت)

ومن أسير بلا شكر جزاك به بساعديه كلوم غير تجليب[2]
فككتـه ومقـال قلتـه حسن بعد المقالة لم يؤبن بتكذيب

تواصل شاعرتنا فخرها بأخيها صخر وتقول إن صخرا كان عونا للأسير الجريح في ساعديه وكذلك : فكنت نعم الخطيب أنت ، لأنك بمقالك الحسن كناية نسبة ، فككت أسره ومقالك لا يعاب ولا يخلط نسبة .

وكم من أسير ليس له فضل سابقة عليك ، وكان قد جرح ولا تزال جرحه تنزف ، ولكنك أعتقته وحللت قيوده ، ولكم لك من قول جميل أطلقته في المجالس لفك الخصومات ، فلم يطعن له أحد أو يشك به إنسان.

أم قيس الضبية [3]**:**

فَرّجته بِلسانٍ غير ملتبسٍ عندَ الحِفاظِ وقلبٍ غير مزؤودِ

نفت الشاعرة عدم التباس لسان الممدوح الذي فرّج الخطاب نسبة ، وكذلك بقلب غير خائر متروّع في اللقاء .

فتى السن كهل الحلم لا متسرع ولا جامد جعد اليدين جديب [4]

قديم حلمه : نسبة ، ليس بمتسرع : صفة ، ولا جامد : صفة ، جعد اليدين كناية عن البخل وقد نفتها .

فهر بن مالك[5] **:**

وكان نجدا جـواد الكف ذا ثقة يوم الصبيب وبين المـأزق الترب
حامي عن الجار والمولى بنجدته وقد يحامي عن المولى أخو الحسب

أي كان غوثا للمحتاج والجود بكفه مغداق واثق ويحمي الجار بكرمه وصونه ، ويغيث مواليه بما يحتاجونه وغالبا ما يفعل ذلك كريم الحسب والنسب .

أخو الفضل لا باغ عليه لفضله ولا هو خرق في الوجوه قطوب [6]

الخرق : من الخرق وهو الحمق ، وسوء التصرف وضعف الرأين، والقطوب : العبوس .

تقول الخنساء : إن صخرا هو أخو العطاء الوافر والكريم الغداق ، وحتى ولو أتاه سائل يبتغي نوالا منه ، تجده باشا في وجه سائله .

أروى بنت عبد المطلب [1]**:**

---

[1] عبد الرحمن بن عبد الله بن درهم : نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار ، ص : 771
[2] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية - بيروت لبنان : ص23
[3] أم قيس الضبية. شاعرة جاهلية. مات لها ولدان فرثتهما بأبيات.
[4] الخنساء ديوانها : ص23
[5] عبده عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص: ص : 259
[6] الخنساء : ديوانها : ص 23

عَلى سَهلِ الخليقةِ أبطحيٍّ كَريم الخيم شيمَتهُ العلاءُ
طَويل الباعِ أبيض شيظميّ أَغرَّ كـأنّ غرّته ضياءُ

كأني أجد أروى تَعدد صفات من مثل سهولة الخليقة ، وكريم الثوب طيبة رائحته ، والعلا من شيمه ، فبكاء أروى على رجل به مثل هذه الصفات بحسن الخَلق والخُلق ، بل أنها انتقلت به للنسبة كريمة رائحة ثوبه ، صفة علو الشأن فيه ، وله باع طويل كرما وجودا منه ، أبيض كناية عن كرم الأصل والشرف ، وأثبتت ذلك بقولها : أغر ، بأعلى رأسه ضياء .

كراهية والصبر منك سجية إذا ما رحى الحرب استدرت [2]

الصبر طبيعة فيك ومنك نسبة وصفة ازدواج ، إذا دارت رحى الحرب التي شاركت فيها مرارا حتى تثار وتشتعل ، شدة اشتعال الحرب صفة .

حذيفة الهذلي [3]**:**

بَنو الحَربِ أُرضِعنا بِها مُقمَطِرَّةً فَمَن يُلقَ مِنّا يُلقَ سيدٌ مُدَرَّبُ

يقول : إننا نحن أبناء الحرب الذين رضعنا بها وهي مشتعلة شديد شرّها ، نسبة ، فمن يلتقينا يلتقي منا كل سيّد مخبور مجرب بأمورها وطرقها ومسالكها ، .

لهفي على صخر فإني أرى له نوافل من معروفه قد تولّت [4]

النوافل : العطايا : واحزني على صخر فلقد كانت عطاياه وافرة : نسبة وقد ذهبت .

عامر الفزاري [5]**:**

فَأَبقَت لَنا آباؤُنا مِن تُراثِهِمْ دَعائِمَ مَجدٍ كانَ في النَّاسِ مَعلَما

يقول : لقد ورثنا مجدا من آبائنا وكان مجد قديما ثابتا قويا وكان هو معلما للناس فينا نسبة .

فتى كان ذا حلم أصيل تؤدة إذا ما الحبى من طائف الجهل حلّت [6]

كان صخر رجلا أصيل الرأي : نسبة ، متمهلا : صفة ، مستوعبا : صفة والحبى : حبوة وهي ثوب أو عمامة كانت العرب تحتبي به عند الجلوس وذلك لأنهم كنوا يجمعون بين ظهورهم وسوقهم ليستندوا . وحلّ الحبا كناية عن القيام كما أن عقدها كناية العقود ..

عمرو بن الأسود [7]**:**

وَمُحَلَّماً يَمشونَ تَحتَ لِوائِهِم وَالمَوتُ تَحتَ لِواءِ آلِ مُحَلِّمِ

يقول : ومنا رجل حليم سيّد شريف قائد يمشون تحت إمرته ، وأعزَ الموت يكون تحت لواء هذه القبيلة نسبة .

أخو الحزم في الهيجاء والعزم في التي لوقعتها يسوّد بيض المسايح [8]

---

[1] ? - 15 هـ / ? - 636 م / أروى بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية.
عمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإحدى فضليات النساء في الجاهلية والإسلام. كانت راجحة الرأي، تقول الشعر الجيد.
أدركت الإسلام فأسلمت وعمرت إلى خلافة عمر بن الخطاب.

[2] ديوان الخنساء - المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان : ص25

[3] حذيفة بن أنس الهذلي. أحد بني عمرو بن الحارث من بني هذيل عاش في الجاهلية وصدر الإسلام. ونظم في الفخر والهجاء.

[4] الخنساء ديوانها : ص26

[5] عامر بن مالك الفزاري. شاعر جاهلي من قبيلة ذبيان، له شعر في كتاب شعراء قبيلة ذبيان في الجاهلية.

[6] الخنساء ديوانها : ص26

[7] عمرو بن الأسود : شاعر من شعراء الأصمعيات ليس له ترجمة ولا ذكر إلا أبيات من الشعر ذكر الأصمعي أنه أشدها يوم ذي قار.

[8] الخنساء ديوانها : ص32

أخو الحزم : كناية نسبة الحزم له ، فهو حازم في الحرب الهيجاء صفة التي إن دارت جعلت البياض سوادا ، شدة اشتعالها واتقادها .

عامر بن ثعلبة الأزدي [1]**:**

منا بأَرضِ عمانٍ سادةٌ رُجحٌ عند اللقاءِ وحيٌّ دارهم هَجَرُ

يقول : من قبيلتنا في أرض عمان سادة راجحة عقولهم نسبة ، وذلك يتضح في مجامع الحرب . ومن ترك المنازل من الأحياء الذين يرغبون في منازلة الأعداء صفة الشجاعة .

عبد الله بن رواحة [2]**:**

إذا غُيِّرَت أَحسابُ قَومٍ وَجَدتَنا ذَوي نائِلٍ فيها كِرامَ المَضارِبِ

عبد الله بن رواحة يقول : إذًا غيّرت أقوام أصولها وما ورثوه عن أجدادهم ، تجدنا أصحاب شرف رفيع عالٍ كريم الأصل ، نسبة .

نَبِيٌّ وَصِدّيقٌ وَفاروقُ أُمَّةٍ وَخَيرُ بَني حَوّاءَ فَرعاً وَعُنصُرا

ومن يقع في دائرة المدح لابن رواحة هم أعاظم الرجال من مثل (النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه) ، أبوبكر الصديق (رضي الله عنه) ، عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، والرسول (ص) هو خير البشر من حواء كريم الأصل والعنصر شرفا ورفعة شأن ، نسبة .

حسيب لبيب متلف ما أفاده مبيح تلاد المستغش المكاشح [3]

حسيب ذو حسب ، لبيب ذكي ، كريم يتلف المال كرما منه ، ويبيح كل علاوة قديمة للذي فيه كشاحة صفة .

فتصف الخنساء أخيها صخر بأنه من أهل الشرف والسؤدد حسبا ونسبا وبالذكاء والكرم بما يمتلكه ومسامح لكل من يضمر له عداوة قديمة .

السيد الجحجاح وابن م السادة الشم الجحاجح [4]

وأبكي لصخر السيد العظيم الفعال صفة وكيف لا وهو ابن السادة الأشراف كريمي الأصل والحسب،نسبة .

ابن جوين الطائي [5]**:**

إِنَّني غَيرَ الَّذي زَعَموا واسِطٌ في طَيءٍ نَسَبا
إِنَّني مِن غَضبَةٍ فَرَعَت ذِروةً لما تَكن ذَنَبا

---

[1] عامر بن ثعلبة الأزدي. شاعر الأزد وقت انتشارهم في عُمان والبحرين أو بعد ذلك بقليل، وله في ذلك مقطوعة رواها العوتبي.

[2] ? - 8 هـ / ? - 629 م :عبد الله بن رواحه بن ثعلبة الأنصاري من الخزرج، أبو محمد.
صحابي، يعد من الأمراء والشعراء الراجزين. كان يكتب في الجاهلية.
وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار. وكان أحد النقباء الإثنى عشر وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية.
واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في إحدى غزواته. وصحبه في عمرة القضاء وله فيها رجز.
وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة (بأدنى البلقاء في أرض الشام) فاستشهد فيها.

[3] الخنساء ديوانها : ص32

[4] نفس المصدر السابق : ص28

[5]) عامر بن جوين الطائي : شاعر جاهلي وخطيب فارس من شعراء الجاهلية المرموقين وخطبائها وفرسانها وله مع المنذر بن النعمان الأكبر جد النعمان بن المنذر محاورة.
وقد كان امرؤ القيس قد نزل به فأجاره وكان عامر يومئذ أحد الخلفاء الفتاك وقد تبرأ قومه من جرائره.
وقد عمر طويلاً، وله قصيده نادرة تقع في 32 بيتاً.

وهو غيرما يزعمون ويحسبون ، لأنه من قبيلة طي المشهورة بالكرم ، فنسبه ينتمي إليهم ، ويفتخر من معشر يعد فرعا من أصول عالية بشرفها وكرم أصلها ، ولم تكن قبيلته تابعة ومتذيلة.

يندبن فقد أخي الندى والخير والشيم الصوالح [1]

يبكين فقد صخر أخي الندى والخير نسبة وصاحب الخلق والطباع والعادات الحسنة ، نسبة .

تبكي نسوتنا لموت الكريم صخر ، صفة ، صاحب الفعال الحميدة .

أبو المثلم الهذلي [2]:

يُعطيكَ ما لا تَكادُ النَفسُ تُرسِلُهُ مِنَ التِلادِ وَهوبٌ غَيرُ مَنّانِ

أجد ممدوح أبي المثلم يكرم بكل ما يعز على النفس أن تجود به ، وسيما ممّا هو تليد ، فهو وهوب ، إذ لا يخبر بالعطاء والكرم الذي هو خلق فيه ، كناية نسبة .

والجود والأيدي الطوا ل المستقيمات السوامح [3]

صاحب السخاء ، والنعم التي لا يقدر أحد على تقديم مثيل لها .

الممزق العبدي [4] **:**

علوتم ملوك الناس في المجد والتقى وغرب ندى من عروة العز يستقي

أي أنكم كنتك أعلى الملوك في المجد و التقى والندى والعز كناية نسبة .

وبحلم إذا الهجول اعتراه يردع الجهل بعد ما قد أشاحا [5]

وهو حليم صفة ، واسع الصدر : نسبة ، إذ نازعه سفيه بالغ الجهل ، استطاع أن يرد ذلك الجاهل عن حماقته ، ولو كان الجهل متمكنا منه .

مالك بن كعب [6]**:**

وهم أورثوني مجدهم وفعالهم فأقسم لا يزري بهم أبدا عقبي

وأرعى لجاري ما حييت ذمامة وأعرف ما حقّ الرفيق على الصحب

أي أن أجداده وآباؤه أورثوه المجد وكريم الأفعال نسبة، فإن عقبه لا يعيب طالما ورث مثل هذه الصفات المستحبة عند العرب، ومنّا الراعي حقّ الجار المأمون جانبنا، وكذلك العارف حقّ الصحب والرفاق، وهو ليس ناكر جميلهم عليه ، ولا قانع بمفرده دونهم .

أنت المهند من سليم في العلا والفرع لم يسب الكرام بمشهد [7]

المهند من أسماء السيف : وصفت صخر بأنه سيف قاطع من سيوف بني سليم (أحد آباء الشاعرة) فهذه القبيلة السامية بشرفها وأصلها وكرمها فالفرع للأصل ينتمي ، نسبة .

مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمي [1]**:**

---

[1] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص29

[2]) أبو المثلم الهذلي : شاعر جاهلي من بني هذيل كان له مع صخر مناقضات شعرية حيث تقل صخر الغي جار أبي المثلم ، ولكن أبا المثلم مات بعد أن مات صخر الغي رثاه بشعر

[3] نفسه : ص29

[4] الأصمعيات : اختيار الأصمعي : أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ص : 164 - 166

[5] الخنساء ديوانها : ص31

[6] عبد الرحمن بن عبد الله بن درهم : نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار : ص : 747

[7] الخنساء ديوانها : ص39

وكنّا ملوكا في الدهور التي مضت ورثنا ملوكا لا ترام فتوضع

ملك غير مقصود ، ولا وضيع لأننا ورثناه أبا عن جد في الدهور التي مضت فأصبحنا ملوك بهذا الإرث المتعاظم .

ضخم الدسيعة ماجدا أعراقه كالبدر أو طلعة كالأسعد [2]

الدسيعة : هي الجفنة الكبيرة كناية عن جوده وكرمه ، والمجد متعلق بأجداده وكرمهم نسبة ، وقدومه لمستقبليه بالسعادة ، وهو مشبه بالأسعد وهو من النجوم .

أم جميل بنت أمية [3] **:**

ضخمُ الدسيعةِ ماجد يعطي الجزيلَ بلا كدَر

أم جميل تصف مقصودها بأنه رجل كبير إناء كرمه وهو كريم شريف الأصل نسبة ، وإن العطاء منه وافر طواعية بغير تجهّم منه فهذه سجيته .

أم حكيم بنت عبد المطلب [4]**:**

طويل الباع شيبةَ ذا المعالي كريمَ الخير محمودَ الهِباتِ

طول الباع كناية عن كثرة الكرم فوصف ما هو متعلق بالممدوح نسبة ، وواضح ذلك في قولها كريم الخير ، وأن هباته محمودة غير منقوصة .

يا بن القروم ذوي الحجى وابن الخضارمة المرافد[5]

تقول له يابن السادة الأشراف أصحاب العقول الراجحات حمالي الأمور الثقال الجسام العظائم ، نسبة ، منها الذين يعينون بمعونتهم كل معتسر محتاج.

إذا القوم مدّوا بأيديهم إلى المجد مدّ إليه يدا [6]

فنال الذي فوق أيديهم من المجد ثم مضى مصعدا

تفتخر وتنسب المجد لصخر ، وتقول : إذا القوم أرادوا أن ينالوا المجد بأيديهم ، فنوال المجد حتما سيكون لصخر الذي اتصف بصفات جعلت المجد رفيق دربه وهو صاعد إلى أعلى درجاته، بفعاله الحميدة ومفاخره الباهرة .

خُراشَة العَبسي [7]**:**

وَأَطوَلُ في دارِ الحِفاظِ إِقامَةً وَأَربَطُ أَحلاماً إِذا البَقلُ أَجهَلا

قُرومٌ نَمَتنا فِي فُروعٍ قَدِيمَةٍ بِحَيثُ اِمتِناعُ المَجدِ أَن يَتَنَقَّلا

يقول : أنه يطول به المقامً في دار تحفظ للنزيل حقه ، وهم الذين وصفهم شاعرنا بثبات العقول والقلوب ، ورباطة جأشها ، حين أن يكون غيره جاهلا، فإننا أبناء سادة أشراف نتوارث هذا الشرف الأصيل من قديم الزمان ، ومثل مجدنا هذا ثابت لا يتنقل .

ترى المجد يهوي إلى بيته يرى أفضل الكسب أن يحمدا[1]

---

[1] هو أحد ملوك العرب في الجاهلية ، كان محبا للغزو ، كثير المعارك . وكان يقيم في الحجاز قبل الميلاد بزمن بعيد – الأغاني 11/15

[2] الخنساء ديوانها : ص39

[3] أروى بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : شاعرة جاهلية، من سادات نساء قريش، وهي أخت أبو سفيان بن حرب، وامرأة أبي لهب. وهي حمالة الحطب في قوله تعالى: {وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد}

[4] أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم : شاعرة جاهلية. طلب منها والدها قبل وفاته أن ترثيه ، فرثته بأبيات جميلة.

[5] ديوان الخنساء : ص37- المكتبة الثقافية - بيروت – لبنان

[6] نفس المصدر السابق : ص33

[7] خُراشَة بن عمرو العَبسي : شاعر جاهلي من الفرسان، حضر يوم شعب جبلة الذي قتل فيه لقيط بن زراة، وقال في ذلك اليوم قصيدة من المفضليات (14 بيتاً) أولها: أبى الرسم بالجونين أن يتحولا وقد زاد بعد الحول حولاً مكملا

فإنك ترى المجد والسؤدد منتسبان إلى بيت صخر : نسبة فوجود المجد محمود إلى بيته ، كسب فاضل ، نسبة .

الأسود بن يعفر النهشلي [2]:

وإنا لنقري حين نحمد بالقرى بقايا شحوم الآبيات المفارِق

إذا أكرمنا فمحمود كرمنا ، فهو دليل على كثرة الكرم ، حينما يكون من بقايا شحوم النوق الرافضة ، والتي تفارق جمعها , كناية عن نسبة .

إذا ذكر المجد ألفيته تأزّر للمجد ثم ارتدى [3]

إذا ذكر الناس المجد وجدت صخر ، قد اتخذ المجد إزارا ورداء : نسبة .

سَعنَة بن سَلامة [4]:

وإن أردتُ مُقاما قال قائلهم يا سعنةَ الخيْرِ قدَ قرَّتْ بنا الدارُ

يفتخر الشاعر بنفسه وقومه قائلا : إذا أردنا مقاما فنحن إذا نزلنا دارا فرح بنا أهل الدار لكرم وسماحة فينا ونسب له الخير كناية عن الفوائد التي يجنيها غيرهم منهم .

يا عين فابكي فتىً محضا ضرائبه صعباً مراقبه سهلاً إذا ريدا [5]

ويستمر بكاء الشاعرة على فتى سجاياه وطبائعه صافية من الدنس واللوم والإثم وكناية النسبة واضحة كوصف السجايا والطبائع بالصفاء مما يتعلق بها. وفوق ذاك صعب لمن يراقبه وسهل إذا احتيج إليه .

الخِرنِقِ بِنتِ بَدر [6]:

وَبَعدَ الخَير عَلقَمَةَ بنِ بِشرٍ إذا نَزَتِ النُفوسُ إلى الحُلوقِ
وَبَعدَ بَني ضُبَيعَةَ حَولَ بِشرٍ كَما مالَ الجُذوعُ مِنَ الحَريقِ

تقول الخرنق بنت بدر : إن علقمة بن بشر توقف بعد وفاته الخير ، وصعدت النفوس إلى الحلوق ، ومالت ضخام الجذوع من الحريق ، كل ذلك وفاء لموت علقمة الخير ، كناية عن نسبة

قد عشت فينا ولا ترمي بفاحشة حتى توفاك رب الناس محمودا[7]

مدة حياة صخر وعيشه لا يرمي بفاحشة ، وترك الخنساء ل (من المرمى) أيا كان وقد رميه الفحشاء نسبة ، إلى أن توفى والله قدير مقدر للأعمار ولكن صخرا توفى وهو محمود الخصال والفعال .

أُحَيحَةِ بنِ الجَلّاح [8]:

---

[1] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص34

[2]) ? - 23 ق. هـ / ? - 600 م الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي، أبو نهشل : شاعر جاهلي، من سادات تميم، من أهل العراق، كان فصيحاً جواداً، نادم النعمان ببن المنذر، ولما أسن كفّ بصره ويقال له: أعشى بني نهشل.

[3] الخنساء ديوانها :ص34

[4] سعنة بن سلامة بن الحارث بن امرئ القيس بن زهير بن جناب. شاعر جاهلي معمر، من بني كلب، وتنتسب قبيلة كلب إلى كلب بن وبرة بن تغلب من بني قضاعة بن معدّ بن عدنان، وهي إحدى جماجم العرب (والجماجم هي القبائل التي تجمع البطون وينسب إليها دونهم).

[5] الخنساء ديوانها : ص38

[6]) ? - 50 ق. هـ / ? - 574 م الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك من بني ضبيعة، البكرية العدنانية : شاعرة من الشهيرات في الجاهلية، وهي أخت طرفة ابن العبد لأمه.
وفي المؤرخين من يسميها الخرنق بنت هفان بن مالك بإسقاط بدر، تزوجها بشر بن عمرو بن مَرْثَد سيد بني أسد وقتلهُ بنو أسد يوم قلاب (من أيام الجاهلية)، فكان أكثر شعرها في رثائه ورثاء من قتل معه من قومها ورثاء أخيها طرفة.

[7] الخنساء ديوانها : ص38

[8]) ? - 129 ق. هـ / ? - 497 م أُحَيحَة بن الجُلاح بن الحَرِيش الأوسي أبو عمرو.

وَأُعرِضُ عَن أَشياءَ لَو شِئتُ نِلتُها حَياءً إِذا ماكانَ فيها مَقاذِعُ

أحيحة يعرض عن كل ما هو يزري ويعيب ، وهو في إمكانه نيلها ، ولكن حياؤه يعصمه منها ، وقد تجلب له اللوم والعار ، كناية نسبة .

المدره الفيّاض يحمل عن عشيرته الكبر[1]

يعطي الجزيل ولا يمن وليس شيمته العسر

وتصفه بصفة السيادة والإقدام والجراءة الذي يحمل - وهنا استمرارية - عن عشيرته قومه وأهله كل مصائب أو خطوب وهو ذخر للقبيلة وعطاء صخر موصوف بالكثرة نسبة ولا يحدث بما يكرم به والصعوبة شيمته تتنحى في حضرة صخر وهو سهل (سهل إذا ريدا).

سمح خلائقه جزل مواهبه وافي الذمام إذا ما معشر غدروا [2]

سمح الأخلاق ، مواهبه وعطاياه ومكرماته كثيرة ، وفي في عهوده صفة فيه، وكل هذه الصفات ارتبطت بموصوف هو صخر فأصبحت الكناية كناية نسبة – وتتوفر فيه هذه الخصال عندما يتصف المعشر بالغدر والخيانة.

خمعة بنت الخس [3]:

وَإِنجازك الموعودَ مِن سَبب الغِنى فَكُن موفِياً بِالوعدِ تُعطي وتنجزُ

كونك تنجز الوعد وفاء منك ، وتوفي بما وعدت ، وكثرة العطاء والكرم ، كل هذه المزايا التي جبلت عليها هي السبب في الغنى الذى هو مقترن مغنى النفس أولا ثم غنى المال ثانيا ، كناية عن نسبة .

ولو أصبحت في بكر هدياً إذا أصبحت في دنسٍ وفقر[4]

الهدي: وهي العروس التي تهدى إلى زوجها فتقول إن هي أصبحت عروساً لدريد بن الصمة لا شك أنها أصبحت في قوم نسبت إليهم صفات جدّ ذميمة كالحاجة فقراً والتلطخ بالمكروه والقبيح كناية نسبة.

إذا صرت عروسا في جشم ، فليكونن ذلك منتهى الهوان والضر .

فقد يعصوصب الجادون فيه بأروع ماجد الأعراق غمر[5]

يعصوصب: يشتدون ويصيرون عصبة مجتمعة

الجادون: جماعة الباذلين بالمال وبالنفس .

خالدة بنت هاشم بن عبد مناف [6]:

وَربيع لِلمُجتَدينَ ومزنٍ وَلِزاز لكلِّ أمرٍ جسيمِ

شاعر جاهلي، من دهاة العرب وشجعانهم. قال الميداني: كان سيد يثرب، وكان له حصن فيها سماه المُستَظلّ، وحصن في ظاهرها سماه الضحيان، ومزارع وبساتين ومال وفير. وقال البغدادي: كان سيد الأوس في الجاهلية وكان مرابياً كثير المال. أما شعره فالباقي منه قليل جداً.

وفي الأغاني أن سلمى بنت عمرو العدوية كانت زوجة لأحيحة وأخذها بعده هاشم بن عبد مناف فولدت له عبد المطلب وبهذا تكون وفاة أحيحة قبل وفاة هاشم المتوفى نحو عام 102 قبل الهجرة.

[1] الخنساء ديوانها - المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان : ص 55

[2] نفس المصدر السابق : ص55-

[3]) جمعة بنت الخس : شاعرة جاهلية : عرفت بالحكمة والعقل الرزين ولها شعر في ذلك.

[4] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص63

[5] نفس المصدر السابق : ص42

[6]) خالدة بنت هاشم بن عبد مناف، من قريش : شاعرة من الحكيمات في الجاهلية.
كانت تسمى (قبة الديباج) لها رثاء في أبيها، وأبيات في شأن آخر.

إنه غوث المحتاجين وربيعهم العميم لكل الذين يرغبون في نوال كرمه ، وهو الذخر كل أمر خطير وجسيم ، كناية عن نسبة .
والغمر: السيد الجريء
إن كان قد صار إلى القبر فقد كان وهو حيّ ملجأ المحتاجين يلتفّ حوله طالبو المعروف فيجدون فيه الرجل الشهم صاحب الأخلاق الحسنة السخي الشريف الأصل ، نسبة

تُفرّج بالندى الأبواب عنه ولا يكتنّ دونهم بستر[1]

أي أن أبواب صخر مفتوحة دوماً في وجه القاصدين (صفة الكرم) في صخر – ولا يكتن لا يلبس برقعاً أو قفازاً حتى يتستر دون قاصديه – كرم وشجاعة ولا جبن وبخل.
وهو يفتح أبواب الفرج في وجه من يقصده ، ويفتح أبواب منزله ولا يتستر من أضيافه هربا من إكرامهم وقضاء حاجاتهم .

فمن يضمن المعروف في صلب ماله ضمانك أو يقري الضيوف كما تقري[2]

الاستفهام الاستنكاري يتضح مع انتساب المعروف لمال صخر ممن نضمن من يجود بماله معروفاً كمن يضمن صخراً أو يقوم بأداء واجبه ويقدم الطعام لضيوفه مثلك.
فمن يحسن حالة الفقير ، كما كنت تفعل ؟ ومن يكرم الأضياف ، كما كنت تكرمهم؟

وما يواري القبر تحت ترابه من الخير يا بؤس الحوادث والدهر[3]

ثوى ك أقام . اللحد : القبر . يا بؤس الحوادث والدهر : شكوى منهما أي الدهر والحوادث ودعاء عليهما .
ما هذا الذي حصل ؟ ومن الذي أقام في القبر ؟ يا لهول من فقدنا من خير ، فليقع البؤس بالدهر وأفعاله لما نكبانا به . وأجدها أظهرت أن القبر احتوى على خير هو صخر.

دخنتوس بنت لقيط [4] :

لَقد عفّروا وَجهاً عليه مهابةٌ وَما تحفلُ الصمّ الجنادلُ من ثوى

تقول لقد دفنوا وجها عليه من المهابة والعزة والشرف بين الصخور الصماء التي لا تحتفي بمن دُفن بين طياتها ، كناية عن نسبة .

ومن الحزم في العزاء والجود والندى غداة يرى حلف اليسارة والعسر[5]

الحزم: صفة في صخر – والجود والندى، نسبة إلى صخر

---

[1] الخنساء ديوان : ص42
[2] نفس المصدر السابق : ص47
[3] الخنساء ديوانها : ص 47
[4]) ? - 30 ق. هـ / ? - 594 م : دخنتوس بنت لقيط بن زُرارة الدارمية، من تميم. شاعرة جاهلية. سميت باسم بنت كسرى (دخترنوش) أي بنت الهنيء كانت زوجة عمرو بن عمرو بن عدس.
وحضرت يوم (شعب جبلة) قبل مولد النبي -صلى الله عليه وسلم- بتسع عشرة أو بسبع عشرة سنة.
وقالت فيه أشعاراً منها أبيات رواها لها القالي، تعير النعمان بن قهوس التيمي - من تيم الرباب - بفراره، وكان حامل لواء قومه في ذلك اليوم- وأورد لها النويري أبياتاً قال إنها في رثاء (أخيها) لقيط.
[5] الخنساء ديوانها : ص47

والقبر حين يدفن صخر يرى رجلاً موصوف بالصبر فيما ينوبه الدهر يسراً كان أو عسراً.
ماذا غيّب القبر من الحكمة وصواب الرأي ، نسبة ، في أوقات الشدة ؟ وماذا فقدنا من كريم ، لا يبخل في حالتي الضيق والسعة .

لقد كان في كل الأمور مهذباً جليل الأيادي لا ينهنه بالزجر[1]

كان صخر مهذب وهنا كناية عن حسن الخلق وجليل الأيادي كناية نسبة طالما أن أياديه جليلة صفة الكرم ولا يزجر فعلاً أو قولاً.

الدعجاء بنت وهب[2] :

أخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

هو كريم النفس ويعطيها كل ما ترغبه حتى تدور في فلك الرجال ذوي الصفات العاليات ، ويسألها كذلك ولكنه يأبى الظلم ، فهو أنف كبير النفس سيدها ، كناية عن نسبة .

يجثي التراب على محاسنه وعلى نضارة وجهه النضر[3]

أهيلت التراب على محاسن صخر وعلى النعمة وطيب العيش وهنا كناية عن الشرف والسؤدد وكرم الاصل ، وصفت وجه ممدوحا بالنضارة كناية عن نعمة العيش وطيبه ، نسبة .

زينب أم حسانة الضبية [4]:

فَيا حبّذا نجدٌ وطيب ترابه إذا هضبته بالعشيّ هَواضبُه

قيمة واضحة لجبل نجد لدى زينب ، وأن تراب جبل نجد تراب طيّب ، وهذا الطيب اكتسبه من نزول الممدوح فيه ، كناية عن نسبة .

قمران في النادي رفيعا محتد في المجد فرعا سؤدد متخيّر[5]

قمران كناية عن صفة الرفعة والسموّ ، وأكدتها بقولها : رفيعا محتد ، والنادي مكان يجتمع به القوم ، ونجدها قد وصفتهما بأنهما فرعان للمجد كناية نسبة في انتساب الممدوحين للمجد ، وأصحاب سؤدد أخير متخيّر متفعّل صيغة مبالغة .

صفية الباهلية [6]:

عِشنا جَميعاً كَغُصنَي بانةٍ سمقا حيناً عَلى خير ما تنمى له الشجرُ

تقول صفية : إنهما عاشا مثل الغصنين في شجرة بان علا عودهما بالخير والكرم والجود ، وهذا كله مثل ما تحمله الأشجار من خير وثمار ، كناية نسبة .

يا صخر ورّاد ماء قد تناذره أهل الموارد ما فيه ورده عار [7]

---

[1] نفس المصدر السابق : ص47

[2]) الدعجاء بنت وهب بن سلمة الباهلية، من قيس عيلان.
شاعرة بليغة من أهل العصر الجاهلي، اشتهر من شعرها رثاؤها لأخيها المنتشر، وكان يغير على بني الحارث بن كعب، يقتل ويأسر، فرصدوه حتى أخذوه وقطعوه إرباً إرباً، بثأر من قتل منهم.

[3] الخنساء ديوانها : ص59

[4]) زينب أم حسانة الضبية : شاعرة جاهلية : كانت من أهل البادية، فلما تزوجت انتقلت إلى الحضر، فبقيت متعلقة بالبادية، وقالت في ذلك شعراً.

[5] الخنساء ديوانها : ص 63

[6]) صفية الباهلية : شاعرة جاهلية، لها شعر في رثاء أخيها.

[7] الخنساء ديوانها : ص43

أي أن صخرا يتحاماه أصحاب الموارد ، موارد الماء ، أو الذين يردون الماء ، فهو يرد بخيله ورجله كناية عن الشجاعة صفة ، ثم يصدر عن الماء ، يبعد عنها ، وما في ورده عار أو ظلم ، فنفي الظلم والعار عن ورد يتعلق بالموصوف كناية نسبة .
يا صخر ، لقد وردا موردا ، قد سبقك إليه كثيرون ، وليس في ورده عيب . وذلك هو الموت ، وقد استعارت له لفظ الماء .
عيبا ، وهذه كناية عن نسبة .

عاتكة المرية [1]:

نَفَت جَريَةُ الماءِ القَذى عَن مُتونِهِ فَما إِن بِهِ عَيبٌ تَراهُ لِشارِبِ

تفتخر عاتكه بممدوحها إذ تقول : إن الماء فيه غير وسخ معكّر بل صافٍ لا قذى فيه ، ولا بجد الشارب به عيبا . كناية نسبة .

مورث المجد ميمون نقيبته ضخم الدسيعة في العزّاء مغوار[(1)]

ورث : مورث المجد : أي ورث المجد عن آبائه كناية نسبة المجد له ولقومه .
ونفس صخر أي نقيبته محمودة ومشورته راجحة ، ورأيه نافذ كنايات نسبة ، وضخم الدسيعة ، أي عطيته جزيلة كافية ، مائدة كريمة ، ومغوار في الحرب شجاع مقدام جرئ .
قد ورث الرفعة والسيادة عن آبائه ، وهو طيب النية ، كبير العطاء ، وفي الحرب مقدام وجريء.

سلمى بنت حريث النضرية[2] :

سمح الخلائق محمود له شيم يرجوا منافعها الهلاك من مضر

تقول إنه رجل يحمل من الصفات سماحة الخلق ، ومحمود المزايا وسيما التي يرجوها الفقراء من قبيلة مضر ، كناية نسبة .

فرع لفرع كريم غير مؤتشبجلد المريرة عند الجمع فخّار [(3)]

إن صخرا من الفروع التي تنتمي لأصول كريمة الأحساب والأنساب ، نسبة ، وهو صابر ذو عزيمة قوية عند لقاء الأبطال في جمع الحرب ، تفتخر به قبيلته التي ينتسب إليها .
إنه زعيم من نسب زعيم ، كريم الأصل غير مطعون بأصله ، حازم ، كثير المفاخر .

برة بنت عبد المطلب[4] :

عَلى ماجدِ الجدّ واري الزناد جَميل المحيّا عَظيم الخَطر

تبكي بره على هذا الرجل الكريم الأصل الشريف المحتد ، الذي يشعل النار كرما للأضياف ، ويشعلها كذلك إيذانا ببداية الحرب الذي أراد الأعداء ذلك ، كناية عن نسبة .

طلق اليدين لفعل الخير ذو فجر ضخم الدسيعة بالخيرات أمّار [(5)]

---

[1]) عاتكة المرية : من قبيلة ذبيان - جاهلية - لها شعر في كتاب شعر قبيلة ذبيان الجاهلية.
[2]) سلمى بنت حريث بن الحارث بن عروة النضرية : شاعرة، أورد لها ابن طيفور أبياتاً في رثاء زفر تقول:
أصبحت نهباً لريب الدهر صابرة للذل أكثر تحناناً إلى زفر
[3] الخنساء ديوانها : ص46
[4]) برة بنت عبد المطلب بن هاشم : شاعرة جاهلية : طلب منها أبوها كما طلب من أخواتها، أن ترثيه قبل وفاته ففعلت.
[5] الخنساء ديوانها : ص46

طلق صفة ليد صخر ، فهو إذن كريم بأجزل العطاء ، صفة ، وإضافة طلق ليديّه تصبح نسبة ، وهو سبّاق لأفعال الخير شجاعة فيه وكرما منه ، وإناء كرمه واسع، نسبة، وهو آمر بالخيرات.
إنه كريم يده مطلوقة في الإحسان ، تتفجّر عطاء ، يعطي الجزيل، ويأمر بالمعروف .

أو ترحضوا عنكم عاراً تجللكم رحض العوارك حيضا عند أطهار[1]

ترحضوا: تغسلوا: وتجللكم: اكتنفكم وأحاط بكم
العوارض: صفة للنساء، الحيض دم الطمث عند المرأة.
البيت مرتبط بسابقة: أو تغسلوا عاراً أحاط بكم فأصبحتم كالنساء اللاتي أصبحن بدم الطمث وأردن أن يتطهرن وشمل المخاطبين بالعار وأحاط بهم كناية عن نسبة.
بذلك العمل وحده ، تزيلوا ما لحق بكم من العار ، كما تغسل النساء آثار الحيض ، بعد انقطاع دمه ، فتطهر .

عفيرة بنت عفان الجديسية [2]:

وَإن أنتمُ لَم تغضبوا بعدَ هذهِ فَكونوا نساءً لا تعبّ من الكحلِ

تقول لقومها وهي ترغب في إشعال نار الثأر فيهم ، إن أنتم لم تأخذوا بثأركم ، بعد ما فُعل بكم ، فلا شك أنكم الأجدى لكم أن تصبحوا نساء لا يعاب فيهن الكحل ، كناية نسبة .

جم فضائله تندى أنامله كالبدر يجلو ولا يخفى على الساري[3]

كثيرة مكارم صخر وأنامل صخر تقطر ندى وكرماً ، نسبة فهو في رفعة وشموخ بدراً يُظهر ويظهر للذين يسيرون ليلاً من الضيوف وعابري الطريق فهو بدر هداية واضح جلي... .

خولة بنت ثابت [4]:

مِثل ضوءِ البدرِ صورتهُ لَيسَ بالزّميلةِ النكدِ

تقول إن وجهه يشابه البدر في طَلته ، وهو ليس بالفاحش الفجر النكد ، كناية عن نسبة .

له بسطتا مجد فكفّ مفيدة وأخرى بأطراف القناة شقورها[5]

بسطتا: مثنى بسطة والمبسوطة اليد الكريمة المجوادة ، كناية عن صفة الكرم وكف مفيدة أي عطاياها مفيدة كناية نسبة (الإفادة في العطاء لكف صخر الممدوح) وكف أخرى تمتسك بأطراف القناة وهي أداة تستخدم للحرب لكناية عن خوض المعارك.

مارية بنت الديان [6] :

فأبوكم قرم سرى بهلانكم وعمودكم صلب كريم المكسر

---

[1] نفس المصدر السابق : ص 53
[2]) عفيرة بنت عفان الجديسية : شاعرة جاهلية : لها شعر في وصف جور وظلم ملك من ملوك طسم يسمى عمليق.
[3] الخنساء ديوانها : ص 61
[4]) خولة بنت ثابت : شاعرة جاهلية : وهي أخت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت.
لها شعر غزل في عمارة بن الوليد المخزومي.
[5] الخنساء ديوانها : ص64
[6]) مارية بنت الديان : شاعرة جاهلية : قتل أحد سادة قومها وهو مرة بن عاهان، فقالت في رثائه شعراً، تحرض فيه الفرسان على الأخذ بالثأر.

تفتخر مارية بنت الديان بأحد سادات قومها قائلة : إن أباكم دائما ما يسير على رفعة شأن القبيلة ، وهو يمثل العمود الصلب الكريم ، كناية نسبة .

لقد صوت الناعي بفقد أخي الندي نداء لعمري لا أبالك يسمع [1]

قد صاح الذي يحمل خبر فقد صخر الموصوف بالكرم والجود والمسند إليه الندى كناية عن نسبة وأقسمت بان هذا النداء لا شك انه مسموع.

لقد صاح صوت الناعي ، مبلغا خبر بوت أخي وكان صوته عاليا مسموعا .

دعوت لها صخر الندى فوجدته له موسر ينفي له العسر اجمع [2]

ناديت رجلاً اسند له الكرم كناية نسبة وها هو صخر، فوجدنا لديه اليسر واللين عطاءً انتفت معه الحاجة نهائياً صفة الكرم.

عند الشدة كنت أنادي صخرا الكريم ، فيفرّج كربي ويبعد الأذى عني .

فاطمة بنت مر الخثعمية [3]:

ولما حوت منه أمينة ما حوت حوت منه فخراً ما لذلك ثاني

تقول الشاعرة : كل الذي وُجد من ممدوحها أمانة وصدقا ، وذلك مدعاتها كي تفتخر به ، لأنه محتواه الفخر ، ولا يجاريه في ذلك آخر . كناية نسبة .

فقد فجعت بميمون نقيبته جمّ المخارج ضرار ونفّاع [4]

حزنت وألمت بموت صخر صاحب الطبيعة الحسنة المحمودة كناية نسبة، وجمّ المخارج أي أن عطاياه جمّة موفورة جزيلة كناية نسبة وضرار لمن يعاديه يسومه ويفتك به ونفاع لمن يبتغي نواله وعطاء الله .

ريطة بنت جذل الطعان [5]:

فَإن كانَ خَيراً كان خيراً جزاؤهُ وَإِن كانَ شرّاً كانَ شرّاً مذمّما

ممدوح ريطة دائما ما يكون جزاؤه الخير كرما منه في ساعة السلم ، أما في ساعة الحرب فإن شره مستطير مذموم لاحق الأذى بالأعداء ، كناية عن نسبة .

أنت الفتى الماجد الحامي حقيقته تعطى الجزيل بوجه منك مشراق [6]

أنت الفتى الذي تتصف بحسن الخلق وتحمي الحقيقة إن كانت الحماية بالكرم أو بالشجاعة ففي كليهما أنت المؤمل وعطاء صخر موفور يكفي لنائله وسيما العطاء بوجه مشرق الأولى صفة والثانية نسبة.

فأنت يا صخر الرجل الكامل في صفاته ، الذي يحمي حماه ، ويهب الهبات الكثيرة ، وهو مشرق الوجه ، مبتسما فرحا بما يفعل .

عبد الله بن سلمة الغامدي[7] :

---

[1] الخنساء ديوانها – المكتبة الثقافية بيروت لبنان : ص72

[2] نفس المصدر السابق : ص72

[3]) فاطمة بنت مر الخثعمية : شاعرة كاهنة جاهلية، من أهل مكة. قرأت الكتب واشتهرت.
من شعرها قولها:
وما كل ما نال الفتى من نصيبه بحزم ولا ما فاته بتوان
وكانت معاصرة لعبد الله بن عبد المطلب (والد الرسول -صلى الله عليه وسلم) قيل: عرضت عليه نفسها للزواج قبل أن يتزوج بآمنة.

[4] الخنساء ديوانها : ص74

[5]) ريطة بنت جذل الطعان الظعينة : شاعرة جاهلية : وهي زوجة ربيعة بن مكدم فارس بني كنانة، وهي المعروفة بالظعينة.
لها شعر في إنقاذ دريد بن الصمة لزوجها من الموت يوم الظعينة وقد انكسر رمحه، وكان يومها خصماً له.
ثم دارت الأيام فوقع دريد في أسر بني كنانة، فذكرت ريطة تلك الحادثة لقومها اعترافاً بالجميل، وأنقذته.

[6] الخنساء ديوانها : ص81

[7] نفس المصدر السابق : ص : 102 - 103

وسامي الناظرين غذيّ كثر وَنابت ثروة كثروا فهيبوا

أراد ربّ سامي الناظرين ، يعني طامح الطرف لعزته وشجاعته ، كثر : أي في كثرة من قومه وماله . ونابت ثروة : في ثروة نابتة نامية ، نسبة. كثروا فهيبوا :هابهم الناس لكثرتهم .

على ماجد ضخم الدسيعة بارع له سورة في قومه ما تحوّل[1]

وبكاء عينها على من متصف بحسن الخلق والكرم والجود وضخم الدسيعة كناية عن الجود وإكرام الضيف وهو صخر الذي يمتلك صورة صفة غير منكرة أو متحولة بين عشيرته وأقرانه.

إنها عين دائمة البكاء على صخر الشريف السمح صاحب السيرة الحميدة التي لا يشبهه فيها أحد، نسبة .

أسماء بنت ربيعة التغلبية [2]**:**

طَودَ عِزٍّ وَهُماماً في الوَغى يَمنَعُ الأَقرانَ وَسطَ القَسطَلِ

الطود الجبل الثابت الراسخ ولكنه لعزّ ، وهنا نسبت العزة له، كما أنه شجاع همامٌ في وسط الملمات.

فما بلغت كفّ امرئ متناول بها المجد إلاّ حيث ما نلت أطول[3]

لم يبلغ أحد من الجود والسخاء ما بلغ صخر صفة ، فلم يستطع أحد أن يصل إلى منزلة رفيعة ، إلاّ وكانت منزلتك أعلى ، نسبة .

عدي بن زيد [4]**:**

وَوارِثِ مَجدٍ لَم يَنَلهُ وَماجِدٍ أَصابَ بِمَجدٍ طارِفٍ غَيرِ مُتلِدِ

يقول : ربّ وارث مجد لم ينل منه شيء ، وآخر ماجد في قومه كريم أصله نسبة ، أصاب من المجد الحديث منه غير القديم نسبة .

ولا بلغ المهدون في القول مدحة ولا صفة إلاّ الذي فيك أفضل [5]

ما مدحك مادح بقول ، وذكرك واصف بفضيلة إلاّ وفيك أفضل مما ذكر ونشر ، ولم يصل حليم درجة يمتدح بها حلمه صفة ، إلاّ وأنت تزيد عليه وتتفوق .

بأوسع سيباً من يديك ونعمة تعم بها بل سيب كفيك أجزل[6]

تفضل الخنساء عطاء صخر الواسع ونعمه الوفيرة التي كفت وعمت كناية عن صفة – وتصف وفرة وكثرة عطاء كفيه كرماً وجوداً منه وفيه كناية عن نسبة.

ليست تلك السحابة بأكرم عطاء من يديك اللتين لهما فضل قد شمل الناس ، لا بل ما تجود به أنت من الخير ، أكثر .

---

[1] نفسه : ص83

[2] أسماء بنت ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم التغلبية أخت كليب بن ربيعة :شاعرة من تغلب شاركت مع قومها في حروبها، لها شعر في رثاء أخيها كليب وينسب لها شعر تخاطب فيه جليلة زوجة كليب وأخت جساس.

[3] الخنساء ديوانها : ص83

[4] ? - 36 ق. هـ / ? - 587 م

عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد العبادي التميمي : شاعر من دهاة الجاهليين، كان قروياً من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب :وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجماناً بينه وبين العرب، فسكن المدائن ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجهه رسولاً إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار بلاد الشام، ثم تزوج هنداً بنت النعمان.

وشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة.

[5] الخنساء ديوانها : ص83

[6] نفس المصدر : ص84

زينب بنت العوام [1]:

أَعينيّ جوداً بالدموعِ فأشرعا عَلى رَجلِ طلقِ اليدينِ كريمِ

تأمر بنت العوام عينيها بإنزال الدموع على فقيدها الذي وصفته بالكرم والعطاء ، ودللت على ذلك بقولها طلق اليدين فأسندت صفة الطلق ليديه نسبة .

أخو الجود معروف له الجود والندى حليفان مادامت تعار ويذبل[2]

نسبت الجود لصخر وأضافت نسبة الجود والندى فهما حليفا صخر يتبعانه في ظعنه واستقراره يدومان معه دوام حبلين هما تعار ويذبل بنجد – كناية نسبة.

إنك يا صخر لطالبي معروفك ، كريم سخي ، يلازمك الكرم والجود ما دام جبلا تعار ويذبل،أي بلا نهاية .

معن بن أوس المزني [3]:

أَخو العُرفِ مَعروفٌ لَهُ الدينُ وَالنَدى حَليفانِ ما دامَت تِعارٌ وَيَذبُلُ

وممدوح معن يقرّ المعروف ، وقد عرف بحليفين مستمرين مستقرين باستقرار واستمرار جبلي يعار ويذبل ، نسبة .

سليمى بنت المهلهل [4]:

عديّاً أَخا المَعروفِ مِن كُلِّ شتوةٍ وَفارسها المَهيُوبُ عِندَ التَّكافُحِ

رَمَتـهُ بَناتُ الدَّهرِ حَتّى اِنتَظمنه بِسَـهمِ المَنايا إِنَّهُ شَرُّ رائِحِ

هنا تنسب الشاعرة المعروف إلى عدي ، فهو صاحب معروف لكل فازع إليه ، وهو الفارس الشجاع عند التقاء الجيوش يوم التكافح الهيوب ، بنات الدهر : كناية عن موصوف المصائب ، فإن المصائب رمته بسهم الموت فالشر هنا أوردته الشاعرة كناية عن قوته .

أولو عزٍّ كأنهم غضاب ومجد مدّه الحسب الطويل[5]

لا زالت الخنساء تبكي صخرا ومعاوية : وتقول إنهما أهلٌ للعزّ ، وهم لهذه الأهلية يغضبون أنفة فيهم لأنهم قد ورثوا المجد من امتداد حسب بعيد .

حاتم بن عبد الله الطائي[6] :

سآبى وتأبى أصول لي كريمة وآباء صدق بالمروءة شرّفوا

---

[1] ? - 40 هـ / ? - 660 م

زَيْنَب بنت العوام بن خويلد الأسدية القرشية : شاعرة، صحابية. هي أخت الزبير بن العوام، وزوجة حكيم بن حرام.أدركت الإسلام وأسلمت. وعاشت إلى أن قتل ابنها عبد الله بن حكيم، يوم الجمل فرثته وذكرت أخاها بأبيات.

[2] الخنساء ديوانها : ص84

[3] ? - 64 هـ / ? - 683 م

معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني : شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، له مدائح في جماعة من الصحابة، رحل إلى الشام والبصرة، وكف بصره في أواخر أيامه، وكان يتردد إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب فيبالغان في إكرامه. له أخبار مع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكان معاوية يفضله ويقول: أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس ، وهو صاحب لامية العجم التي أولها:

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينا تعدو المنية أول

مات في المدينة.

[4] سليمى بنت مهلهل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم : شاعرة من قبيلة تغلب رحلت مع أبيها عندما اعتزل قومه إلى اليمن وهنالك أرغم على تزويجها في قبيلة (جنب) ممهورة بالأدم .. فلما علمت قبيلة بكر وتغلب بما أصابها قتلت زوجها وأعادتها ثانية الى الجزيرة ثم تزوجت النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد فأنجبت له أبا حنش وتزوجت بعده بُعج بن عتبة بن سعد فأنجبت له ذا السُنية.

[5] الخنساء ديوانها : ص 86

[6] عبد الرحمن بن عبد الله بن درهم : نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار ص : 101

الرفض منه لأنه كريم الأصل شريف سليل أجداد شرفاء، وآباء صادقي المروءة نسبة كرم الأصل، وصدق المروءة .

دل على معروفه وجهه بورك فيها هادياً في دليل[1]

دليل معروف صخر وجهه صفة الكرم ونسبة المعروف في استبشار طالبيه لرؤية إشراقه و وضاءته الأولى صفة والثانية نسبة.

لقد دلّ على طيبة نفسه وكرمه ، حسن وجهه ، وبشاشته في استقبال الضيوف ، فبارك الله في وجهه ، ويكفي بحسن الوجه دليلا على الكرم والجود .

عامر العَدواني[2] **:**

أُناسٌ إذا ما الدَهرُ أَظلَمَ وَجهُهُ فَأَيديهُمُ بيضٌ وَأَوجُهُهم زُهرُ

يَصونونَ أَحساباً وَمَجداً مُؤثَّلاً بِبَذلِ أَكفٍّ دونَها المُزنُ وَالبَحرُ

يقول : حينما يظلم وجه الدهر كناية عن كثرة المحن الإحن ، تجدنا وأيدينا البيض ، ووجوهنا البيض أيضا كناية عن شرفنا وكثرة عطاءنا ، فنحن بهذه المزايا نصون أشرفنا وأحسابنا والمجد الراسخ الثابت فينا نسبة ، لأن ما تبذله أكفنا من عطاء وجود وإغداق يفوق المطر والبحر كناية عن صفة الكثرة في الكرم والعطاء .

لا يقصر الفضل على نفسه بل عنده من نابه في فضول[3]

ليس أناني يقصر الفضل على نفسه الأولى صفة منفية فضله شامل شمل وفضله ليس مقصور عليه ، فيجد كل من أمّة وقصده فضل صخر موجود وثابت .

لقد اعترف له الناس جميعا ، بكونه من أشرف الناس أصلا ، وليس فيه عيب .

صفية بنت ثعلبة الشيبانية [4]**:**

وَالعزّ فيهم قديماً غير مقترفٍ وَالجار فَاِعلم عزيزاً داره بهمِ

نسبة العز إليهم أي قومها ، قديمة وتليدة ، أي غير مكتسبة ، والجار عزيز بهم في داره ، فهم يشرفوه كثيرا . صفة .

قد عرف الناس له أنه بالمنزل الأتلع غير الضئيل [5]

قد خبر الناس أن صخراً له منزلة رفيعة سامقة غير منحطة مبتذلة . نسبة إنه كريم يبذل الخير لمحتاجه ، وهو في الحرب فارس شديد ، لا يرهب لقاء الفرسان وقتالهم .

عمرو بن شراحيل الكلبي[6] **:**

تركت كعبا وكعب قائم ردن كأنه من جمال الريف مهشوم

---

[1] الخنساء ديوانها : ص87

[2] ? - 100 ق. هـ / ? - 525 م

عامر بن الظَّرِب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان ابن عمرو بن قيس بن عيلان.

شاعر جاهلي قديم، إمام العرب وحكمهم في سوق عكاظ، قاد معداً كلها إلى اليمن يوم البيداء (وهي وقعة بين تهامة واليمن وقيل بين حمير وكلب) فكان واحداً من ثلاثة اجتمعت عليهم معدّ في الجاهلية. تزوج بـ (ماويّة بنت عوف بنت فهر) و(شقيقة بنت معن بن مالك بن باهلة) وهي إحدى أمهات الرسول. وأبرز مآثره لعامر بن الظَّرِب هي الحكم والقضاء فقد كان إمام العرب في مواسمهم وقاضيهم في سوق عكاظ وثمة أحكام له وافقها الإسلام ومنها خلعه لابنته (فعمة) من زوجها عامر بن الحارث. وكان أول خلع في العرب وأول من قضى بأول دية مقدارها مائة ألف من الإبل! وكذلك حكمه في الخنثى. وهو أحد الذين حرّموا الخمر والأزلام في الجاهلية.

[3] الخنساء ديوانها : ص87

[4] صفية بنت ثعلبة الشيبانية. شاعرة جاهلية، كانت تلقب بالحجيجة :استجارت بها هند بنت النعمان فأجارتها ضد كسرى وجيوشه. ثم أعلنت ذلك لقومها شعراً، فهبوا وحاربوا جنود العجم وغنموا منهم الكثير. فكانت معتزة بشجاعة قومها وخصوصاً أخيها عمرو.

[5] الخنساء ديوانها : ص87

[6] عبده عون الروضان : موسوعة شعراء العصر الجاهلي : ص : 227

يا كعب إنا قديما أهل سابقة فينا السنام وفينا المجد والخيم

نسب الشاعر لقومه الخبر بقوله : أهل سابقة وفيهم العلوّ دلّل بالسنام وفينا المجد والكرم .

وفضّل مرداساً على الناس حلمه وإن كل هم همه فهو فاعله[1]

الذي فضل مرداس زوج شاعرتنا الخنساء هو حكمة الحليم وانه شجاع كريم متلاف للمال وتفضيل مرداس مقترن بحلمه كناية نسبة التي تدفقت صفات كالشجاعة والكرم – ولو كانت كل الهموم فيه وله لفرجها كلمة وحكمته كناية صفة.

لقد أعطى مرداسا الفضل على جميع الناس ، شرفه وحلمه ، ومضاؤه وقوة إرادته ، حيث لا يتراجع عن أمر عزم على فعله ، بل يمضي لإنجازه وينجزه حتما .

أبو خراش الهذلي [2]**:**

جَمَعتَ أَموراً يُنفِذُ المَرَّ بَعضُها مِنَ الحِلمِ وَالمَعروفِ وَالحَسَبِ الضَخمِ

يقول : إنك جمعت من الفعال والخصال الحميدة ، كل إنسان يستطيع على بعضها فقط ، وهذه الصفات مثل السماحة والكرم والأصل الثابت والقوي الأصيل نسبة .

حديد الفؤاد، ذليق اللسان يجازي المقارض أمثالها[3]

جريء، شجاع، صفة فصيح بليغ، صفة، (ذليق اللسان: نسبة) أي انه كان شجاعاً مقداماً في الحرب، وخطيباً في السلم، وقد كان يأبى الظلم فيرد العدوان بمثله .

عمرو بن الإطنابة [4]**:**

لا يطبعون وهم على أحسابهم يشفون بالأَحلامِ داءَ الجاهلِ
والقائلين فلا يعابُ خطيبُهم يومَ المقالةِ بالكَلامِ الفاصلِ

وهم لا يسمون شخصا بعار ، طالما أنهم أصحاب حسب ونسب وكرم أصل وشرف نسبة ، بل باتزان أحلامهم يداوون لكل جاهل مرضه وهم أصحب ألسنة بليغة لبقة في الخطاب نسبة ، فلا عيب في خطيبهم بل فاصل قوله في الأندية والمجتمعات .

وقد حال خير من الناس ورفدهم بكفّي غلام لا ضنين ولا برم [5]

فليكن الحظ حليفك إذا لعبت الميسر فتفوز قداحك على قداح الآخرين ، لأنك نعم الفتى تعطي بلا تخلّف عن حاجات الناس ، ولا تتضجّر من طلباتهم ولو تكررت . ولا تتغير عن عاداتك الحسنة التي ألفتها ، نسبة .

خصصت بها أخا الأحرار قيسا فتى في بيت مكرمة كريم [6]

والبيت في قيس الجشمي الذي ثأر لمعاوية أخ الخنساء فقتل هاشم بن حرملة قاتل معاوية . فقد أسندت أن هذا الفتى ينتمي لبيت مكارم كريم .

أميمة بنت عبد المطلب[1] **:**

---

[1] الخنساء ديوانها : ص95

[2] ? - 15 هـ / ? - 636 م : أبو خراش الهذلي خويلد بن مرة الهذلي المضري : شاعر مخضرم، وفارس فاتك مشهور، أدرك بالعدو، فكان يسبق الخيل.
أسلم وهو شيخ كبير، وعاش إلى زمن عمر، وله معه أخبار، نهشته أفعى فقتلته - له شعر مطبوع في ديوان الهذليين.

[3] ديوان الخنساء : ص91- المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان

[4] عمرو بن عامر بن زيد مناة، الكعبي الخزرجي : شاعر جاهلي فارس. كان أشرف الخزرج : اشتهر بنسبته إلى أمه (الإطنابة) بنت شهاب، من بني القين - وفي الرواة من يعدّه من ملوك العرب في الجاهلية. كانت إقامته بالمدينة. وكان على رأس الخزرج في حرب لها مع الأوس ، قال معاوية: لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين وهممت بالفرار فما منعني إلا قول ابن الإطنابة:
أبت لي عفتي وأبي إبائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح

[5] الخنساء ديوانها : ص98

[6] نفس المصدر السابق : ص98

وَمَن يألفُ الضيفُ الغريبُ بيوتهُ إذا ما سماءُ الناسِ تبخل بالرعدِ

إلفة الغريب لبيت المقصود بهذا البيت نسبة ، عندما يبخل الناس بالعطاء والكرم ، فكيف به يكرم الضيف الغريب الذي ألف بيته وغيره لا يفعل .

توسّعت للحاجات يا صخر كلها فحام إلى معروفك المتنسم[2]

تقول : إن مكارم صخر تشمل كل الناس ، وتوسّعت فضائله لتقضي حاجات الكل ، إلى أن أصبح يحوم حول معروفك الراقب في نوال كرمك الجزل .

أبو خراش الهذلي [3]**:**

ريمَ سَجِيّاتِ الأُمورِ مُحَبَّباً كَثيرَ فُضولِ الكَفِّ لَيسَ بِذي وَصمِ

نسبة في كون كل خلقه وطبائعه في كل أموره كريمة محمودة ، وهو أفضال يديه وعطاياه وافرة وجزلة ، ولا عار أو عيب فيه .

وابن الشريد فلم تبلغ أرومته عند الفخّار لقرم غير مهجان [4]

السيد المغوار ابن السادة المغاوير ، بكرم أصله وشرفه عند الفخر بالنسب والحسب فمن من القوم يبلغ أصله وفصله لرجل شريف خالص غير هجين غريب كناية عن صفة الشرف والأصل نسبا وحسبا.

صخر الذي ينتمي إلى الشريد . وهو أصل لا يفاخره فيه أحد ، وليس فيه هجنة أو مطعن .

أبو كبير الهذلي [5]**:**

وَجَليلَةِ الأَنسابِ لَيسَ كَمِثلِها مِمَّن تَمَتَّعُ قَد أَتَتها أَرسُلي

كرم الأصل والسيادة والشرف يتضح من عظمة الأنساب الذين يريد أن ينتمي إليهم أبو كبير الهذلي ، ولا شبيه لها من تمتع بهذه الصفات الحميدة وقد أتاها رسولي .

على رجل كريم الخيم أضحى ببطن حفيرة صخب صداها[6]

إنهم يبكون على صخر الذي قضى نحبه وهو الذي كان رجلاً كريماً (كريم الخير) نسبة، وقد صار الآن في قبر ستظل تصرخ البومة حتى يؤخذ بثأره .

القَتّال الكِلابي [7]**:**

جَليدٌ كَريمٌ خيمُهُ وَطِباعُهُ عَلى خَيرِ ما تُبنى عَلَيهِ الضَرائِبُ

قوي صلب ممدوح القتّال ، كريم المقام والطباع نسبة ، على أحسن ما تكون الأخلاق والطباع .

---

[1] أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ،شاعرة جاهلية. طلب إليها والدها كما فعل مع أخواتها، أن ترثيه بأبيات ففعلت.

[2] الخنساء ديوانها : ص 100

[3] ? - 15 هـ / ? - 636 م

أبو خراش الهذلي خويلد بن مرة الهذلي المضري:شاعر مخضرم، وفارس فاتك مشهور، أدرك بالعدو، فكان يسبق الخيل. أسلم وهو شيخ كبير، وعاش إلى زمن عمر، وله معه أخبار، نهشته أفعى فقتلته.

له شعر مطبوع في ديوان الهذليين.

[4] الخنساء ديوانها : ص 101

[5] عامر بن الحليس الهذلي أبو كبير بن السهلي الهذلي.

شاعر فحل، من شعراء الحماسة قيل: أدرك الإسلام وأسلم، وله خبر مع النبي صلى الله عليه وسلم.

ويروى أنه تزوج أم تأبط شراً وكان غلاما صغيراً وله معه خبر طريف ورد في خزانة الأدب.

[6] الخنساء ديوانها : ص 104

[7] ? - 70 هـ / ? - 689 م عبيد بن مجيب بن المضرحي من بني كلاب بن ربيعة.شاعر فتاك، بدوي، من الفرسان، يكنى أبا المسيب أدرك أواخر الجاهلية، وعاش في الإسلام إلى أيام عبد الملك بن مروان، وسجن مرة في المدينة لقتله ابن عم له اسمه زياد وفر من السجن، وتبرأت منه عشيرته.

ليبك الخير صخر من معدّ ذوو أحلامها وذوو نهاها[1]

ألا فليبك علي صخر الخير كل قبائل معد التي سليم تنتمي إليها ، على الرجل الأصيل، الكريم المعطاء ،

وهو أهل الحلم وسعة العقل ورجاحة العقل .

رُواس بن تميم [2]**:**

بَنو مُحصَناتٍ لَم تُدَنِّس حُجورَها وُصومٌ وَأَبناءُ المُلوكِ الجَبابِرِ

نُهانا عَن الجَهلِ المُبينِ وَسَعيُنا إِلى المَجدِ وَاِستِحياؤُنا في المَطاعِمِ

النسبة تستبين في قول الشاعر: إننا بنو نساء محصنات عفيفات، لم تدنس حجورهن بالعار إذ أنهم أبناء ملوك أقوياء سادة أشراف .

العقل الراجح لا الجهل المبين ، واستمرار سعيهم للمجد ، وحياؤهم في أماكن الإطعام كناية عن نفي الدناءة عنهم .

ولا يبعدن الله صخرا فإنه أخو الجود يبني للفعال العواليا [3]

الخنساء تسال الله لأخيها الرحمة ، لأنه هو صاحب الفعال الحسنة والحميدة العالية كرما وعطاءً وافرا ، نسبة .

مالك بن فهم الأزدي [4]**:**

أَنا ابنُ فهم الكَريم في الشَرَفِ العالي قَديمٌ في ذُروَةِ الحسبِ

وفي بيته الآخر يفتخر الشاعر بنفسه وبقومه قائلا : إنني من قبيلة فهم الكريم شرفها وعالٍ ، وهو متورث أبا عن جد في أعلى قمم الحسب والنسب ، نسبة .

هنالك لو نزلت بآل صخر قرى الأضياف شحماً من ذراها[5]

في تلك الأوقات الباردة القاسية، إذا حللت بمنزل صخر، تجد انه كريم يطعم الشحم واللحم، صفة من أجود الأصناف من سنام الإبل، وهو أجود ما فيها .

فلبيك على صخر الكريم:صفة ونسبة، كل أبناء معد ذوو أحلامها ، الفعال، وذوو نهاها الحكماء.

جران العود النمري [6]**:**

يَكادُ المَجدُ يَنضَحُ مِن يَدَيهِ إِذا دُفِعَ اليَتيمُ عَنِ الجَزورِ

---

[1] الخنساء ديوانها : ص 104

[2] رُواس بن تميم : من الشعراء المغمورين من بني الحارث بن عبد الله، من الغطاريف، مخضرم له شعر في قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب في أشعار العرب.

[3] الخنساء ديوانها : ص 107

[4] ? - 480 ق. هـ / ? - 157 م

مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان، بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن نصر بن مالك بن الأزد. شاعر، أول من مُلك على العرب بأرض الحيرة، أصله من قحطان، هاجر من اليمن بعد سيل العرم في جماعة من قومه، فنزل بالعراق وابتنى بستاناً في موقع الحيرة وامتدت أيدي رجاله بحكم تلك الأنحاء فلم يكن عليها سلطان غير سلطانه. وعاش فيها نحو عشرين سنة. قتله ابنه سليمة بن مالك غيلة و قيل خطأً (وكان مالكا أراد اختبار يقظة ابنه في أثناء الحراسة ومقدار احترازه في الظلام، في ليلة نوبته، فرماه سليمة خطأ وهو يظنه عدوّاً، فخاف أن يقتله أخوه معن جزاء ما فعل فرحل إلى فارس.)

ومن أولاده جَذِيمة الوَضّاح (نحو 366 ق هـ، 268م) المعروف بالأبرش ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق، وعمرو بن مالك بن فهم، وعوف بن مالك بن فهم، وهناءة بن مالك بن فهم.

[5]) الخنساء ديوانها : ص 105

[6] ? - 68 هـ / ? - 687 م : عامر بن الحارث النميري : شاعر وصاف أدرك الإسلام، وسمع القرآن واقتبس منه كلمات وردت في شعره.

وجران العَود معناه (مقدم عنق البعير المسن) وكان يلقب نفسه به في شعره.

يقول : موضحا النسبة في إسناد المجد إلى يدي الممدوح ، وذلك عندما يحرم اليتيم عن الاقتراب من الذبائح بخلا وإمساكا

لا ينطق النكر لدى حرة يبتارخالي الهم في الغاوية[1]

أي أن صخرا لا يذكر الفحشاء بحضور سيدة حرة أبدا ، ليختبر ما عندها في هذا الشأن ، نسبة وإن كانت منفية .

تميم بن أبي [2]**:**

وَالحَائِطُونَ فَلاَ يُرَامُ ذِمَارُهُمْ وَالحَافِظُونَ مَعَاقِدَ الأَحْسَابِ

الحائطون أي الذين يحطاطون لأي طارئ ، ، فإن حماهم لا يقصد نسبة ، والذين يحفظون ما عهد إليهم من مجد وحسب .

خاتمة كناية النسبة عند الخنساء :

فهي هنا تبكي أخاها – صخراً – وهو المقصود بقولها – أبا حسان – بكاء حاراً لما امتاز به من جمال وكرم ضيافة وسيادة فهو الرجل الكامل الخلق والخليقة والذي ينتمي إلى أخوال عُرفوا بحسبهم ونسبهم العالي أي أنه ينتمي إلى بيت شرف .

أي أنهم كالنجوم اللامعة في الليل والتي تحيط – بالقمر – أي – بصخر – وإن صخراً بنوره يزيل ظلام الليل وعتمتهُ عنهم . أي أنه كان يزيل كل المصاعب ويتحمل الأمور الجمة عنهم ولهذا شبهته بهذا التشبيه الجميل فهو كالبدر في علوِ مكانته بين أبناء عشيرته فهو سيدهم الذي يرعاهم ويحميهم ولهذا شبهتهم بالنجوم المحطة بالبدر المنير فأبرزت من خلال هذه الصورة الجميلة مكانة صخر العليا في عشيرته .

أي أنه طويل القامة كحمالة السيف وفي ذلك دلالة على شجاعته أيضاً . بالإضافة إلى أنه ينتمي إلى أُسرة عرفت بأصلها وحَسبها الرفيع فكَنّت عن سمو وارتفاع أصله بقولها رفيع العماد . وهو شجاع ساد عشيرته وهو في ريعان شبابه ومقتبل عمرهِ .

أي أنه طويل القامة ورفيع الأصل . وهو ليس أحمق ولا دنئ ولا جبان . فكَنّت عن طول قامته بطول حمالة السيف للدلالة على طوله وشجاعته ، وكَنّت عن سمو وعلو أصله بعلو عماده ، أي منزلته الرفيعة المتوارثة عن أجدادهِ .

أي أنه يبتسم عند إكرامه للناس وأنه لكرمهِ ترى النار دائمة الإيقاد تحت قدره الممتلئ بالطعام الذي يطعمه لضيوفه وللمحتاجين . وهو أيضاً جهم الوجه ، وجهامة الوجه من الصفات التي يمدح بها الرجل ، والوجه الجاد ، دلالة على مكانة الشخص واحترامه ونظرتهُ إلى الحياة . أنها نظرة المعني بها لا الهازل ، كان هذا المظهر من آيات الرجال المحترمين والأبطال ، ولقد وضعت الخنساء أخاها بهذه الجدية ، التي لها في قلوب الناس مكانة كبرى ، وقالت أن وجهه الجاد هذا يضيء في الليل لجماله ، ولا عجب فإنه من اباء أحرار وضعهم المجتمع في عليين ، ورث منهم الرفعة وسمو المكانة .

---

[1]) الخنساء ديوانها : ص109

[2] 70 ق. هـ - 37 هـ / 554 - 657 م تميم بن أبيّ بن مقبل من بني العجلان من عامر بن صعصعة أبو كعب ، شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم فكان يبكي أهل الجاهلية !! ، عاش نيفاً ومئَة سنة وعدَّ في المخضرمين وكان يهاجي النجاشي الشاعر ،له (ديوان شعر - ط) ورد فيهِ ذكر وقعة صفين سنة 37هـ.

أي أنه جواد كريم الخُلق والخليقة ، وليس دنياً ولا ضعيفاً وإنما هو عفيف النفس شجاع مقدام في الحروب والأخطار وهو حكيم في تحركاته ، لا يسير في طريق مجهول النهاية يقوده إلى الهلاك والتهلكة كالجاهل الأبله الذي لا يجرب الأمور . فهو مقدام في الحروب وفي الدفاع عن حرمة قبيلته وممتلكاتها ، شجاع كالأسد الذي يعدو في الغابة فتهابه جميع الحيوانات الأخرى وتفر منه هاربةً من بطشه وفتكه بها ، فتشبيهها له بالأسد فيه دلاله على عظم قوته وضخامة بنيته والتي يهابها الأعداء .

الخاتمة

تعد تماضر بنت عمرو بن الشريد (الخنساء) رائدة الرثاء في الأدب العربي وشاهدي على ذلك صدق التجربة الشعرية لديها ممّا جعل إنتاجها الشعري ينم عن خيال متسع وأفكار واضحة وعاطفة صادقة ، وهذا يدل على شاعرية الخنساء التي أضافت عليها النظرة اللّماحة الناقدة في بعض الأحيان .

وممّا تقدم وجدت شعر الخنساء أنسب الشواهد الشعرية للكناية كمصطلحٍ بلاغي ولأقسامه الثلاثة صفة وموصوف ونسبة .

ونتيجة البحث في كناية الصفة لدى الخنساء وجدت الصفة تنقسم لديها إلى :

(الكرم ، الشجاعة ، الصبر ، الشرف وكرم الأصل ، رجاحة العقل ، الفخر ، شدة الألم) وهناك صفات أخرى غير مباشرة أدرجتها مع شواهدها الشعرية من ديوان الخنساء .

ووجدت أن الكناية لدى الخنساء تمتزج بمصطلحات بلاغية أخرى في شعرها ومثال ذلك :

❖ الكناية بالاستعارة : في قولها :

الحي يعلم أن جفنته تغدو غداة الريح أو تسري

جفنته تغدو أو تسري : استعارة مكنية .

وفي قولها كذلك :

حامي العرين لدى الهيجاء مضطلع يغري الرجال بأنياب وأظفار

يغري الرجال بأنياب وأظفار : والأنياب والأظفار مثبتة لدى الخنساء لصخر تشبيها له بالأسد كناية عن شجاعته . استعارة مكنية .

❖ الكناية بالتشبيه : في قولها :

أغر أزهر مثل الليل صورته صافٍ عتيقٍ فما في وجهه ندب

مثل البدر صورته : تشبيه .

❖ الكناية بحسن التعليل : في قولها :

والشمس كاسفة لمهلكه وما اتسق القمر
والإنس تبكي ولّهاً وبالجن تسعد من سمر

وفي قولها كذلك :

وزال الكواكب من فقده وجللت الشمس أجلالها

❖ الكناية بالطباق : في قولها :

فقد فجعت بميمون نقيبته جمّ المخارج نفّاع وضرّار

وقولها كذلك :

يذكرني طلوع الشمس صخر وأذكره لكل غروب شمس

❖ الكناية بالمجاز المرسل : في قولها :

تغدو علينا فتأبى أن تزايلنا للخير فالخير منّا رهن أرماس

الخير رهن أرماس : مجاز مرسل .

وكذلك قولها :

ماذا تضمن من جود ومن كرم ومن خلائق ما فيهن مقتضب

❖ الكناية بالمسند والمسند إليه : في قولها :

المجد حلته ، والجود علته ، والصدق حوزته ، إن قرنه هابا

فأراها قد أسندت لصخر المجد والجود ، فهو يرتدي حلة ، ويعتلّ علّة ، ويحوز حوزة ، فهذه وسائط الإسناد بين المسند والمسند إليه.

❖ الكناية بالمجاز عموما : في قولها :

الجابر العظيم الكسير م من المهاصر والممانح

فهو الذي يقيل عثرة العاثر ، ويجبر عظم المكسور "مجازا" ، لكل قريب له سواءً كان من نسب حقيقي أو من الرضاع .

❖ الكناية بأسلوب القصر : في قولها :

لاشيء يبقى غير وجه مليكنا ولست أرى شيئا على الدهر خالدا

ويتضح أسلوب القصر هنا بـ (لا – غير) أي بالنفي والاستثناء .

❖ الكناية برد العجز عن الصدر : في قولها :

وقائلين تعزّى عن تذكره فالصبر ليس لأمر الله مردود

❖ الكناية بالسجع : في قولها :

نحّار راغية ، ملجأ طاغية ، فكّاك عانية ، للعظم جبّار

كما أخلص إلى أن شاعرتنا الخنساء مخرت عباب الشعر الرثائي وسفينتها اعتمدت أركانها على أربعة من بحور الشعر العربي وهي : (الطويل ، البسيط ، الكامل ، الوافر) .

وأقلّت في أربعة أخرى وهي (الخفيف ، المتقارب ، السريع ، الرمل) .

وكون الخنساء رصينة في أسلوبها كان أكثر شعرها من الطويل والبسيط اللذين ينسجمان مع اللفظ والمعنى في لطف وخفاء ممّا يكسب الشعر الرثائي جلالة تلائم مرمى الشاعر ، وفجيعة الفقد –

وأولهما : الطويل له تأثيره البالغ في الصورة الفنية ممّا يجعلها سامية ، وهذا لأنه طويل النفس ، رحيب الصدر ، وفيه مجال أوسع للتفصيل ، وأوفق للتلميح والإشارة ، وهو للكناية أقرب .

أما بحر البسيط في رثائيات تماضر فلها فيه مداخل ثلاثة : الغضب ، أو الدعوة إلى الصبر والمصابرة ، أو الضعف حيال عظيم المصاب . وطوّعت الخنساء هذا البحر ليلائم غرضها الشعري حين تريد تعداد مناقب فقيدها ، فأجدها نحت به منحى رابع وهو الفخر بأخيها وعشيرتها.

والخنساء وبحر البسيط لها من العلاقة إذ تتضح في : إذا غضبت باحت بعنف ، وإذا افتخرت لانت ورقّ شعرها ، وهكذا البسيط بين العنف واللين .

أما بحر الكامل ثالث بحور الخنساء ، فوفّقت فيه لإبراز عواطفها في حالتيها مفتخرة بأخويها ، أو غضبة من الدهر وما رماها به من فقدهما .

وللخنساء من الكامل ما يناهز الخمس عشرة قصيدة ، فهو بحر الفخامة والجزالة وهذا ما يؤكد ما ذهبتُ إليه من رصانة أسلوبها وقوة لغتها مع رقةٍ ولطفٍ .

رابع بحور الخنساء الوافر الذي استغلته فيما يماثل الكامل في عدد القصائد ، وهو بحر قويّ الرنة يتسق مع الأداء العاطفي الذي يوافق إحساس الخنساء في مراثيها ، فحين اتخذته في بعض شعرها أُصيب بالتكرار والاختلاف اللفظي الداخلي لمفردات البيت الواحد ، وإن صلح الوافر في الاستعطاف وهذا ما وفّقت فيه في إشراك القارئ في مصابها وأنينها .
أما عن الصورة الفنية للخنساء فوجدت أن عوامل نجاحها مستقاة من التشبيه والاستعارة والكناية فبهذه العناصر ازدانت صورها .

كما أخلص إلى أن هذه الصحابية الجليلة للإسلام أثر في تجربتها الشعرية ، فلها قبل الإسلام :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

ومن مكوّنات هذه التجربة الشعرية لديها الأفكار ، فأثّر الإسلام على أفكارها ، ومن ثمّ أساليبها ويتضح ذلك عندما تلقّت نبأ استشهاد أبنائها الأربعة في موقعة القادسية ، فقالت : " الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم ، وأني لأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته ".
وما يعضد هذا قولها :

وكلّ حيّ صائر للبلى وكل حبلٍ مرةً لاندثار

وهنا أحسب نفسي قد فتحت أبوابا للباحثين والدارسين حتى يعملوا جائلة فكرهم وعين بصيرتهم في دارسات ترفد هذا المنحى بتيارات ذاخرة تصب في محيط الدراسات النقدية والبلاغية .

المصـادر والمـراجع

القرآن الكريم

إبراهيم عوضين
* ديوان الخنساء دراسة وتحقيق ، دار الكتب ، القاهرة 1995م.

ابن الأثير (نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني أبو الفتح ضياء الدين)
* المثل السائر ، ت أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، نهضة مصر ، القاهرة 1962م.

ابن حجر
* الإصابة في تمييز الصحابة ، المطبعة الشرقية ،القاهرة 1325هـ

ابن رشيق القيرواني (الحسن بن رشيق القيرواني أبو علي)
* العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ت محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة 1955م.
* العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا .

أبن سلام الجمحي (محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي أبو عبد الله)
* طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، مكتبة الثقافية العربية ، بيروت 1968م.

ابن سنان الخفاجي عبد الله محمد بن سعيد أبو محمد الخفاجي الحلبي
* سر الفصاحة ت عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة ، 1969م.

ابن عبده ربه (أحمد بن محمد بن عبده ربه بن حبيب)
* العقد الفريد ، ت أحمد أمين وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1948-1973م.

ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري أبو محمد)
* الشعر والشعراء ، دار الحديث القاهرة ، 2003م (مطبعة بريل ليدن)

ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري)
* لسان العرب ، دار الأصالة ، بيروت

ابن هشام عبد الله بن يوسف
* شرح مغني اللبيب ، القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ،2002م.

أبو الفضل (شهاب الدين محمود الألوسي)
* روح تفسير القرآن الكريم ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان سنة 1997م.

البحتري ، الوليد بن عبيد بن يحيي الطائي أبو عبادة البحتري
* ديوانه : حققه محمد التونجي دار الكتاب العربي الطبعة الأولى سنة 1994م.

الأصفهاني أبو الفرج (علي بن الحسين بن محمد بن أحمد المرواني)

*الأغاني : منشورات دار الفكر : مكتبة دار الحياة ، بيروت : 1956م.
*الأغاني : ت د. إحسان عبّاس ، د. إبراهيم السعافين ، أ. بكر عبّاس ، دار صادر .بيروت.

أبوبكر بن يحيي الصولي
* أخبار أبي تمام ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت سنة 1980م.

أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي
* ديوانه : قدّم له ووضع هوامشه : راجي الأسمر

أبو زكريا يحيي بن محمد التبريزي
* ديوان حماسة أبي تمام شرح ، عالم الكتب بيروت ، لم يحدد له تاريخ .

أبو سعيد الأصمعي (عبد الملك بن قريب بن عبد الملك)
* الأصمعيات : اختيار الأصمعي ، تحقيق وشرح ، أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون .

أبو نوّاس ، أبو الحسن بن هاني
* حققه : أحمد عبد المجيد – دار الكتاب العربي بيروت – لبنان

أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيي)
* الصناعتين ، ت محمد أبو الفضل إسماعيل ، وعلي البجاوي ، عيسى الحلبي القاهرة 1952م.

أبو يعقوب السكاكي
* مفتاح العلوم ، ضبطه وشرحه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1983م.

أحمد أحمد بدوي
* أسس النقد عند العرب ، دار نهضة مصر للنشر 1958م.

أحمد الهاشمي
*جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان ، المكتبة التجارية الكبرى ، ص ب 578

أحمد مصطفى المراغي
* علوم البلاغة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان

الأصمعي (عبد الله بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد)
* فحولة الشعر ط 1953م.

الآمدي (الحسن بن بشر بي يحيي الآمدي أبو القاسم)
* الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، ت السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة 1972م.

امرو القيس بن حجر الكندي
* ديوانه : حققه محمد أبو الفضل ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية

إنعام فوّال عكاوي
* المعجم المفصّل في علوم البلاغة و المعاني والبيان ، مراجع أحمد شمس

الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى 1992م.

أنور عليان أبو سويلم ، محمد علي شوابكة

* ديوان امرئ القيس شرح أبي سعيد السكري ، مركز زايد للتراث العين طبعة 2000م.

الباقلاني

* إعجاز القرآن ، تحقيق السيد ، صقر ، دار المعارف ، القاهرة 1954م.

الخنساء ، تماضر بنت عمرو بن الشريد بن الحارث السلمية .

* ديوانها – المكتبة الثقافية – بيروت لبنان .
* ديوانها ، دار عمّار للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ، عمان 1997م.

الوائلي ، عبد الحكيم

* موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية إلى القرن العشرين ، عمان ، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع .

بدوي طبانة

* علم البلاغة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية 1977م.

بسيوني عبد الحميد

* علم البيان دراسة تحليلية ، مطبعة السعادة ، القاهرة 1987م.

بشار بن برد ، أبو معاذ بشار بن برد العقيلي

* ديوانه جمعه محمد الطاهر بن عاشور ، تونس ،الشركة التونسية سنة 1976م.

بهاء الدين السبكي

* عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ، عبد الحميد هنداوي سنة 2003م.

جابر عصفور

* النقد الأدبي : مفهوم الشعر ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني 2002م.

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر .

* البيان التبيين : تحقيق عبد السلام محمد هارون القاهرة 1948م.
* الحيوان : تحقيق عبد السلام محمد هارون (طبعة الحلبي) القاهرة 1948م.

الجرجاني عبد القاهر

* أسرار البلاغة ، ت .ه .ريتر . مطبعة وزارة المعارف- استنابول 1954م.
* دلائل الإعجاز ، تصحيح السيد محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة ، 1961م.

الجرجاني ، علي عبد العزيز

* الوساطة بين المتنبي وخصومه، ت محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، عيسى الحلبي ، القاهرة 1966 م.

الفرزدق ، همام بن غالب

* ديوانه ، قدّم وشرحه مجيد طراد – دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية سنة 1994م.

جرجي زيدان
* تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال 1957م.

الجوهري أبو نصر بن حماد
* كتاب الصحاح ، بيروت دار العلم للملايين 1979م.

النابغة الذبياني
* ديوانه : شرح وتعليق حنّا ناصر الحتّي – دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية سنة 1996م

حجر عاصي .
*ديوان زهير بن أبي سلمى (شرح وتحقيق) دار الفكر العربي ، بيروت 1994م.
* ديوان امرئ القيس (شرح وتحقيق) دار الفكر العربي ، بيروت 1994م

حسان بن ثابت الأنصاري
* ديوانه – وضعه وصححه وضبط الديوان : عبد الرحمن البرقوقي دار الكتاب العربي – بيروت لبنان 1990م.
* ديوانه – سلسلة شعراء العرب المعاصرون ، المركز الثقافي اللبناني بيروت لبنان الطبعة الأولى .

الحصري (إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري أبو إسحق)
* زهر الآداب وثمر الألباب ، ت محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، الطبعة الرابعة 1972م.

حنا الفاخوري
* الموجز في الأدب وتاريخه ، بيروت ، المكتبة البوليسية (د.ت)

الخطيب (التبريزي زكريا بن يحيي بن علي)
* شرح ديوان حماسة أبي تمام

الخطيب القزويني
* الإيضاح في علوم البلاغة ، ت لجنة بإشراف محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة .

خير الدين الزركلي
* الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة 1980م.

رغداء ماردينى
* شواعر الجاهلية ، دار الفكر العاصر ، بيروت لبنان ط1سنة 2002م

الزمخشري ، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد جار الله أبو القاسم
* أساس البلاغة ، ت مزيد نعيم ، د. شوقي المعري مكتبة لبنان ناشرون .
* الكشاف ، الحلبي ، القاهرة 1948م.

شمس الدين أبو عبد الله بن القيم الجوزيه
* الفوائد (المشقوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) بإشراف لجنة تحقيق

التراث مكتبة الهلال ، بيروت .

شوقي ضيف

*البلاغة تاريخ وتطور ، دار المعارف ، مصر الطبعة الثانية 1955م.

*الرثاء ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية 1955م.

* دراسات في النقد الأدبي ، مكتبة الدارسات الأدبية ، دار المعارف ، القاهرة 1962م.

طرفة بن العبد

* ديوانه حققه : محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة 1987م.

طه المراغي

* أسرار البلاغة

عائشة حسين فريد

* البيان في ضوء الأساليب العربية ، دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع 2000م.

عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ

* الخنساء ، دار المعارف ، مصر 1957م.

عباس إبراهيم

* ديوان الخنساء شرح وتحقيق ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى 1994م.

عبد الحكيم الوائلي

* موسوعة شاعرات العرب ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان الطبعة الأولى 2001م.

عبد الرحمن عبد الله بن درهم

* نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق .

عبد العزيز قلقيلة

* البلاغة الاصطلاحية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1991م.

عبد القادر عبد الجليل

* الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 2002م.

عبد الله الحاج بن إبراهيم

* فيض الفتاح على نور الأقاح ، إشراف محمد الأمين بن محمد بيب .

عبد الله الطيّب

* المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، دار الفكر ، بيروت 1970م.

عبده عون الروضان

* موسوعة شعراء العصر الجاهلي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان

الأردن .

عبدو محمد

* صحابيات مؤمنات ، الخنساء أم الشهداء ، دار ربيع للنشر ، حلب سوريا.

عمرو بن كلثوم التغلبي

- ديوانه جمعه وحققه وشرحه أميل بديع يعقوب – دار الكتاب العرب بيروت الطبعة الثانية 1996م.

العلوي ، الإمام يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني

* الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ت عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت

علي جميل سلوم ، حسن نور الدين - عمر رضا كحالة

* الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل ، دار العلوم العربية ، بيروت ، 1990م.

عمر رضا كحالة

* أعلام النساء في الجاهلية والإسلام

عمر فرّوخ

* تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت 1984م.

فتحي كواملة

* في رحاب الخنساء ، دار الجيل ، دمشق ، 1988م.

فخر الدين قباوة

* كتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات ، دار الفكر دمشق ، سوريا – دار الفكر المعاصر لبنان ، بيروت .

قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج

* نقد الشعر ، د.محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة 1979م.

كثير ، كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة

* ديوانه قدّم له وشرحه مجيد طراد – دار الكتاب العربي سنة 1995م.

كعب بن زهير المازني

* ديوانه : حققه علي فاعور-دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة 1987م

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد

* الكامل في اللغة والأدب ، منشورات محمد علي بيضون د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية .

المجمع الثقافي أبوظبي

* الموسوعة الشعرية (قرص مرن) ، الإمارات العربية المتحدة ، أبوظبي إصدار 2003م.

محمد إبراهيم حوّر، وليد إبراهيم القصّاب، أحمد عبد الرحمن حمّاد، خليل زغبر
* في الأدب والنقد واللغة ، مكتبة الفلاح .

محمد أبو موسى
* التصوير البياني ، منشورات جامعة قاريونس ، ليبيا بنغازي ط1997م.

محمد جابر عبد العال الحيني
* الخنساء شاعرة بني سليم ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة 1958م

محمد ربيع
* علوم البلاغة ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 1991م

محمد طه عصر
* مفهوم الإبداع في الفكر النقدي ، عالم الكتب، القاهرة الطبعة الأولى 2000م.

محمد عبد المطلب
* البلاغة العربية قراءة أخرى ، الشركة المصرية العالمية للنشر 1997م.

محمد فؤاد عبد الباقي
* المعجم المفهرس ، القاهرة 1378هـ

أبو العباس الضبي المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر
* المفضليات شرح وتحقيق : أحمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون.

المنجد في اللغة والأعلام
* دار المشرق ، بيروت ، لبنان طبعة 1969م.

نزار نجار
* الخنساء شاعرة الرثاء والوفاء ، دار الإرشاد بحمص 1989م.

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي
* نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتبة المصرية القاهرة .

هاشم صالح منّاع
* بدايات في النقد الأدبي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى 1994م.

وليد إبراهيم القصّاب
*البلاغة العربية (البيان والبديع) الإمارات ، دبي 1997م

يحيي الجبوري
* قصائد جاهلية نادرة ، موسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت 1982م

يوسف عيد
* ديوان الباكيتين ، دار الجيل ، بيروت .